العرفان الإسلامي

العلامة آية الله
الشيخ حسن زادة آملي

ترجمة
كمال السيد

دار أحياء التراث العربي

مكتبة
هؤمن قريش

العرفان الإسلامي

العرفان الإسلامي

تأليف

سماحة آية الله الشيخ حسين انصاريان

ترجمة

كمال السيد

الجزء الرابع

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

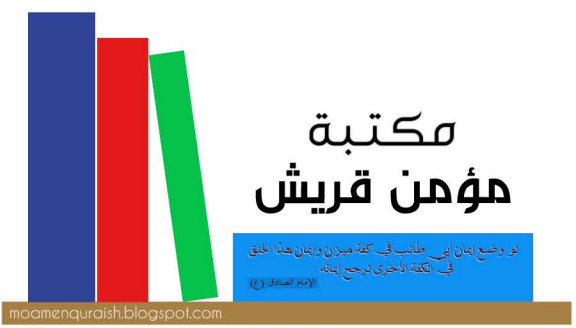

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing &Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

دار احياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ طريق المطار ـ خلف أوتيل الغولدن بلازا ص.ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ ـ هاتف : ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩/ ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth –Lebanon—Airport Road –Behind Golden Plaza—P.O:11/7957—Postal Code:-11/072250 Tel:009611455559 – 009611452469 -- Fax : 009611/850717
Email:darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

الباب

(٧)

في بيان اللباس

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: أَزْيَنُ اللِّباسِ لِلْمُؤْمِنينَ لِباسُ التَّقْوى وَأَنْعَمُهُ الإيمانُ، قالَ اللّه تَعالى: ﴿وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

وَأَمَّا لِباسُ الظَّاهِرِ فَنِعْمَةٌ مِنَ اللّه تَعالى يُسْتَرُ بِها الْعَوْراتُ وَهِيَ كَرامَةٌ أَكْرَمَ اللّه بِها ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام ما لَمْ يُكْرِمْ بِها غَيْرَهُمْ.

وَهِيَ لِلْمُؤْمِنينَ آلَةٌ لِأَداءِ مَاافْتَرَضَ اللّه عَلَيْهِمْ.

وَخَيْرُ لِباسِكَ ما لا يَشْغَلُكَ عَنِ اللّه تَعالى بَلْ يُقَرِّبُكَ مِنْ شُكْرِهِ وَذِكْرِهِ وَطاعَتِهِ.

وَلا يَحْمِلُكَ فيها إلَى الْعُجْبِ وَالرِّياءِ وَالتَّزَيُّنِ وَالْمُفاخَرَةِ وَالْخُيَلاءِ فَإِنَّها مِنْ آفاتِ الدّينِ وَمُوَرِّثَةُ الْقَسْوَةِ فِي الْقَلْبِ.

فَإذا لَبِسْتَ ثِيابَكَ فَاذْكُرْ سَتْرَ اللّه عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ بِرَحْمَتِهِ وَأَلْبِسْ باطِنَكَ بِالصِّدْقِ كَما أَلْبَسْتَ ظاهِرَكَ بِثَوْبِكَ وَلْيَكُنْ باطِنُكَ فى سَتْرِ الرَّهْبَةِ وَظاهِرُكَ فى سَتْرِ الطّاعَةِ.

وَاعْتَبِرْ بِفَضْلِ اللّه «عَزَّ وَجَلَّ» حَيْثُ خَلَقَ أَسْبابَ اللِّباسِ لِتَسْتُرَ الْعَوْراتِ الظّاهِرَةَ، وَفَتَحَ أَبْوابَ التَّوْبَةِ وَالإنابَةِ لِتَسْتُرَ بِها عَوْراتِ الْباطِنِ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَخْلاقِ السُّوءِ.

وَلا تَفْضَحْ أَحَدا حَيْثُ سَتَرَ اللّه عَلَيْكَ أَعْظَمُ مِنْهُ وَاشْتَغِلْ بِعَيْبِ نَفْسِكَ وَاصْفَحْ عَمَّا لا يَعْنيكَ أَمْرُهُ وَحالُهُ وَاحْذَرْ أَنْ يَفْنى عُمْرُكَ بِعَمَلِ غَيْرِكَ وَيَتَّجِرَ بِرَأْسِ مالِكَ غَيْرُكَ وَتَهْلِكَ نَفْسُكَ، فَإِنَّ نِسْيانَ الذَّنْبِ مِنْ أَعْظَمِ

١ـ الأعراف ٧: ٢٦.

عُقُوبَةِ اللّه فِى الْعاجِلِ وَأَوْفَرِ أَسْبابِ الْعُقُوبَةِ فِى الأجِلِ وَاشْتَغِلْ بِعَيْبِ نَفْسِكَ.

وَمادامَ الْعَبْدُ مُشْتَغِلاً بِطاعَةِ اللّه وَمَعْرِفَةِ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَتَرْكِ ما يَشينُ فى دينِ اللّه «عَزَّ وَجَلَّ» وَهُوَ بِمَعْزِلٍ عَنِ الأفاتِ غائِصٌ فى بَحْرِ «عَزَّ وَجَلَّ» يَفُوزُ بِجَواهِرِ الْفَوائِدِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْبَيانِ.

وَمادامَ ناسِيا لِذُنُوبِهِ جاهلاً لِعُيُوبِهِ راجِعا إلى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لا يُفْلِحُ إذاً أَبَدا.

«قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: أَزْيَنُ اللِّباسِ لِلْمُؤْمِنينَ لِباسُ التَّقْوى وَأَنْعَمُهُ الإيمانُ قالَ اللّه تَعالى وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ»

لباس الظاهر و لباس الباطن:

من نص هذه الرواية التي تفيض بالحقيقة يقول الامام الصادق جعفر بن محمّد انّ للانسان جسم وروح وأنّ له لباسين:

لباس للجسم والبدن والظاهر منسوج من المواد الطبيعيّة ونوع آخر هو لباس للروح والباطن وتتألّف عناصره من الحقائق العلويّة والحسنات الأخلاقيّة والصفات الالهيّة والأسرار العرشيّة.

ولباس الظاهر زينة وغطاء وستر للجسم وحفظ من العيوب للبدن ولباس الباطن زينة للروح وحفظها من اخطار النفس الأمّارة بالسوء وشياطين الجن والانس.

والانسان العاري الذي لا يرتدي ثوباً يستره يصبح كريه المنظر في بدن هيولائي قبيح ينظر إليه الناس جميعاً بازدراء واحتقار معتبرينه مجنوناً أو مجرّداً من العفّة والحياء.

وبنفس هذا المستوى فانّ الانسان العاري المجرّد من لباس الباطن ينظر إليه السماويّون وأهل القلوب اليقظة والعرفاء العارفون فيرونه في غاية القبح فاذاهو في بصائرهم غابة تضح بالحيوانات المتوحّشة المفترسة.

ان الانسان الذي يسعى من أجل ارتداء الثياب يظهر بأبهى صورة إنّما يقوم قبل ذلك بسلسلة من النشاطات الماديّة مستفيداً من أنواع عديدة من المنتجات الطبيعيّة لأنّ البقاء عارياً مجرّداً في رأيه عار وقبح ومن هنا عليه أن يسعى وبنفس هذه الدرجة لكي يغطي باطنه بلباس جميل فالباطن أولى من الظاهر بالزينة والجمال.

انّ الجسم بالنسبة للانسان بمثابة نقطة محدودة ليس أكثر ولكن الروح عالم لا نهائي وعالم أوسع بكثير من عالم الظاهر ونشاط الانسان من أجل الجسم ينبغي أن يكون في مستوى العفاف والكفاف وفي حدود القناعة أما على صعيد الروح فان عليه أن يبذل قصارى جهده وأن يواصل سعيه ومثابرته والاّ يقنع أبداً ببحار تموج بالمعنويات.

وما أشقى اولئك البشر الذين يقنعون في شؤون الروح بأقل القليل من أداء فرائض الصوم والصلاة أمّا في شؤون الحياة الماديّة فانّه لا يعرف الحدود أبداً !

فمع أولى خيوط الصبح يهب من نومه الجسماني العميق، فينطلق من أجل جمع المال والثروة ومن أجل التكاثر، مرهقاً بدنه في ذلك الطريق يكدّ ويكدح حتّى منتصف الليل ثمّ يعود إلى داره منهكاً ينتظر انقضاء ساعات الليل وطلوع صبح جديد، يملأ قلبه الحرص على الكسب غير مبال أن يكون كسبه هذا حلالاً أم عن طريق الحرام والغصب والسرقة والاغتيال واضعاً حقوق الآخرين تحت قدميه؛ كلّ ذلك من أجل أن يزيد إلى ثروته مالاً ويزداد ثراءً!!

وهؤلاء الجياع النهمون لو وضعت أمامهم كلّ ثروات العالم وقدّمت إليهم على طبق فانّهم لا يشبعون وستبقى أفواههم فاغرة للمزيد لا يملؤها شيء إلاّ تراب القبر وحينئذٍ يصحون من سباتهم. وقد امتلأت نفوسهم حسرات وآهات

يتمنون العودة إلى دار الدنيا ينادون ربّنا ارجعنا لعلّنا نعمل صالحاً فاذا النداء يأيتيهم أن اخساؤوا ولا تكلّمون!!

هؤلاء الحمّالون البؤساء الذين يحملون أوزارهم وأوزاراً مع أوزارهم تائهون في عالم البرزخ ينظرون إلى الوراء فاذا ثرواتهم الهائلة يتلاعب بها الوارثون يبعثرونها كيف يشاؤون وقد أنفقوا سنين العمر في جمعها، فاذا حصيلة العمر الطويل من ثراء ومال في أيدي عابثة ورثتها فهم يلهون ويلعبون وينفقون على ملاذهم في المعاصي والآثام وحينئذٍ فانّهم يحملون أوزار هؤلاء إلى جانب أوزارهم!!

وما أسعد اولئك المتيقظين وقد انفتحت بصائرهم على نور الحقيقة قد أنفقوا جزءً من أوقاتهم على الكسب الحلال؛ بقدر كفافهم يعملون وعلى قدر حاجاتهم يسعون ثمّ ينصرفون في انفاق أوقاتهم على طريق اعتلاء الروح وسموها وصقل النفوس وتزكيتها وتلك كلمة الحق ولسان حال هؤلاء وهم على صراط الحق سائرون، وهدفهم السير إلى اللّه لا يعرفون طريقاً غير الطريق إلى اللّه ولا محبوباً إلاّ هو وهذا ما عبّر عنه الشاعر العارف جلال الدين مولانا (مولوى):

اسفر عن وجهك البهي لأنّني اشتقت إلى الجنّة؛ وتكلّم فانا اشتهي الشكر يا شمس الحسن اطلعي من بين الغيوم اسطعي فاني في شوق لك سمعت من سلطان حبك وهواك طبولاً فاقرعي فانا في امنيتي لقاء السلطان.

أنت اخبرتني لا تعذبني بدلالك وقولك هذا ما كنت اتمناه الخبز والماء يذهبان مع السيل ليس لهما بقاء وأنا أريد أن أكون سمكة في بحرك.

كيعقوب في أسفه على يوسف حرت وأقصى اماني لقاء يوسف الكنعاني.

أصدقائي عذبوني بأن قلبي واهن اسد اللّه امنيتي ورستم.

فجرت روحي من ظلام فرعون وظلمه ونور موسى بن عمران ما اتمناه.

فما هي الاّ أيّام معدودات ثمّ يدرج الجسم في كفن ليوضع في حفرة ضيقة قد اطبق عليها الظلام فاذا المنزل موحش واذا السالك فيه قد غدا فيه نهباً للديدان تفتك فيه ذرات التراب وتنفذ إلى عظامه، هل يستحق هذا البدن الذي آل الى مثل هذا المصير كل هذا التعب مما هو خارج عمّا رسمه اللّه للانسان؟!

يكفي المرء منزل يسد حاجته وسقف وطعام يمدّه بالقدرة على العمل ولباس يستره ويدفع عنه غائلة البرد ويقيه الحرّ وعمل يرتزق منه ويعينه على أداء حقوق الجسم والأهل والعيال والانفاق في طريق الخير.

انّ عليه أن ينطلق في طريق تكامل الروح وأن يعدّ ليومه وغده لباس التقوى انّ الانسان سينتقل من هذا العالم إلى عوالم أُخرى وسيواجه المصاعب والعقبات التي تتطلّب منه العبور ولباس التقوى هو ما يلزمه في ذلك الطريق.

ينبغي الاّ أن يقتصر اهتمام الانسان على الجسم فقط والاّ يفكّر في معيشة الدنيا ان اللّه لم يخلق الانسان ليفكّر في عيش البدن ولو كان الهدف من خلق الانسان هذا فقط لقال ذلك الأنبياء وحينئذٍ ما جدوى كلّ هذه الأوامر والنواهي وما جدوى الحساب والكتاب والشرائع الالهيّة؟!

لقد جاء الأنبياء والأئمّة من أجل أن يسمو الانسان بعقله وروحه وأن يتحلّى المرء بالصفات الالهيّة وأن يتّصف الناس بالأخلاق الربّانيّة، ولو تأمّل الانسان في تعاليمهم التي تنبع من معين الوحي ما وجد غير ذلك.

حتّى في تعاليمهم في شؤون الحياة الجسمانيّة يجد المرء في كلماتهم كلّ ما هو مفعم بالصفاء والروحانيّة، وأساساً فان جمال الظاهر في رؤيتهم إنّما هو مقدّمة لجمال الباطن وان الاهتمام بالبدن والحياة الماديّة إنّما هو من أجل تقوية الروح واثراء الحياة الروحيّة.

الجسم مركب الروح:

يعيش الانسان في الحياة الدنيا مدّة قصيرة ولذا يتوجب عليه الاّ يهدر طاقاته العقليّة ويبعثر سنوات العمر ويبدد ثرواته الروحيّة من أجل فترة زمنيّة محدودة وحياة سرعان ما تنتهي عليه أن يسعى ويبني آخرته بدنياه وأن عمران الآخرة بالدنيا رهن بالايمان والعمل الصالح، والايمان وصالحات الأعمال لا تتم الاّ من خلال التعاليم الالهيّة والارشادات الربانيّة.

هل رأيتم انساناً ولد ولم يمت؟ وهل رأيتم انساناً عاش في دار الدنيا الى الأبد أو منح حق الحياة الأبديّة فيها؟ لقد عاش الأنبياء والمرسلون والأئمّة الطاهرون وهم ينابيع المعاني السامية والفضائل الانسانيّة ثمّ رحلوا، وقد عاش بعضهم حياة قصيرة.

رحل عيسى بن مريم إلى السماوات وهو في الثالثة والثلاثين ولقي يحيى مصرعه في حدود ذلك ورحلت الزهراء فاطمة بنت محمّدﷺ وهي في الثامنة عشرة من العمر ورحل أبوها العظيم وهو أعظم الكائنات في الثالثة والستّين!!

وعاش الامام محمّد الجواد خمساً وعشرين سنة فقط ثمّ نال الشهادة وهكذا سائر الأنبياء والأئمّة الطاهرين عاشوا أقل أو أكثر من ذلك ثمّ رحلوا إلى ربّهم راضين مرضيين كان اولئك الكرام ينظرون إلى الحياة الدنيا على انّها مزرعة الآخرة وعلى هذه النظرة عاشوا حياتهم الدنيا، ان الحياة المفعمة بالخير والسلام هي من أسمى الحيوات إذ يتجلّى فيها رضوان من اللّه ومباركة من لدنه.

زوروا المقابر احياناً وامكثوا قليلاً في ذلك المكان المنطفئ حيث تتمدّد الأجساد الباردة على الرخام البارد تنتظر دورها في التغسيل انظروا إليها انها ساكتة بعد ضجيج وهادئة بعد حراك وباردة هامدة انظروا إليها من أجل أن تتحرّر عقولكم وتنطلق أرواحكم من قيود المادّة وأسر الأهواء لتبلغ عالم الصفاء بعيداً عن ضجيج

الأهواء وعربدة الغرائز وتتخلّص من أسر الشياطين.

لتنوبوا إلى أنفسكم وتعودوا إلى ذواتكم ولتدركوا انّ الحياة الدنيا لا تبقى لأحد وانه لا أحد خالد فيها. كلّ هذه الحياة تتوقّف على نبضات القلب وهو ليس في أيديكم ولا من صنعكم ان هذا القلب بين يديه هو وحده لا شريك له إن توقّف نبضه فإذا انتم أجساد خامدة لا حركة لها الاّ الحركة باتّجاه القبر!!

وما أكثر اولئك البشر الذين يغطون في نوم عميق فجأة ترتجف الأرض وقد زلزلت زلزالها فإذا أعلاها أسفلها؛ واذا ذلك العمران الذي يضجّ بالحياة مجرّد خرائب وانقاض واذا الأحياء في الليل موتى تحت أكوام الحجارة!

وما أكثر اولئك الذين عصفت بهم نوائب الدهر فإذا هم قد انتقلوا في لحظة من لحظات القدر من فوق إلى الأرض الى تحتها وقد خلعوا رداءً كان في الحقيقة عارية مردودة !

فكّر اكثر ايها الانسان وارجع إلى نفسك وانظر إلى الدنيا على انّها مجرّد طريق للآخرة انّها ممرّ وليست بمقرّ واستعن بشؤون الظاهر لبناء الباطن.

نصائح اولياء اللّه:

ها هي نصائح الأنبياء والأئمّة والأولياء والعشّاق والعرفاء والمصلحين والمؤمنين، مصابيح تضيء الطريق للانسان.

جاء في الروايات:

«... قام أبوذر رضي الله عنه عليه عند الكعبة فقال: أنا جندب بن السكن، فاكتنفه الناس فقال: لو انّ أحدكم أراد سفراً لاتّخذ فيه من الزاد ما يصلحه لسفره فتزودوا السفر يوم القيامة أما تريدون فيه ما يصلحكم؟ فقام إليه رجل فقال: ارشدنا ! فقال: صم

يوماً شديد الحرّ للنشور وحجّ حجّة لعظائم الأُمور وصلّ ركعتين في سواد الليل لوحشة القبر كلمة خير تقولها وكلمة شرّ تسكت عنها أو صدقة منك على مسكين لعلّك تنجو بها يا مسكين من يوم عسير؛ اجعل الدنيا درهمين درهماً أنفقته على عيالك ودرهماً قدّمته لآخرتك والثالث يضرّ ولا ينفع لا تُرده اجعل الدنيا كلمتين كلمة في طلب الحلال وكلمة للآخرة والثالثة تضرّ ولا تنفع لا تردها ثمّ قال: قتلني همٌّ يوم لا أدركه»[١].

وقال الامام الحسن المجتبى عليه السلام سبط النبي صلى الله عليه وآله لجنادة بن أبي أُميّة وقد قال له عظني يابن رسول اللّه قال:

نعم استعد لسفرك وحصّل زادك قبل حلول أجلك واعلم انّك تطلب الدنيا والموت يطلبك ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنّك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك الاّ كنت فيه خازناً لغيرك.

يقول جنادة ثمّ انه عليه انقطع نفسه واصفرّ لونه حتّى خشيت عليه[٢].

وهذه كانت الكلمات الأخيرة للامام قبل أن يوصي إلى أخيه الحسين عليه السلام ويغادر الدنيا.

وكان الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام ينادي في كلّ ليلة وقد أوى الناس إلى الفراش للنوم:

«تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّه فَقَدْ نُودِيَ فيكُمْ بِالرَّحيلِ»[٣].

---

١ ـ من لا يحضره الفقيه: ٢٨٢/٢، باب الزاد في السفر، حديث ٢٤٥٦.

٢ ـ بحار الأنوار: ١٣٩/٤٤، باب ٢٢، حديث ٦.

٣ ـ الأمالي، الشيخ الصدوق: ٤٩٨، المجلس الخامس والسبعون، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٣٩٣/٧٤، باب ١٥، حديث ١٢.

فاعمل بكلّ ما في وسعك ما أمكنك ذلك في الاستفادة من نعم اللّه جميعاً في بناء آخرتك في العمل للآخرة ولا تقصر كلّ همّك في القضايا الماديّة والدنيويّة بل ليكن الوحي الالهي سراجك الذي يضيء لك الحياة في الدنيا والآخرة ان السعيد من لا يهدر لحظة واحدة من ساعات العمر ولا يسهو عن ذكر الموت وما بعد الموت.

يقول سعدي:

وآلم قلبي صوت حزين مع الناي ينساب سوف تنبت بعد أن رحلنا عن الديار الذهور وتزدهر المروج وتداعب انسام فصل الربيع، ونحن استحلنا الى تراب رفاة وسوف يجلس أصدقاء وخلاّن في ظلال الحدائق سوف يأتون من عالم الغيب ويمرّون فوق ترابنا وتضرب تل التراب فؤوس فتنبعث أنات اليمة، وما تلك ذرات التراب لم تكن سوى عيون وآذان ووجنات ألا تعلم أيها القفص العظمى ان روحك طائر اسمه النفس ويفلت الطائر من القفص بعد أن انكسر القيد هنا لك لا طريق لعودته ولا يمكن صيده، فصن هذه الفرصة فالحياة فرصة والفطن من يحيل هذه الفرصة الى عالم من خلود[1].

حلّة الايمان أبهى الحلل:

يقول الحكيم العارف الكبير المرحوم ملا عبد الرزاق اللاهيجي في ترجمة الجملة الاولى من مطلع الرواية:

انّ الامام الصادق يقول ان أجمل اللباس للمؤمن لباس التقوى ذلك انّ اللباس ما هو الاّ ستر للعورة الظاهريّة للانسان وانه يحفظه من البرد والحرّ؛ ولأن التقوى

---

١ ـ كليات سعدى.

تستر الانسان من فضائح يوم القيامة وتحافظ عليه من ألم العذاب في ذلك اليوم فهو أفضل اللباس للانسان.

ويقول أيضاً: ان أنعم اللباس للمؤمن لباس الايمان، والايمان انما هو الاعتقاد الراسخ والجازم بالحق تعالى ونبوّة الأنبياء وما وصل إلينا من أحوال المبدأ والمعاد منه تبارك وتعالى وما يجدر الانتباه اليه هنا امكانية أن يجتمع الايمان مع الفسق والفجور والعصيان واذن فان امتلاك الايمان ليس بالكمال المطلق بل بنقصانه يجعل صاحبه مستحقاً للدخول في العذاب؛ في حين ان التقوى وهي الكمال المطلق ولا يمكن أن تجتمع مع العصيان والذنب والاستحقاق في دخول العذاب واذن فان التقوى أزين اللباس وأبهى الحلل والايمان كمال في الجملة ولهذا قال سبحانه وتعالى في القرآن المجيد بأن لباس التقوى هو أفضل من كلّ لباس لأن اللباس الظاهر يستر العورة الظاهرة ولباس التقوى يستر الظاهر والباطن أيضاً ويحفظ الانسان من كلّ أنواع الرجس واللوث ويصون طهره ونقاءه.

اللباس في القرآن الكريم:

ذكر الكتاب الالهي العزيز خمسة أنواع من اللباس في آياته النورانيّة:

١ ـ اللباس المادى الظاهري.

٢ ـ اللباس الطبيعي.

٣ ـ اللباس المعنوي.

٤ ـ لباس الجنّة.

٥ ـ اللباس الجهنّمي.

١ـ اللباس المادى الظاهري:

أشار القرآن الكريم إلى اللباس الظاهر الذي يرتديه الناس على انّه نعمة من نعم اللّه عزّوجلّ وطلب من الانسان أن ينتبه إلى ذلك المعنى ويلتفت إليه في ان ملايين السيّارات إنّما تدور بارادة الحق في هذا العالم العظيم بخلقته كلّ ذلك من أجل أن توفّر للانسان اللباس الذي يرتديه وان على الانسان أن يشكر للحق هذه النعمة وأن يجعل من اللباس الذي يرتديه والكساء الذي يستر بدنه في طريق مرضاة الرب.

﴿وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

لاحظوا كيف انّ البحر المتلاطم بالأمواج واحد من أهم المصادر لاستخراج ما يرتديه الانسان ويغطّي به بدنه كلّ ذلك من أجل أن يشكر الانسان ربّه على نعمته وان شكر اللباس يكمن في أن يضع ما يرتديه المرء في طريق اللّه تبارك وتعالى والاحسان إلى الناس في عمل الخيرات.

﴿وَاللّه جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَناً وَجَعَلَ لَكُم مِن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ * وَاللّه جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً

---

١ ـ النحل ١٦: ١٤.

وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[١].

وجعل سبحانه البيوت والمنازل والدور سكناً للناس وجعل من جلود الحيوانات بيوتاً وخياماً يتمكّن الانسان من نقلها والانتقال بها عند الرحيل ثمّ نصبها عند الاقامة وجعل من صوف الحيوانات وأوبارها ومن شعرها أثاثاً يستخدمه الانسان الى زمن ما، وخلق اللّه ممّا خلق ظلالاً يستظل به عباده وخلق الجبال لتكون أكناناً وهدى الانسان الى ينسج له ممّا يرتديه ليدفع عنه غائلة البرد والحرّ وهداه إلى ان يصنع الدروع والواقيات ليرتديها ويدفع بها ضربات السيوف وطعنات الرماح وطلقات الرصاص.

فانظروا مرّة أُخرى إلى هاتين الآيتين وما تمخض عنهما من نتيجة ودقّقوا النظر في ذلك، فاللباس نعمة من نعم اللّه والكساء الذي أقرّه الحق تبارك وتعالى ليقي الانسان من الحرّ والبرد وزينة في الحياة وانكم لتحصلون عليه من غير كدّ وتعب ولا جهد وتعب فارغي البال كلّ ذلك من أجل أن تشكروا اللّه وتطيعوه وتجتنبوا نواهيه وتأتمروا بأوامره.

فكّروا بما لديكم من لباس وثياب وحلل وفي سلوككم وفي أي طريق استثمرتم كلّ ذلك ولأيّ شيء حصلتم عليها ولأيّ شيء ارتديتم تلك الملابس والثياب؟ هل نظرتم إليها على انّها نعمة من نعم المحبوب؟ وهل انّكم ارتديتم الثياب من أجله ومن أجل أن تشكروه وتقدروه وأن هذا اللباس الظاهر على أبدانكم انّما هو مقدّمة للحصول على لباس الباطن؟ هل تواضعتم وأنتم ترتدون ثيابكم هل

---

١ ـ النحل ١٦: ٨٠ ـ ٨١.

سرتم بها في تواضع أم انّ الغرور والتكبّر قد نفذ الى نفوسكم، هل اغتررتم بها؟ هل استفدتم منها في طريق العدل والحكمة أم لوثتموها بالظلم والعدوان؟ وهل انّكم وأنتم ترتدون هذه الثياب قد وضعتم حقوق الناس تحت أقدامكم؟

﴿يَا بَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾[١].

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾[٢].

٢ ـ اللباس الطبيعي:

عبر القرآن الكريم عن الليل والحياة الانسانيّة للرجل والمرأة بأنّه لباس وانه للنوم والسبات وان الرجل للمرأة والمرأة للرجل بمثابة اللباس وان هذا من أعظم نعم اللّه سبحانه وانه يتعيّن على الانسان شكران المنعم.

﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً﴾[٣].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[٤].

ولما كانت المرأة وسيلة تحفظ لزوجها من الوقوع في الكثير من المعاصي

١ـ الاعراف٧: ٢٦.

٢ـ الأنبيا ٢١: ٨٠.

٣ـ الفرقان ٢٥: ٤٧.

٤ـ البقرة ٢: ١٨٧.

وأنّ الرجل من خلال زوجته يحفظ نفسه من كثير من الذنوب والآثام فان المرأة للرجل والرجل للمرأة بمثابة لباس ورداء من العفّة والحياء والكرامة ولهذا ورد في القرآن قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ﴾ ولما كانت الحلّة تستر عيوب الانسان عيوبه الظاهرة فان اللباس الطبيعي يستر الكثير من العيوب ويحفظ الانسان من الوقوع في المعاصي.

٣ ـ اللباس المعنوي:

واللباس المعنوي أظهره وأتمّه التقوى وهو من أعظم النعم وأكثر نفعاً للعبد المؤمن.

وهذا اللباس يحفظ الانسان في الدنيا من جميع التلوثات العقائديّة والسلوكيّة والأخلاقيّة ويصون المرء من العذاب الالهي في يوم القيامة فهو في صون اللّه ورعايته وهو في أعلى درجات الجنّة.

يقول سبحانه في محكم الكتاب:

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذٰلِكَ خَيْرٌ﴾[1].

٤ ـ لباس الجنّة:

وعد اللّه سبحانه وتعالى في القرآن المجيد عباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويتحلّون بالصفات الأخلاقيّة الحسنة الجنّة وأنّهم يرتدون فيها الفاخر من الثياب والحلل تغمرهم النعم الالهيّة في لطف من اللّه عزّوجلّ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ

١ـ الأعراف ٧: ٢٦.

الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً﴾[1].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[2].

﴿إِنَّ اللّه يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[3].

انّ اللّه سبحانه قد وعد عباده الصالحين أن يدخلهم جنّات الفردوس يلبسون أفخر وأجمل الحلل في أيديهم أساور الذهب واللؤلؤ وقد ارتدوا حلل الحرير الناعمة الملوّنة.

٥ ـ اللباس الجهنمي:

أمّا اولئك الذين تنكروا لانسانيتهم وانسلخوا عن آدميتهم وكانوا عبيداً لشهواتهم غارقين في الجهالات لا يعرفون من دنياهم سوى شهوات البطن والفرج في معصية اللّه والعدوان على عباد اللّه فان اللّه سوف يذيقهم العذاب ويلبسهم لباس الذل والخوف والجوع ثمّ يوم القيامة يلبسهم اللّه ثوب الذل

١ـ الكهف ١٨: ٣٠ـ ٣١.

٢ـ الدخان ٤٤: ٥١ ـ ٥٣.

٣ـ الحج ٢٢: ٢٣.

ويذيقهم العذاب الأليم.

﴿وَضَرَبَ اللّه مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّه فَأَذَاقَهَا اللّه لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1].

وهذه نتيجة الكفر بنعم اللّه سبحانه فبيناهم يشعرون بالأمان اذا بالكفر يفتك في حياتهم ويحيل أمنهم خوفاً وشبعهم جوعاً جرّاء ما يقترفون من العصيان.

انهم لم يقدّروا نعمة اللّه ولم يشكروا من أفاض عليهم نعمه فاذا هم يفسدون في الأرض ولا يصلحون يومئذٍ يحشرون يوم القيامة وهم مكبلون بالسلاسل والأغلال وهم في أسوأ حال.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[2].

وأنّ هذا اللباس الجهنّمي أسوأ ما يمكن تصوّره للانسان حيث يرتدون ثياباً من قطران وتلفح وجوههم النيران وهذه هي أنواع الملابس التي ذكرها القرآن الكريم لبني آدم، والاحرى بالانسان أن يرتدي في هذه الحياة القصيرة حلّة التقوى والنظيف من الثياب يستر بها بدنه وأن يتّخذ له لباساً طبيعياً يستره ويصونه من الوقوع في المعاصي والذنوب، فيرزقه اللّه في يوم القيامة لباس الجنّة وحلل الفردوس ويكون في أمان من العذاب الالهي.

يقول سراج القمري وهو من شعراء القرن السادس يعظ الانسان:

١ـ النحل ١٦: ١١٢.

٢ـ ابراهيم ١٤: ٤٩ ـ ٥٠.

يا من تخلّفت عن القافلة خذ الطريق فقد مضى الرفاق.

يا من بقيت بلا وهاج سوى الرماد كالمواقد التي تخلّفها القوافل الراحلة اذا عجزت عن سلوك الطريق القويم فكيف تريد عبور الصراط غداً وكيف تطيق شعثاء السفر اذا أنت لا تطيق رائحة البستان.

شيخوختك تطرد شبابك كالدخان الذي يتصاعد من النار وكالشموع اشتعل الشيب في رأسك وقد نحل جسمك واصفر لونك.

وقد انبثق البياض في رأسك.

وقد أهالت الشيخوخة التراب على الرأس.

لقد انطفأت اذن شعلة الشباب.

سواءِ انطفأت بظلم أو بطبع فقد حفر تربتها الزمان.

الهي نحن أبناء آدم الضعفاء أسرى الجسد الهي فحررنا من الأسر وخلصنا من القيود فان كلّ من أصبح أسير نفسه وهواه فانه يرتكب الخيانة العظمى في حياته الأبديّة فيبقى الى الأبد يعاني من الحرمان من كل الحقائق والفضائل والحسنات الالهيّة.

الهنا وربنا ان اسير الجسد هو من أذل وأضعف الكائنات في هذه الكرة الصغيرة، انه كائن قد اغلقت دونه جميع أبواب الرحمة والغفران.

الهنا ان اسرى الجسد وعبيد البطن والشهوات ماذا يفهمون من الحياة وماذا يدركون من الوجود الذي هو الخير المحض أي خير يرون وبأية ألطاف نورانيّة ينعمون؟

أنك قد أرسلت إلينا آلاف الأنبياء والرسل والأوصياء والآف من العلماء والعرفاء والحكماء من أجل هداية البشر؛ كم صرخوا وكم بثوا من الحكم والأمثال وكم قدموا من التضحيات الجسام في ميادين الحياة كلّ ذلك من أجل أن يصحو الانسان

من نومته ويستيقظ من غفلته ولكن أنّى للصم العمي أن يروا نور الحقيقة ويسمعوا نداء اللّه ويستجيبوا لرسالاته فهم في غيهم يعمهون وفي ضلالتهم يسدرون هؤلاء البؤساء أي حياة دنيئة يحيون وأي محصول يحصدون؟ أيديهم خالية من كلّ ما هو ايجابي في الحياة أنفقوا رؤوس أموالهم وهي سنوات الأعمار وتعاملوا مع الشيطان فباعوه أغلى جوهرة في بحر الوجود وماذا حصلوا مقابل ذلك؟ لقد غدر بهم وخذلهم وخدعهم وهذا ديدنه لأنّه يحقد على الانسان.

انهم يعبثون في هذا العالم الذي ينهض على العدل والعلم والحكمة والحق فاذا بهم يسخرون من أسمى الناس كمالاً وأرفعهم مقاماً فسلكوا طريقاً لا يؤدّي بهم الاّ الى الهاوية وبئس المصير فجلبوا على أنفسهم الدمار وعلى من يسير في فلكهم الخسران وبئس القرار.

هؤلاء قد طردوا من رحاب حضرتك تطاردهم لعنتك الأبديّة باؤوا بالخسران إذ باعوا الآخرة المفعمة بالنعيم الخالد بدنيا قصيرة الأمد فخسروا أنفسهم وباؤوا بغضب من اللّه وعذابه الأليم.

«وَأَمَّا لِباسُ الظَّاهِرِ فَنِعْمَةٌ مِنَ اللّه تَعالى يُسْتَرُ بِها الْعَوْراتُ وَهِيَ كَرامَةٌ أَكْرَمَ اللّه بِها ذُرِّيَّةَ آدَمَ عليه السلام ما لَمْ يُكْرِمْ بِها غَيْرَهُمْ وَهِيَ لِلْمُؤْمِنينَ آلَةٌ لِأَداءِ مَاافْتَرَضَ اللّه عَلَيْهِمْ»

لباس الظاهر نعمة الهيّة:

نظراً إلى موقع الانسان الفريد بين مخلوقات الأرض بل وكائنات الوجود، لو انه لم ينعم بلباس الظاهر وكان محروماً منه فما كان بوسعه أن يفعل وكيف سيكون مشهده والى أين تقوده حياته التي هي أسمى قيمته؟

فكر وتأمّل لحظة وخذ بنظر الاعتبار لو أنّ ميدان الحياة الذي يشتمل على كلّ شيء قد خلا من لباس الظاهر فيا ترى ماذا يحل بالقيم الاخلاقيّة وإلى أين ينتهي المطاف بالفضائل وهل من نافذة تهب منها نسائم التربية؟ يقول الامام الصادق عليه السلام انّ لباس الظاهرة نعمة كبرى من نعم اللّه عزّوجلّ فبه يستر عورته وهو كرامة من اللّه للانسان ولم يكرم به غيره وهو بعد للمؤمن وسيلة لأداء الفرائض التي افترض اللّه بها على عباده.

لقد وضع الاسلام ضوابط تشمل كلّ ابعاد الحياة الانسانيّة ولا توجد نقطة واحدة من نقاط الحياة البشريّة بدءً من الميلاد حتّى الموت بمنأى عن الشريعة الالهيّة فلكل بعد من أبعاد المسار الانساني قانون ينظمه.

وعلى صعيد اللباس ثمة ضوابط قيّمة سواء ما يخص ظاهر اللباس أو ما يخص القضايا المعنويّة وهو من الدقّة بحيث تؤشّر الى حقيقة الدين وكماله فيتجلّى الاسلام ديناً هو من أحرص الأديان على تحقيق السعادة للانسان وانه الأشمل والأكمل من بين المدارس في انحاء الأرض وأكثرها جدارة في ادارة الحياة الانسانيّة.

اللباس في الروايات:

حرّم الدين الاسلامي وانطلاقاً من مصالح المجتمع الاسلامي الملابس التي يدخل الذهب في نسيجها، والحرير والملابس المصنوعة من جلود الحيوانات الميتة والثياب التي تصنع من جلود الحيوانات المحرّم أكل لحومها وأعلن أن كلّ هذه الأنواع من الثياب لا يليق بالانسان أن يرتديها وأن الانسان بما ينطوي عليه من الخصال والصفات والابعاد لأسمى من أن يرتدي الحرير والثياب المذهبة أو المزركشة بالذهب وان الوجود الانساني لأكرم أن يشتمل عليه جلد حيوان ميت أو جلد حيوان لحمه محرّم على الانسان.

ابن آدم هو نبع الكرامة وموضع الشرف الانساني ومركز الفضائل والمرآة التي تتجلّى فيها الأسماء والصفات الربوبيّة، وهذا الكائن الرفيع يجب ألاّ يكون أسيراً للبدن وبما يرتديه من جلد وأنواع اللباس فيهدر سنوات العمر.

فعلى صعيد اللباس ينبغي أن ينتبه إلى ما يقرّره المحبوب فلا يرتدي الاّ ما يرتضيه.

انّ الجسم والبدن ليس في موقع يفتديه ابن آدم بشأنه ومنزلته.

جنس اللباس و ماهيته:

أورد العلاّمة المجلسي رحمه الله في كتابه الجليل بحار الأنوار أحاديث في آداب الزي والتجمّل نشير إلى بعضها ممّا يخصّ مسألة اللباس.

قال النبي صلى الله عليه وآله مخاطباً علياً عليه السلام:

«يا علي... ولا تلبس الحرير فانّه لباسك في الجنّة»[١].

وتتجه الأحاديث المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام **«إلى النهي عن ارتداء الحرير لأن من يرتديه في الدنيا يحرق جسمه بالنار يوم القيامة»**[٢] وفي حديث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أشار فيه إلى أن القطن هو من لباسه ولباس أهل بيته عليهم السلام[٣] **«وانه لا يرتدي الثياب المصنوعة من الشعر والصوف الاّ لعلّة»**[٤].

وقد ورد ذلك في حديث عن الامام الصادق عليه السلام[٥]

«حيث أشار الامام جعفر بن محمّد صلى الله عليه وآله إلى أن الكتان من لباس الأنبياء وفيه ما يعود على الجسم بالنفع والسلامة».

لون اللباس:

جاء في الأحاديث النبويّة **«تأكيد على ارتداء الابيض من الثياب وان الثياب البيض أفضل وأنظف وأطهر الثياب»**[٦].

وأشار الامام الصادق الى انّ الامام علي عليه السلام **«كان يرتدي في معظم أوقاته الثياب البيض»**[٧].

١ـ بحار الأنوار: ٢٤٨/٨٠، باب ٥، حديث ٨

٢ـ علل الشرايع: ٣٨٤/٢، باب ٥٧، حديث ٣.

٣ـ مستدرك الوسائل: ٢٥٤/٣، باب ١٥، حديث ١.

٤ـ الكافي: ٤٤٩/٦، باب لبس الصوف والشعر و الوبر، حديث ١.

٥ـ وسائل الشيعة: ٢٩/٥، باب ١٦، حديث ١.

٦ـ وسائل الشيعة: ٢٦/٥ ـ ٢٧، باب ١٤.

٧ـ وسائل الشيعة: ٢٧/٥، باب ١٤، حديث ٥٨٠١.

ورأى حفص المؤذّن الامام الصادق عليه السلام في حرم النبي صلى الله عليه وآله يصلّي بين القبر والمنبر وقد ارتدى ثوباً أصفر بلون السفرجل[١].

وجاء في حديث عن الامام الصادق عليه السلام:

«يتضمن درجة من النهي والكراهة في ارتداء الثوب الأحمر الاّ للعريس»[٢].

ونقل أبو العلا وهو أحد رواة الحديث انّه رأى الامام جعفر الصادق عليه السلام قد ارتدى حلّة يمانيّة خضراء في الاحرام[٣].

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله:

«في كراهة ارتداء اللون الأسود الاّ في الحذاء وغطاء الرأس والعباءة»[٤].

نوع اللباس:

يحثّ الاسلام على ارتداء الثياب التي تستر البدن على نحو عادي والاّ تكون أطول ممّا يجب وحذر من ارتداء الثياب والحلل للتباهي والتكبر على الآخرين جاء في حديث للامام الصادق عليه السلام يخاطب بعض أصحابه: إنّ عليّاً كان عندكم فأتى بني ديوان فاشترى ثلاثة أثواب بدينار، القميص إلى فوق الكعب والازار إلى نصف الساق والرداء من يديه إلى ثدييه ومن خلفه إلى البيه ثمّ رفع يديه إلى السماء فلم يزل يحمد اللّه على ما كساه حتّى دخل منزله، ثمّ قال: هذا اللباس الذي

١ـ حلية المتقين: ١٧.

٢ـ وسائل الشيعة: ٢٩/٥، باب ١٧، حديث ٥٨٠٦.

٣ـ حلية المتقين: ١٧.

٤ـ الكافي: ٤٤٩/٦، باب لبس للسواد، حديث ١.

ينبغي للمسلمين أن يلبسوه ولكن لا تقدرون أن تلبسوها هذا اليوم[١].

وجاء في حديث للامام الكاظم عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٢] انّ اللّه قال لنبيه وثيابك فطهّر وكانت ثيابه طاهرة وانّما أمره بالتشمير[٣] أي بمعنى قصّر ثوبك حتّى لا يتلوث (بما يلوث الظاهر من الوسخ أو التلوث المعنوي من تكبر وغرور والخيلاء).

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام:

انّ النبي صلى الله عليه وآله أوصى رجلاً من بني تميم فقال له: «اياك واسبال الازار والقميص، فان ذلك من المخيلة واللّه لا يحب المخيلة»[٤].

إنّ اللّه عزّوجلّ لا يحبّ المتكبّر من الناس لأن الكبرياء له وحدة تبارك وتعالى.

وجاء في حديث نبوي مخاطباً أباذرّ الغفاري:

«انه من جرّ ثوبه على الأرض تكبّراً لم ينظر اللّه إليه يوم القيامة ولن تشمله رحمته سبحانه»[٥].

وقد نهى الاسلام الرجال عن ارتداء ثياب النساء ونهى النساء عن ارتداء ثياب الرجال[٦] كما نهى المسلمين عن ارتداء اللباس الخاص بالكفّار[٧].

١ـ وسائل الشيعة: ٤٠/٥، باب ٢٢، حديث ٥٨٤٣.

٢ـ مدثر ٧٤: ٤.

٣ـ وسائل الشيعة: ٤٠/٥، باب ٢٢، حديث ٥٨٤٤.

٤ـ وسائل الشيعة: ٤١/٥، باب ٢٣، حديث ٥٨٤٨.

٥ـ حلية المتقين: ١٨.

٦ـ وسائل الشيعة: ٢٥/٥، باب ١٣.

٧ـ وسائل الشيعة: ٣٨٢/٤، باب ١٩.

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام:

«انه لا يجوز للنساء أن يتشبهن بالرجال لأنّ رسول اللّه لعن الرجال الذين يتشبّهون بالنساء والنساء اللاتي يتشبّهن بالرجال»[١].

وجاء عن الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«ان اللّه عزّوجلّ أوحى إلى أحد أنبيائه أن يحذر المؤمنين من تقليد الكفار والتشبه بهم في اللباس والطعام والسلوك لأنّهم إن فعلوا ذلك حشروا معهم»[٢].

من مجموع هذه الروايات يتبلور فهم عام في انه لا يجوز للرجل ارتداء الثوب المصنوع من الحرير أو الموشى بالذهب وكذلك الثوب المصنوع من جلد الحيوان الذي لا يجوز تناول لحمه وارتداء الثياب النسوية وثياب الكفار وأن يسعى الرجل والمرأة في عدم تجاوز الضوابط الشرعيّة وارتداء ما حرّمه الاسلام على كلّ منهما، كما وحذر الاسلام المرأة والرجل على حدّ سواء من ارتداء الثياب الضيقة التي تجسّد البدن وما يحرّك ويهيج الغرائز الحيوانيّة.

لحظة للتأمّل:

كم تبلغ حياتنا في هذه الدنيا؟ إنّما هي أيام سرعان ما تنطوي وإلى متى سنمكث فيها ونعيش، بل ما هي الأرض التي لا تعدو أن تكون كوكباً صغيراً في عالم الكون الواسع والى متى سنبقى أقوياء في الحياة؟ ان اقامتنا موقته ثم يؤذن بنا للرحيل؟

١ـ وسائل الشيعة: ٢٢١/٢٠، باب ١٢٣، حديث ١.

٢ـ وسائل الشيعة: ٣٨٥/٤، باب ١٩، حديث ٥٤٦٨.

آه ما أشقى اولئك الرجال والنساء وهم يبددون ساعات العمر على الأكل والشرب والكساء أهذا هو الانسان؟ هل يختصر هذا الكائن العظيم في ذلك؟!

أحبتي ان الانسان لأعلى وأسمى لأن قيمته انما هي بالعقل والروح والباطن وبما يشرق على قلبه من الوعي.

يكفي أن يستر المرء جسمه بثوب يقيه الحر والبرد لا تنفق كلّ وقتك ايها الانسان في التأنق انتبه الى الباطن ولا تقصر جلّ همّك على الظاهر.

انني اقسم باللّه انك ايها الانسان سوف تتأوه حسرات في البرزخ وفي يوم القيامة وستطلق آهاتك حرّى في يوم تندم ثم لا يجديك الندم.

عد إلى رشدك وانهض من نومك وانتبه من غفلتك، فكر في ما أنت صائر إليه في ذلك اليوم الذي لا ترتدي فيه سوى مترين من قماش لا قيمة له وقد ادرجت في رمسك وفكّر في حياتك البرزخيّة وتشبث بثياب الخضر لعلّك تحظى بالبركة منه وتنجو من ظلمات المادّة والماديّة.

يقول جمال الدين الاصفهاني يعظ الغافلين:

لقد طلع الصبح من مشرق المشيب ومن ظلمة النوم أضاء الصبح، وليل الشباب اسفر فجأة عن نهار المشيب كالزنجي يصبح رومياً أبداً.

اذا رمت السلامة فابحث عن الحقيقة ولا تسكن بين انياب التنين، وما الحياة سوى نوم وما الموت الاّ صحو وهذه كلمة الحياة ان من يأكل أكثر بقل وكالفانوس ينطفئ لكثرة ما استنفد من الزيت.

والقلب الواعي اذا خيّر ثوباً قميصاً شاء أم كفناً لن يعتني من بهرج الدنيا والمآل موت ونياح فاذا لم تكن ملاكاً فلا تكن شيطاناً.

ولا تغتر بالدنيا فهذه المرأة قتلت آلاف الأزواج ولم تزل بكراً ومت قبل موتك حتّى تصل إلى مكان لا يطرقه الموت.

لو فكّر الانسان لحظة في ما سيؤول إليه وحلّق بطائر العقل الملكوتي وساح في عالم الوجود الواسع الفسيح واطلّ على العالم من فوق قمم الفكر الشاهقة لثاب الى نفسه ولعاد إليه رشده ولعلم أنّ هذه الحياة إنّما هي محطة يتوقّف فيها المسافر ثمّ ينادى للرحيل فيرحل فما هذه الدنيا الاّ ممر وانه يتعيّن عليه التزود للرحيل والسفر الى عالم آخر وما زاده اليه الاّ المعاني السامية وانه عمّا قريب سيمثل أمام محكمة العدل الالهيّة واذا بالنداء العلوي: وقفوهم انّهم مسؤولون.

لو أدرك المرء كلّ هذا لانتهج في الحياة الدنيا طريقاً شعاره البساطة في كل ما يأكل ويلبس وسوف يرفض أن يبدد سنوات العمر في ما يأكل ويلبس لسوف يقنع من الطعام بأيسره ومن الثياب بما يستره ومن الحياة المادية ما يعينه في أداء ما افترض اللّه تعالى عليه من الطاعات.

وسيجعل من نفسه على نفسه واعظاً يرشّد حركته في الحياة وناصحاً يسدده وحكيماً يعلمه كيف يحيا ويعيش وحينئذٍ سيكون مثالاً لغيره وقدوة لمن يقتدي به.

أجل انّ الانسان لقادر على ترشيد سلوكه باستلهام الغوث من أولياء اللّه الصالحين وعباده المتّقين وسيبلغ الحقيقة التي ينشدها ويصل إلى السعادة التي يرجوها.

اللباس في الصلاة:

تعد مسألة لباس المصلّي سواء للرجل أو المرأة من المسائل الاسلاميّة الهامّة فلباس المصلّي والمصلّية يجب أن يكون حلالاً مباحاً من جميع الأبعاد كما يجب أن يكون طاهر نظيفاً.

وفي الاسلام تعتبر الصلاة باطلة في حالة ارتدى المصلّي لباساً تحرمه الثقافة الاسلامية يعني انّ الصلاة في حلّه موشاة بالذهب أو الملابس الحريريّة الخالصة (خاص بالرجل) أو الثياب التي يدخل في نسيجها جلد الحيوان المحرّم تناول لحمه وكلّ لباس يحصل عليه المصلّي من طريق غير مشروع أن كلّ ذلك ممّا يبطل الصلاة.

والانسان الذي ينهض للصلاة عليه أن يعي أنه يقف بين يدي اللّه عزّوجل وأنه في رحابه وحضرته سبحانه وتعالى وعلى هذا على المصلّي أن يجتنب ارتداء كلّ ما لا يرتضيه الرب تبارك وتعالى وعلى هذا الصعيد فانه من باب الأولى أن لا يقتصر ذلك على أوقات الصلاة وانّما ينبغي للمؤمن أن يكون ثوبه طاهراً في كلّ الأوقات.

على الانسان أن يعي جيداً أنّ لباسه لم يكن منسوجاً من حقوق المظلومين وبؤس المساكين وأن لا يكون كل خيط فيه مرتبط بآهة بائس ولا حسرة فقير وأنه لم يأت من سلعة محتكرة كانت عند تاجر حريص وأن لا يكون في ثوبه خيط له علاقة بغصب واغتصاب أو ظلم واضطهاد أو عدوان على العباد والاّ تكون قصة ثوبه الذي يرتديه قصة جواهر التاج الملكي حيث كلّ ما فيها انما هي دموع اليتامى وآهات الفقراء وتأوهات الجياع والبؤساء.

تقول الشاعرة الأديبة پروين اعتصامي:

ذات يو مرّ موكب سلطان في شوارع المدينة.

انطلقت صيحات الأعجاب ولوحت له الايدي من فوق السطوح والشرفات.

تساءل يتيم من بين تلك الجموع ما هذا الذي يشع من تاج الملك.

أجاب أحدهم وما أدرانا به انه يبدو جوهرة ثمينة.

اقتربت امرأة عجوز قد احنا ظهرها الدهر وقالت:

انما هي دموعي ودموع اليتامى.

لقد أوجعنا بالضرب وهو يسوقنا بعصاه فهذا الذئب يعرف القطيع منذ سنين.

وهذا الملك الذي يرتدي التقى ورداء الملك انما هو قاطع طريق يسلب رعيته انما هو شحاذ.

انظر الى كلّ قطرة يتيم سوف ترى.

سرّ الشعاع في جواهر التاج.

پروين ما الذي يجديه فحول الحقيقة؟

وأين ذاك الذي لا يتعذب من النطق بالصدق.

أجل انّ لباس المصلي قضية هامة اذ ينبغي أن يكون نسيجه من القناعة والانصاف والحق والصدق والالتزام بالحلال لأن اللباس والثوب المنسوج من الغصب والظلم والسرقة والعدوان على حقوق الآخرين ومن الرشوة والاحتكار والنصب والاحتيال لا ينسجم مع الصلاة حيث يقف الانسان أمام ربّ العالمين.

ان اللباس الذي يجدر بالمصلّي أن يرتديه يجب أن يتحصّل ممّا يرتضيه المولى وأن يرتديه مرضاةً له وخلاصة القول يجب يجب أن يرتدي حلّة العبوديّة.

جاء في تفسير أبي الفتوح الرازي:

انّ رجلاً انطلق إلى سوق الرقيق ليشتري غلاماً فرأى عبدا وقبل أن يشتريه سأله عن غذائه ولباسه وما يحسنه من العمل؟ فأجابه عن كلّ ذلك فانصرف عنه وذهب إلى غيره فرأى عبداً فسأله: ماذا تحب من الطعام؟ قال: ما يحبه مولاي،

فسأله: وعملك كم يبلغ مداه؟ أجاب: الذي يريده مولاي، فسأله: فأي لباس ترتدي؟ قال: الذي يرتضيه مولاي!

فيا أيها المسلمون ويا أيها المصلّون اجتنبوا ارتداء ما لا يرتضيه مولاكم وسيّدكم وربّكم ربّ العالمين ولتخصصوا حلّة للصلاة يرتضيها اللّه ولا تكونوا أقل من ذلك العبد وهو يحدث مولاه الذي اشتراه.

لا ترتدوا حلل الغرور وثياب التكبّر الزهو والتباهي لأنّها انّما تقودكم نحو هاوية الرذائل ومستنقع السيئات وليكن رداؤكم الأدب والوقار والمحبّة والنظافة والطهر والنقاء والشرف والفضيلة والعفاف والتواضع والانكسار والعرفان أجل ارتدوا لباس العرفاء.

تقول پروين اعتصامي:

قيل لدرويش وهب ثوبه الوحيد:

لم تهب ثوبك ونعليك... وتبقى عارياً؟

وكيف تريق دواءك وأنت عليل؟.

ان من يبذل ويسخو ينبغي ان يكون له من الدنانير بدل الدراهم؟!

فقال يا صاحبي كل من أصحاب القلوب وارتدِ الروح بدل الجسد.

وتخلَّ عن الجسم لتبقى الروح.

وأوثق التنين بالسلاسل ليظل الايمان.

والقباء الذي يصبح به المرء مغروراً.

يجب أن يرمى بعيداً.

وأنت تلج عالم الصلاة المفعم ببركات اللّه عليك أن تعي ان السائرين في

طريق الحق والعاشقين والعارفين يعتقدون وقد رشح عليهم من الوحي وغمرتهم أنوار الأنبياء والأئمّة الطاهرين انه ينبغي أن يكون للمصلين حلتين، حلّة لستر الظاهر يستر بها المرء عورته وأُخرى لستر الباطن وزينة للروح.

وقد جاء في كتاب «**معراج السالكين و صلاة العارفين**» في هذا المضمار: **في ستر العورة وهو لدى العامّة ستر مقابح البدن عن الناظر المحترم وفي الصلاة** ولدى الخاصّة ستر مقابح العمل بلباس التقوى الذي هو خير لباس على الاطلاق وفي وقت الحضور في المحضر بالخصوص ولدى اخص الخواص ستر مقابح النفوس بلباس العفاف ولدى أهل الايمان ستر مقابح القلوب بلباس الطمأنينة ولدى أهل المعرفة والكشف ستر مقابح السرّ بلباس الشهود ولدى أهل الولاية ستر مقابح السرّ بلباس التمكين والسالك اذا وصل هذا المقام ستر جميع عوراته وكان جديراً له الحصور في رحاب الرب ودوام الحضور وان الحق تعالى جلّت رحمته ووسعت ستاريّته هو الستّار لجميع عورات الخلق ومقابح خلقهم.

والانسان الذي يرتدي أنواع الألبسة التي تستر مقابحه الظاهريّة يكون محلاً للحب وتستر مقابح أعماله بستائر الملكوت ولو انّ هذه الستائر والاستار الملكوتيّة لم تكن موجودة على صور أعمالنا نحن عباد اللّه وظهرت صورنا الغيبيّة لفضحنا في هذا العالم وأصبحنا من الأذلاء.

أجل لو لا رحمة من اللّه ولطفه وكرمه الذي غمرنا به وافاضه علينا لما كان لنا مكان وموقع للحياة لكن الحق تعالى جلّت عظمته ستر قبائح أعمالنا عن أنظار أهل العالم وستر مقابح أخلاقنا وصورنا الملكوتيّة الخبيثة بستر الصورة المعتدلة المستقيمة الملكيّة ولا نتهك هذا الستر وظهرت صور ملكات أخلاقنا ولظهروا بصور غير هذه الصور الملكية ولكنا في صورنا الباطنية كما هو الحال في غير هذا

العالم أي في وقت الظهور حيث تنكشف سرائر الامم في يوم تبرز فيه الملكات.

جاء في الحديث الشريف:

قَال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «تُحْشَرُ عَشْرَةُ أَصْنافٍ مِنْ أُمّتى أشْتاتاً قَدْ مَيَّزَهُمُ اللّه تعالى مِنَ الْمُسْلِمينَ وَبَدَّلَ صورهم فَبَعْضُهُم عَلى صُوْرَةِ القِرَدَةِ وبعضهم على صُورَةِ الْخَنازير..»[1].

كما جاء في حديث آخر انّ المتكبّر يحشر على هيئة النمل تدوسه أقدام الخلائق حتّى يفرغ الناس من الحساب[2].

انّ هذه الصورة الانسانيّة إنّما هي الستائر الستاريّة تستر العورات الباطنيّة كما انّ ستر مقابح القلوب والأسرار بالستاريّة الأفعاليّة والأسمائيّة والذاتيّة لكلّ المخلوقات الملكيّة والملكوتيّة على حسب مراتبها ومنازلها.

وعلى السالك في سبيل الآخرة والمجاهد في سبيل اللّه أن يستر عوراته الباطنية والسريّة بالتمسّك بمقام الغفاريّة والستار الحق وبحقيقة التوبة والورود إلى منزل الانابة فيستر نفسه ويستر عوراته.

السالك والمجاهد في طريق المعرفة لا يغفل على كلّ حال في أي لحظة عن اداء واجب العبوديّة والحضور في رحاب الربوبيّة حتّى في الشؤون العاديّة وآداب المعاشرة فيحظى بحظوظ القلوب والأرواح ونعم اللّه واعطياته إذ يشهدها ويراها.

واذن عليه الاّ يغفل عن لباس التقوى وهو الخير وهو يرتدي لباس الظاهر

---

١ ـ بحار الأنوار: ٨٩/٧، باب ٥، صفة المحشر.

٢ ـ وسائل الشيعة: ٣٧٨/١٥، باب ٥٨، حديث ٢٠٧٩٥.

وكما انه يسعى الى ستر عوراته الظاهريّة وعيوبه الجسمانيّة عليه أن يستر عوراته الباطنيّة لأنّها أشدّ قبحاً بكثير.

على المصلّي أن يهدف إلى الحصول على كرامات الحق تعالى وألطافه ذاته المقدّسة وأن يرتدي لباس الظاهر لاداء واجب العبوديّة ولباس الباطن لآداب الحضور في محضر الربوبيّة وأن ينتقي من الألبسة الظاهريّة والباطنيّة أفضلها بما يذكّره بالحق تعالى فلا يغفل عنه.

واذن في اختياره المادّة والهيئة في لباس الظاهر عليه الاّ يختار ما يجعل النفس تتمرّد ويؤدّي الى الغفلة عن الحق أو أن يسلك مسلك أصحاب العجب والرياء والمفاخرة والتكبّر وأن ينتبه الى أن الركون للدنيا حتّى في هذه الأمور له تأثيرات غريبة توجب للمرء الهلاك.

وعليه أن يعلم بأن هذه الآثار تحصل في نفس الانسان من خلال بعض الألبسة الفاخرة وان هذا لمن آفات الدين وقسوة القلب وهذا من أكبر وأخطر الأمراض الباطنيّة.

وأن يدرك في مضمار الألبسة الباطنيّة ان الشيطان والنفس الامّارة تريد الاستحواذ والتصرّف فلا يدع للشيطان منفذاً لذلك ولا للنفس الامارة مثل ذلك فلا يبتلي بالعجب والرياء والفخر والاستعلاء وأن يكون مبتغاه من وراء ذلك الطاعة والكمال والمعرفة والعلم فلا يأمن مكر اللّه في كلّ ذلك فلا يحتقر عباد اللّه حتّى لو كانوا في لباس الأوباش أو كانوا من أهل المعاصي لأن هذا من مهلكات النفس ومن موجبات العجب بالايمان والاخلاق والأعمال ومن هنا تنبع جميع المفاسد.

وعلى السالك وهو يرتدي اللباس أن يتذكر الحق ورحماته الظاهرة ومنها

ستر الذنوب والفضائح والعيوب وأن يذكر اللّه في كلّ ذلك بالاخلاص وصدق المعاملة وأن يزيّن ظاهره بستر الطاعة وباطنه بستر الخوف والرهبة ويتذكّر رعاية الحق ورحمته في أسباب ستر العورات الظاهرة والباطنة وما فتحه من باب التوبة والانابة أمام عباده بستر الستّار والغفّار الحق وما ستره من عيوبه وكما انّ اللّه عزّوجل ستّار العيوب يستر عيوب عباده فانه يحب الستّارين ولا يرضى عمّن يهتك الستور.

واذن فان السالك إلى اللّه ستّار لعيوب عباد اللّه ولا يتلف عمره في الكشف عن أسرار الناس وهو يغض بصره عن عورات وعيوب عباد اللّه ولا يهتك ستراً لأحد ولا عرضاً وكما انّ اللّه هو الستّار لعيوبه عن الآخرين وقد حذر تبارك وتعالى وخوّف من عاقبة من يهتك الأستار عن الناس فان اللّه يهتك ستره عن بعض أعماله وأخلاقه ويفضحه بين الناس.

والمسافر في طريق الآخرة يشغله التأمّل في عيوبه عن عيوب غيره فلا يتجسّس على الآخرين لأنّ هذا لا يجدي نفعاً ولا فائدة في ذلك ولا يجعل من عمله رأسمال يتاجر به الآخرون وذلك من خلال الغيبة وهتك الستر والاّ يغفل عن عيوبه لحظة ولا ينسى لأنّ نسيان العبد الذنوب في الدنيا من أكبر عقوبات الحق في الآخرة لأنّ النسيان يحول بين الانسان وبين جبران ما ارتكب والتوبة عمّا اقترفت يداه من الاثم فما دام الانسان مشغولاً بعمله والتأمّل في عيوبه ونواقص نفسه مجتنباً كلّ ما هو عار في دين اللّه مبتعداً عن الآفات غارقا في بحر ﷻ مستغرقاً في البحث عن لآلئ حكمته فهو من الفائزين، واذا ما نسي المرء ذنوبه وغفل عن عيوبه وكان انانياً معجباً بنفسه منقاداً لهواه معتمداً على حوله وقوّته فلن يفلح اذن أبداً ولن يفوز غداً.

فيا محبوب المحبّين وقبلة العاشقين ويا خالقنا الرحمن الرحيم يا غفّار الذنوب ان وجودي وكل كياني يموج بالعيوب والعلل وعوامل العار والخلل ولو لا سترك الذي سترتني به ولو لا حلّة الستر التي سترتني بها فأيّ عبد من عبيدك يردّ سلامي إن سلّمت عليه وأيّهم يعاشرني فضلاً عن تقديم خدمة لي؟

انّ سترك لي يا رب هو الذي جعلني أحظى عند الناس بالكرامة والاحترام انهم ليتصوّرون انني من عبادك الصالحين.

فيا ويلي ثمّ يا ويلي ويا حسرتي وحزني وبلائي فتكون لي صورتان صورة مستغرقة في الخبث ملوّثة بالرجس وصورة مستغرقة في الأدب والوقار في حين انك تريد مني أن يكون باطني أفضل من ظاهري ويا ويلي من يوم تهتك فيه الأستار فتبدو عيوبي كلّها ونواقصي أمام الأنظار.

اوّاه من يوم أمثل فيه أمام محكمتك يا جبّار والقاضي أنت ورسلك وأنبيائك والأئمّة المعصومين فيا ايها الحبيب لقد سترتني في دار الدنيا بلباس سترك فاسترني في دار الآخرة دار القرار ولا تهتك عنّي سترك يا ستّار!

عدم الاسراف في اللباس:

انه لمن وصايا الاسلام السامية والتي لا ينبغي الغفلة عنها أو اهمالها هو عدم الاسراف والتبذير في كلّ نواحي الحياة ومن بين ذلك اللباس، فلتجتنب الاسراف لأن اللّه عزّوجلّ: ﴿**لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[1] وهو سبحانه يقول: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[2].

١ـ الأعراف ٧: ٣١.

٢ـ الاسراء ١٧: ٢٧.

ان بعثرة الأموال على شراء قطع القماش وخياطتها وارتداء الحلل الفاخرة الغالية الثمن هو من الاسراف في الرؤية الاسلاميّة وان هذا عمل لا طائل من ورائه ان الوجدان والضمير الاسلامي والانصاف ليأبى للانسان ذلك؟ لأن ارتداء الفاخر من الثياب الباهظة الأثمان في مجتمع يعيش فيه أُناس لا يمكنهم ارتداء ما يسترون أجسامهم بل وحتّى أولادهم ان هذا يتناقض مع انسانية الانسان.

ان الدقّة في القضايا الماليّة وموازنة النفقات والتعامل في ذلك بعقلانية واجب أكيد من واجبات المؤمن ان عليه أن يلتزم العدالة والوسطيّة والاعتدال وهذه هي الحقيقة التي يؤكّد عليها الاسلام.

عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «لا يَذُوقُ الْمَرْءُ مِنْ حَقيقَةِ الأيمانِ حَتّى يَكُونُ فيهِ ثَلاثُ خِصالٍ: اَلْفِقْهُ فِى الدّينِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَصائِبِ وَحُسْنُ التَّقْديرِ فِى الْمَعَاشِ»[1].

عَنْ أَبى عبدالله عليه السلام قَالَ: «إِنَّ الْقَصْدَ أَمْرٌ يُحِبُّهُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّ السَّرْفَ أمرٌ يُبْغِضُهُ حَتّى طَرْحِكَ النَّواةَ فَإِنَّها تَصْلِحُ لِشَيْءٍ وَحَتّى صَبُّكَ فَضْلَ شَرابِكَ»[2].

زيّ المرأة:

موقع المرأة قبل الاسلام:

كل من له وجدان وضمير عندما يطالع ويقرأ تاريخ الانثى المؤسف وعند ما يطلع على حجم الجرائم التي تعرّضت لها المرأة هذا المخلوق الرقيق عبر فصول

---

١ ـ قرب الإسناد: ٤٦؛ بحار الأنوار: ٣٤٦/٦٨، باب ٨٦ حديث ٨.

٢ ـ الكافي: ٥٢/٤، باب فصل القصد، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٤٦/٦٨، باب ٨٦ حديث ١٠.

التاريخ فانه سوف يرتجف هلعاً ويحني رأسه خجلاً ! ان الامم والشعوب التي انتهجت غير النهج الالهي تعاملت مع المرأة بكل قسوة وظلم وعلى كافّة الأصعدة وكانت الرؤية السلبية ازاء هذا المخلوق اللطيف بعيدة عن كلّ الحدود الآدميّة وخارجة عن اطار الكرامة الانسانيّة.

وقد أُلّفت في هذا المضمار عشرات الكتب في الشرق والغرب وكان قصب السبق في ذلك للمفكّرين المسلمين ان التعرّض للحديث حول موقع المرأة خارج مهمّة هذا الكتاب الاّ ان من المناسب الحديث عن ذلك في اطار الرؤية الاسلاميّة حول المرأة وما ترتديه من ازياء وما تتزيّن به من زينة وأي الأشخاص يعدون من المحارم وأيّهم يعد من غير المحارم وما يحرم عليها البروز أمام انظارهم.

وأرى من الضروري استعراض حال المرأة لدى الشعوب والأُمم حتّى يعلم القارئ العزيز ان الاسلام هو العقيدة والمدرسة الوحيدة التي افردت للمرأة موقعاً رفيعاً على جميع الصعد وفي جميع مجالات الحياة وان الاسلام يحث المرأة على أن تطوي طريق التكامل الانساني وهذه هي ادبيات الاسلام تشهد على هذه الحقيقة.

جاء في العديد من الكتب والدراسات التي تعرضت إلى توصيف موقع المرأة لدى الأُمم القديمة فهي لدى بعض الشعوب والأقوام وسيلة لادارة حياة الرجل وهي احدى الوسائل التي يمتلكها ووظيفتها توفير أسباب المتعة واللذة للرجل اذ يتعيّن عليها الاستجابة لشهواته ونزواته وأن تنجب له الأولاد وأن تخدمه فهي جارية من جواريه !

ولذا فقد حظر على المرأة أن تتعلم القراءة والكتابة وطلب العلم لأن ذلك

يعد خطراً كبيراً ولا يحق لها مغادرة المنزل أبداً لأن ذلك يوجب الفساد ولا يوجد مكان أنسب لها من جدران البيت الأربعة.

ويجب سلبها كلّ الصلاحيات فلا خيار لها أبداً أمام ارادة الرجل لأنّ الرجل هو وحده الذي يفعل ما يشاء.

وفي الامم المسيحيّة وصل التفريط في موقع المرأة ان اعتبرت كفم الكلب حيث يتوجب تكميمه وأن روح الملكوت منفصل عن المرأة واحتدم الجدل هل ان روحها انسانيّة أم لا؟!

وفي افريقيا كانت المرأة في حكم السلعة وجزءً من ممتلكات الرجل كما البقرة والخروف فكلّ من يملك نساءً أكثر فانه يكون الاثرى والاغنى فالمرأة كانت تباع وتشترى وكانت تستخدم في حراثة الأرض وكان ذلك أمراً عادياً تماماً!

وكانت المرأة لدى الكلدانيين والبابليين تعامل كأي سلعة من السلع فهي معروضة في الأسواق حيث تقام الأسواق سنوياً خصيصاً لبيع وشراء النساء.

وفي الهند كانت البنت اذا بلغت الخامسة زوجت وهي لا تملك أي حق من الحقوق الانسانيّة فحياتها ووجود طفيلي على حياة الرجل واحياناً كانت تحرق مع جسد زوجها عند موته!!

وفي الصين والتبت لا تمتلك المرأة أية حقوق سواء اداء الأعمال الشاقّة في المنازل والدور والقصور وكانوا يلبسون بناتهم احذية من الحديد لكي تبقى صغيرة وتكون أكثر ثمناً عند البيع.

وفي اليونان كانت المرأة تعيش حياة بائسة وعند ما تنجب المرأة ثلاث بنات على التوالي تحكم بالاعدام وتعلّق على الصليب!!

وفي جزيرة العرب قبل انبثاق نور الاسلام عاشت المرأة أسوأ الظروف وكانت المخلوق الأدنى في المجتمع بل ان المرأة عار أساساً لدى العرب يومذاك وعند ما يبشر الرجل بولادة بنت اسودّ وجهه ثمّ يفكّر في قتلها وفي دفنها حيّة ووأدها.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[1].

هكذا كان العربي في العصر الجاهلي يتلقى نبأ ميلاد البنت !

وكان تعدد الزوجات لا يقف عند حدود معينة فالأمر مرتبط بثراء الرجل واستعار شهواته، وكانت الزوجة تحسب ضمن الميراث فامرأة الرجل المتوفى تصل إلى ابنه الأكبر من ضمن الميراث وهو مخيّر اذ يمكنه اتخاذها زوجة له ! أو أن يهبها لمن يشاء ولقد كان العرب يومئذ ينظرون إلى هذا الكائن الانساني الكريم على أنه أدنى منزلة من الحصان والجمل والمرأة لديهم جزءً من المتاع ومصدراً من مصادر اللذة والاستمتاع وقضاء الوقت.

موقع المرأة في الغرب المعاصر:

ما ذكرناه آنفاً كان حول المرأة قبل الاسلام أما المصائب التي صبتها الأُمم الحديثة التي انفصلت عن الدين وبما يعرف من حضارة القرن الثامن عشر فهي مصائب كبرى قد عمّ شرّها الشرق والغرب ولا تقاس مصائب المرأة في المجتمعات قبل الاسلام بما تعانيه في الوقت الراهن.

١ـ النحل ١٦: ٥٨ ـ ٥٩.

ان المرأة في القرون الأخيرة لم تكن سوى سلعة ومتاع للهوى وربما استخدمت للتجسس وملء جيوب المخنثين الدوليين والظالمين، لقد منحت المرأة حريّة مطلقة فلا قيد وحدّ ولا شرط اذ انها تغادر دارها ومنزلها تدور في الشوارع والأزقة وتغزو المؤسّسات ومراكز الفحشاء لا يردعها رادع من عفة وحياء ولا خلق ودين.

واذا هي في كل مكان في الاذاعة والتلفزيون والمسرح وعلى شاشات السينما، ولقد كانت فيما مضى تنعم في خدرها يحفظها حجاب وستر عن أعين الذئاب البشريّة فإذا بالشيطان يهجم وينتهك الحجب والأستار ويقذف بالمرأة عارية الى قطعان الذئاب وتسببوا في خسائر اخلاقيّة فادحة واذا بنظام الحياة السامية ينحط الى الحضيض واذا بالفساد ينخر في جسم المجتمع، ان الهجوم الذي شنته جاهلية العصر الحديث على الاخلاق والقيم الانسانيّة هو هجوم لا نظير له في التاريخ، وان ما تتعرّض له الانسانيّة من ويلات ومحن انما مردّه إلى انحلال المرأة وانحطاطها وسحق كرامتها وليست المرأة اليوم تدرك حجم وهول البلاء والطامة الكبرى التي سقطت على رأسها.

وقد استعرض الكاتب الكبير محمّد قطب من علماء مصر البارزين وله مؤلّفات قيّمة عديدة وقد تجول في بلدان كثيرة ـ في كتابه الشهير «**جاهلية القرن العشرين**» جانباً ممّا تعيشه المرأة في ظل الحضارة الحديثة وما وصلت اليه الأخلاق حيث نخر الفساد والانحطاط على صعيد القضايا الجنسيّة فوصل الى النخاع وعند ما اندلعت الحرب العالميّة الثانية كانت فرنسا مركزاً رهيباً للفحشاء وقد غاصت في مستنقع الانحراف الجنسي ولذلك انهارت فرنسا وهي الدولة العظمى في غضون أيّام مع كلّ ما كانت تملكه من سلاح ومعدّات

وكانت تمتلك سلاحاً حربيّاً حديث الصنع وكان لديها خط دفاعي اسطوري هو «خط ماجينو» ومع ذلك انهارت وسقطت أمام الهجوم الالماني ولم يكن لهذا السقوط علاقة بالمعدات والسلاح والخطط العسكريّة بل ان فرنسا يومذاك كانت تفتقد المعنويات والروح القتاليّة ولم يكن لدى الانسان الفرنسي أي شعور بالكرامة والشرف والعزّة كان هاجس فرنسا الآ تتعرّض المراقص للقصف والدمار والملاهي إلى الخراب ومن أجل هذا ركعت فرنسا أمام الالمان بعد اسبوعين فقط من الحرب.

أمّا الولايات المتّحدة الامريكيّة فقد صرّح الرئيس كندي في عام ١٩٦٢ بأن الصرح الامريكي يواجه الخطر ذلك ان جيل الشباب في البلاد ضعيف وخامل وفاسد وغارق في الملذات والشهوات وانه يفتقد القدرة على تحمّل المسؤوليّة وأنّه من بين كلّ سبعة من الشبّان المتقدّمين للخدمة العسكريّة يفتقد ستّة منهم الأهليّة لذلك لأنّ الشهوة والاستغراق في الجنس أفقدهم الروح والحالة النفسيّة المتوازنة.

أمّا في بريطانيا فانه يمكن الاشارة إلى الاعتراف الرسمي والقانوني بالعلاقات المثليّة وتعرض الأسرار العسكريّة للخطر جرّاء اقدام وزير الدفاع على الزواج من امرأة عاهرة!!

أمّا في روسيا فقد صرّح رئيس الجمهوريّة في عام ١٩٦٢ الى أن روسيا تتعرّض للخطر في المستقبل وان جيل الشباب الروسي يبعث على القلق لأنّه ضعيف ومستغرق في الممارسة اللا أخلاقيّة.

أمّا أرقى دول العالم التي تدعى دول الرفاه وهي دول شمال اوربا (الاسكندنافية) فاننا نواجه شباناً خارجين على القانون الاخلاقي فهم مدمنون على الحشيش

والافيون وأنواع المخدّرات الاخرى يهدرون قدراتهم الخلاّقة في المفاسد الاجتماعيّة وتشكيل عصابات السلب والاغتصاب ما جعل حكومات تلك الدول وعلماء الاجتماع يشعرون بالرعب الشديد.

وما أشرنا إليه ينحصر فقط في المسائل والقضايا الجنسيّة التي تشكل جانباً من جوانب الحياة الاجتماعيّة والانسانيّة ولكن التفسّخ الأخلاقي والاجتماعي لن يبقى في هذا الاطار وانما ينفذ في كلّ مجالات الحياة الانسانيّة.

ففي امريكا ثمّة عصابات مخيفة تتألّف من مسؤولين في الدولة وعلماء ومحامين وأطبّاء وحتّى كتّاب ورجال قانون وهدفهم إعداد واستخدام النساء لتحقيق أهداف ومقاصد قانونيّة.

فمن المعروف ان العقيدة الكاثوليكيّة تحرّم الطلاق الاّ بعد أن يثبت ارتكاب أحد الطرفين للزنا واستناداً الى وقوع جريمة الزنا يمكن للزوج أو الزوجة أن تقدّم طلباً في طلب الطلاق.

وانطلاقاً من ذلك فانه اذا أراد أحد الزوجين الانفصال عن زوجه ورغب في انهاء الحياة الزوجيّة استعان بإحدى هذه العصابات ودفع استحقاقات ماليّة لقاء دفع الزوج أو الزوجة إلى ارتكاب فعل الزنا ثمّ تسليمه الى الشرطة وكتابة محضر يؤيّد وقوع الخيانة الزوجيّة ومن ثمّ استكمال الاجراءات القانونيّة الاخرى للطلاق.

وهناك في امريكا أيضاً عصابات مهمتها المتاجرة بالفتيات حيث يمكن للأغنياء والاثرياء الحصول على ما يرغبون من الفتيات ومن كافّة الاعراق والأجناس البشريّة !

وكلّ هذه الانهيارات وكلّ هذا السقوط انما حدث جرّاء الهجوم على المرأة

والاطاحة بصرحها الانساني والقضاء على ستر العفاف وسحق الحياة الانثوية وما تعرضت له المرأة من ويلات في الثورة الصناعيّة ما أدّى إلى تمزّق العلاقات الاسريّة وانفراط عقد الاسرة والعائلة.

ففي تلك الفترة شهدت الارياف نزوح وهجرة الشباب الى المدن وانهيار الحدود الأخلاقيّة فالشباب لم يكن باستطاعتهم تشكيل الاسرة فسقطوا فريسة العلاقات الجنسيّة خارج الزواج فقضاء هذه النزوة لا يكلفه الكثير بينما الزواج يحتاج إلى امكانات ماليّة لم يكن يملك منها شيئاً وهكذا عمّ الفساد المجتمعات المدينيّة.

وكان لدخول المرأة ونفوذها في المصانع والمؤسّسات والدوائر قد أفضى إلى ابتذالها وسهولة الايقاع بها خاصّة وأنها تجد نفسها مضطرة لتأمين لقمة العيش لها ولمن تعيل ما أدّى إلى أن تزاحم مناكب الرجال وقد شددت الصهيونيّة العالميّة من وتيرة نفوذ المرأة في كلّ مكان فتصاعدت وتيرة الفساد والافساد فكانت المرأة في طليعة ادواتهم ووسائلهم في افساد وانحطاط الامم والشعوب للسيطرة على مقدّرات الدول والبلدان حتّى ليبدو ان ماركس وفرويد ودركايم أعضاء في تلك العصابات الرهيبة من خلال تقديمهم نظريات على انها علميّة والاستخفاف بالقيم الأخلاقيّة فكان لكلّ منهم دوراً في تدمير جانب من المنظومة الأخلاقيّة وفي كلّ الأحوال كانت المرأة هي رأس الحربة في تحقيق ما كانوا يهدفون اليه.

لقد استنزلوا المرأة من علياء موقعها الانساني إلى مستنقع الشهوة الحيوانيّة وتكون في متناول الرجل متى ما أراد العبث بها.

ثمّ جاءت السينما الاباحية التي هي صناعة يهوديّة في الأساس لتعضد الاذاعة

والتلفزيون في دفع مشاريع الافساد الى الامام واحداث ثورة في العلاقات الجنسيّة ومن ثمّ السقوط الأخلاقي المريع في حياة حيوانيّة فشهدت وتيرة السقوط القيمي في المجتمعات تسارعا وشهدت الحياة الاجتماعيّة انهيار الحواجز جميعاً وحديت الاختلاط بين الجنسين على نحو مخيف واطلق العنان للرغبات المجنونة والنزعات الحيوانيّة.

وتصاعدت جرّاء انهيار العلاقات القائمة على الحب وتيرة الانتحار وتشير احصاءات الاغتصاب الجنسي والعلاقات الجنسيّة اللامشروعة إلى أرقام مخيفة وانتشرت ظاهرة فرار الفتيات والأولاد من البيوت والهروب من محيط الاسرة وانهيار العلاقات العائليّة وتفاقمت ظاهرة العلاقات التي يقيمها اراذل الرجال مع النساء المتزوّجات وجنوحهن الى عمليات اجهاض الجنين إلى جانب الادمان على المخدّرات وأنواع الانحرافات الاخرى التي تفتك في المجتمعات الحديثة وكلّ هذا هو في الحقيقة معلول إلى الوضع اللا انساني الذي تعيشه المرأة اليوم والذي يعود في جذوره الى ثقافة القرون الأخيرة ومنح الحريّة المطلقة للجنس اللطيف وسط غابة تضج بالذئاب التي لا ترحم.

موقع المرأة في الاسلام:

يرفض الدين الاسلامي تماماً الأوضاع التي عاشتها المرأة قبل انطلاقته وما تعيشه المرأة في ظل الحضارة الحديثة، وهو ينظر إلى تعامل الرجل مع المرأة على هذا النحو على انه خيانة كبرى ويعتبر الرجل مذنباً اذا تعامل مع المرأة على انها مجرّد وسيلة للاستمتاع ومصدراً للهو واللذّة فهو في هذه الحالة يعامل على انه مجرم وخائن كبير.

انّ الاسلام ينظر إلى المرأة على أنّها نصف الكيان الانساني وان استمرار حياة النوع البشري انما يحصل ببركة هذا الكائن.

والاسلام يعترف رسمياً بشخصيّة المرأة الفطريّة والوجدانيّة والانسانيّة وانها تماثل الرجل في ذلك تماماً وان الآصرهالتي تربط المرأة مع الرجل الكفؤ انما هي ميثاق الهي مقدس يقول الاسلام انّ الرجل الذي يربّي ابنته تربية الهيه ويسعى في تنشئتها نشأة صالحة فانه يحصل على ثواب عبادة سنة عن كلّ يوم من عمرها.

والاسلام يقول انّ الام التي تلقم وليدها الثدي تحصل على ثواب عتق انسان مملوك من نسل اسماعيل في سبيل اللّه عن كلّ رضعة لطفلها.

ويقول الاسلام انّ البنت بمنزلة الرحمة الالهيّة تنفتح على البيت الذي ولدت فيه ونشأت في ظلاله.

ولقد قرّر الاسلام للمرأة حقوقاً تدعو إلى الاعجاب الشديد والاسلام يثيب المرأة على العمل الصالح يوم القيامة بقدر ما يثيب الرجل.

وشخصيّة المرأة أمام الرب تبارك وتعالى رهن بالايمان والعمل الصالح ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة.

وللمرأة القابليّة للرقي والتكامل الأخلاقي وبلوغ قمم المجد الانساني لتصبح في مجد مريم البتول وفاطمة الزهراء وزينب الكبرى.

وهذه آيات القرآن الكريم والروايات المأثورة عن المعصومين تدلّ على مقام المرأة ومنزلتها الرفيعة.

والاسلام يهتم بالمرأة من لحظة الميلاد وإلى أن تنشأ وتترعرع وتصبح زوجة تدير شؤون البيت وهي عبر مراحل حياتها لها من الحقوق الكثير ابنة وزوجة

وأمّاً وان معاملتها بالحسنى من أخلاق الانبياء ويعدّ الاسلام العدوان وانتهاك حقوق المرأة من أكبر الذنوب وان الاساءة اليها ظلم كبير.

والاسلام يقول انّ الجنّة تحت أقدام الامّهات[١] وانّ عاق الوالدين مطرود من رحمة الله[٢].

والاسلام ومن أجل أن يحافظ على صرح الحياة العائليّة ويصون البيئة المنزليّة من كلّ اشكال التلوّث الأخلاقي يطلب من المرأة التزام حدود الأدب والعفّة والكرامة والشرف والآداب الالهيّة والقيّم الانسانيّة ومن أجل هذا يحذر الاسلام من الوقوع في حبائل المعاصي والآثام والتبرّج والسفور، وأن التزام التقوى هو الذي يمنح المرأة وقاراً ويزيدها جمالاً وأن قيمة المرأة في الاسلام انّما تكمن في طهرها وعفافها وفي تقواها وهذه السيّدة فاطمة الزهراء تنظر إلى قيمة المرأة من خلال ذلك.

انّ على المرأة أن تدرك انّ القوانين الدينيّة التي جاءت في مسألة العفّة والعصمة واللباس والزينة انّما هي في صالح المرأة وحماية لها ثمّ تأتي مصلحة الاسرة والمجتمع وعليها أن تعي ان التمرّد على هذه القوانين هو الذي جرّ الويلات والدمار على الامّة الاسلاميّة وتسبّب لها بخسائر جسيمة لا تعوض.

انّ على المرأة المسلمة أن تسلك الطريق الذي رسمته مريم العذراء وفاطمة الزهراء وزينب الحوراء والسيّدة آسية وخديجة الكبرى وأن تجعل من الشرف تاجاً لها والعفّة هالة نور تجلّلها والتقوى حصناً يحفظها ويصونها.

انّ شخصية المرأة تنهض على العلم والتقوى والطهر والنقاء في جميع مجالات الحياة.

١ـ مستدرك الوسائل ١٨٠/٥، باب ٧٠، حديث ١٧٩٣٣.

٢ـ الخصال ٢٠٣/١، حديث ١٨.

المرأة مرأة يعني انها انسان وآدمي يعني انها خليفة اللّه في الأرض يعني انها ام يعني انّها المربيّة لبني آدم انّها أُمّ الأنبياء والأئمّة الأطهار وانّها الرحم الذي انطوى على الحكماء والعرفاء والفلاسفة والعلماء وكلّ من تأدّبوا بآداب السماء وما أكبر البون الشاسع بين هذه النسوة وبين من أصبحن دمى في أيدي الزناة والمنحرفين !

انّ القرآن الكريم لا يجيز للنساء أن يعرضن زينتهنّ أمام من هم غرباء غير المحارم أو أن تتحدّث بغنج معهم بحيث تتسلّل الى قلبه الفتنة أو أن تمشي بطريقة تكشف عمّا تحمله من زينة فيسمع خشخشة الأساور الذهبيّة أو أن يفوح عطرها بما يجذب إليها الغرباء.

انّ المرأة في الاسلام كائن الهي ولذا يجب ان تكتسب لوناً الهياً في المنزل وفي المحافل الاجتماعيّة وأن تصون نفسها من أن تمتد إليها الأيادي الملوّثة والنظرات المتشهيّة الجائعة وهذه آيات القرآن تؤكّد على ذلك.

المرأة في الاسلام كائن أصيل وحقيقي وليس وجوداً طفيليّاً تابعاً وذليلاً ومن هنا تتمتّع المرأة بمنظومة حقوقيّة راقية وان الرجل ملزم باحترام كافّة حقوق المرأة الفطريّة والطبيعيّة والزوجيّة والأخلاقيّة، حيث يتوجب عليه الانفاق، وتوفير الكساء والسكن والالتزام بكافّة حقوقها في الحياة المشتركة.

حدود الزي النسوي في الاسلام:

يحق للمرأة ارتداء الألبسة والثياب الموشاة بالذهب والملابس الحريريّة وأنواع الزينة من جواهر ثمينة وحلي الذهب على أن تحصل على كلّ ذلك من طرق مشروعة وأن تتزيّن بكلّ ذلك في الظروف الطبيعية يعني الاّ يكون مجتمعها

يمرّ بضائقة اقتصاديّة وأزمات معيشيّة صعبة ويتوجّب عليها الاّ تعرض زينتها على الملأ العام؛ ولهذا فهي ملزمة بارتداء الحجاب الشرعي؛ وفي الحقيقة انّ الحجاب يمثّل حصنها الحصين المعبّر عن التقوى الذي هو خير لباس يصون المرأة ويحفظ لها كرامتها الانسانيّة.

انّ الالتزام بالحجاب المشروع يعني احترام الوحي الالهي واحترام آلاف الأنبياء الذين جاهدوا وكافحوا من أجل أن يحافظ الانسان على انسانيته وكذلك احترام وتقدير جهود الأئمّة الأطهار والفقهاء والعرفاء والحكماء والمصلحين.

ان الالتزام بالحجاب الشرعي يعني احترام العفّة والطهر والنقاء والأخلاق والكرامة والشرف الانساني.

انّ الالتزام بالحجاب الشرعي يعني صيانة نظام الاسرة من التصدّع والانهيار والوقاية من خطر الممارسات اللا أخلاقيّة والمحافظة على الأُسرة من أخطار الطلاق والانفصال.

والحجاب حكم قرآني صريح وهذه سورة النور تعلن بصراحة وفي العديد من آياتها وكذلك سورة الحجرات والانعام وأن الذي ينكر هذه الأحكام هو في حكم من ينكر ضرورة من ضرورات الدين وهو خارج عن حدود الاسلام.

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِى الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللّه جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

وانطلاقاً من اعتبار أهل بيت الوحي وأزواج النبيﷺ معياراً للامّة جمعاء فقد اتّجه الخطاب القرآني الى أزواج النبيﷺ في حين ان الخطاب يشمل كلّ نساء الامّة، فالقرآن يصرّح بشكل واضح وأكيد على ضرورة التزام أزواج النبيﷺ بالحجاب الى الحدّ الذي لا يطمع بهن ذووا القلوب المريضة كما الزم القرآن أزواج النبي بالتحدّث مع الغير من وراء حجاب وبطريقة لا توحي باية دلالات خارج الألفاظ ومعاني الكلمات.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِىُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللّه غَفُوراً رَّحِيماً﴾[2].

والجلباب يعني القميص أو الثوب الواسع ويتألّف من غطاء للرأس ينسدل الى الأسفل فيغطي معظم الصدر فهو أكبر من غطاء الرأس وأصغر من العباءة.

وعلى أيّة حال يحق للمرأة أن ترتدي بما يناسب شأنها من الزينة على أن لا تتبرّج ولا تتغنج أمام الملأ أو غير المحارم، وأن انتهاك هذه الحدود الالهيّة

١ـ النور ٢٤: ٣١.

٢ـ الأحزاب ٣٣: ٥٩.

يعرّض المرأة الى العذاب في يوم القيامة.

فعلى المرأة وهي تغادر بيتها وتكون في معرض الأنظار أن تلتزم بالحجاب الشرعي فتغطي وتستر ما أمرت به الشريعة بستره عن غير المحارم وأن تتجنّب في سلوكها من مشي وكلام كلّ ما يثير الرجل ويحرّك غرائزه ولتعلم بأن كلّ ما جاء به الأنبياء وما روي عن الأئمّة والأولياء والعلماء والعرفاء انّما هو في صالحها ولا يهدف الاّ إلى خيرها في الدنيا وضمان مستقبلها في الآخرة يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

وانّه لا طريق لتكامل المرأة ورقيها الأخلاقي والانساني الاّ بسلوك الطريق الالهي الذي أضاءه الأنبياء والأئمّة والأولياء.

وأنّه ينبغي للمرأة أن تدرك ان اللّه عزّوجلّ له الحجّة البالغة على جميع الأُمم والأقوام عبر فصول التاريخ وأنّ اللّه سبحانه نصب لكلّ قوم وفي كلّ زمان حجّة ودليلاً وأنّه تبارك وتعالى يحاسب الناس يوم القيامة على انتهاك حدودة وأوامره ونواهية وانه لفي طليعة الآثام التي يحاسب عليها الانسان يوم القيامة هي مظاهر الانحلال الأخلاقي والتفسخ الاجتماعي.

الاقتداء:

أجل لقد شاء اللّه مصدر الفيض المطلق القدير أن ينصب لكلّ قوم وامة علماً هادياً؛ حكمة من لدنه ورحمة منه لكي ييسر لكلّ طالب كمال أن يحتذي بالمثال، ولقد أرسل اللّه سبحانه رسلاً وجعل لكلّ نبيّ وصيّاً، فالأنبياء معلّمون هادون مهديّون يعلمون الناس ويهدونهم الى طريق الفلاح والتكامل والصلاح والرقي والنجاح.

ومن حكمته جلّت قدرته انه لا يكلّف نفساً الاّ وسعها فهو لا يحمّل عباده فوق ما يطيقون ولا يطلب منهم ما لا يستطيعون ولا يرسم لهم طريقاً ثمّ لا يبعث لهم هادياً يهديهم إليه ودليلاً يدلهم عليه.

ومن رحمته سبحانه بعباده أن جعل لهم في كلّ عصر مثالاً يحتذى وانساناً كاملاً به يقتدى، فهو يضيء لهم الطريق ويرشدهم الى الحقيقة.

ولو تأملت في تاريخ الأقوام والأُمم والشعوب ودرست حياتها عبر عصور التاريخ وفصوله لرأيت كيف يضيء النور عند ما تشتد ظلمات الجهل وكيف يقدح كلمات الحق عندما يعمّ ضجيج الباطل وكيف تتألّق الفضائل عند ما تجثم ظلمات الرذائل.

فلا توجد امة من الامم ولا قوم من الأقوام الاّ وينبغ فيها أشخاص ممتازون قد آتاهم اللّه بسطة في الجسم والعلم قد أشرقت عقولهم بنور المعرفة وسطعت أنوار الحقيقة على قلوبهم العارفة.

واذا بك ترى في كلّ امة انساناً قد بلغ من الرقي الأخلاقي والكمال الانساني ما يجعله معلّماً لقومه وهادياً لمجتمعه وعلماً لبلاده.

وانّ المنصف ليعترف انه بين الفينة والاخرى وعبر فصول التاريخ الطويل يظهر اناس قد نبغوا في العلم أو تألّقوا في الفكر وأصبحوا ابطالاً في دنيا الفروسية والنبل قد حازوا قصب السبق في ميدان الفضائل وبزوا غيرهم في طريق التكامل فاذا هم قد سموا الى ما فوق البشر واذا نسبة تفوقهم على غيرهم كنسبة تفوق الانسان على الحيوان.

وهؤلاء رجال اللّه أنبياء وأئمّة أوصياء وعلماء أولياء وحكماء وعرفاء وهداة الانسانيّة، أرواح كاملة ونفوس تامّة قد انعكست في قلوبهم صفات اللّه وتألّقت

في أعماقهم أسماؤه الحسنى سبحانه فهم كلمة اللّه العليا ومثاله للورى قد فاقوا البشريّة وأصبحوا نفوساً ملكوتيّة.

ومن أجل ذلك يدرك الظامئون الى الحقيقة انهم ينابيع الحقيقة وفي سيرتهم تكمن الطريقة.

وهذا الكمال المنشود تلتقي عنده وتتجلّى فيه أبعاد الجسم والقلب والعقل ولا يوجد فيه ما يتناقض مع قانون الطبيعة بل انه هو نتيجة للتكامل وثمرة الطبيعة الناضجة، ذلك انّ الطبيعة نفسها ترافق من يطوي الطريق الى الكمال والانسان مطلوب منه وبما ينطوي عليه من قدرات أودعها اللّه في أعماقه أن يبادر الى اكمال الطبيعة لكنه لن يستطيع ذلك ما لم يستمد العون من الأنبياء والأئمّة والأولياء فهم المربون والهداة الذين جعلهم اللّه أعلام المثال والطريق الى الكمال.

وانّ العقل المجرّد من الأهواء ليحكم بوجود هذا الكمال المنشود ووجوب السير على هداه.

ولو طهّرنا قلوبنا من ضباب الهوى ونزعات النفس وأهوائها وضجيج المادّة وأصدائها، لسمعنا نداء الفطرة في الأعماق وتفجّر نبع الشوق الى طيّ الطريق الى الكمال في الآفاق؛ لأن نيل الكمال هدف الانسان وغايته ذلك ان ارواحنا المجرّدة تعلن عن وجودها في كلّ دقائق الحياة وأنها قد هبطت إلينا من علياء الملكوت تحمل معها شوق العودة الى عالم البهجة والمسرّات وعالم الخلود الخالي من الآفات وهي لا تنسى ذلك ما دار الفلك الدوار وتعاقب الليل والنهار.

وعليه فان بلوغ الكمال المنشود حاجة فطريّة ونزعة غريزيّة ساكنة في الروح متوهجة في القلب بل انها الهدف الذي من أجله هبطت من عالم الملكوت الى عالم الناسوت لكي تطوي طريق الرقي والكمال وتنتقل من حال لحال عبر طبقات

العالم المادي تكميلاً للنفس واكتساب المعرفة وادراك الحقيقة التي هي درجة الكمال المنشود لأنه ثمّة فرق بين الوجود وبين القدرة والوعي.

فالانسان في مبدأ أمره في هذا العالم فاقد لكلّ شيء سوى الجسم والروح خال من كلّ المعارف ويتوجب عليه أن يتدرج في مراحل الكمال في احضان هذا العالم الى أن يصل الى مقام القدرة الفعّالة والمعرفة المدركة البالغة لذاته، يعني بلوغه الكمال المطلوب في اكتساب القدرة والصفة الالهيّة والصعود لكي يتمكّن بالنيابة عن ذاته المقدّسة ببلوغ العوالم الجديدة وبوسيلة العبوديّة والطاعة يبلغ مقام الربوبيّة وكما قال الامام جعفر الصادق عليه السلام:

«العبوديّة جوهر كنهها الربوبيّة»[1].

وكما يقول عرفاء الحقيقة انتزاع الاثنية وبلوغ مقام الوحدة وعلى ذلك يجب القول ان المربي الحقيقي هو من يستشعر في أعماقه الحس اللطيف السامي للخدمة باعداد الوسائل اللازمة للتكامل الجسماني والعقلي والقلبي للنفوس الآدميّة وهذا الاحساس هو الاحساس بالمسؤوليّة الذي يتولّد عنه شوق مشتعل متوهج مرتبط بالقدرة المطلقة ينجم عنها الفداء والتضحية[2] ونكران الذات.

وهذه الحقيقة مضطرمة في نفوس الأنبياء والأئمّة الأوصياء، فهم على اتّصال عميق بالوحي الالهي تتوهج في أعماقهم شعلة الحس الانساني لانقاذ البشريّة.

انّ على كلّ رجل وامرأة أن يدرك انه لا طريق للكمال الاّ بسلوك طريق اولئك الكرام ولا يمكن بلوغ الكمال المنشود الاّ من خلالهم والاقتداء بهم والسير

١ـ مصباح الشريعة: ٧، باب الثانى.

٢ـ الأُصول الأساسيّة في فن التربية: ١٣٦.

على خطاهم والاّ فان المنزلقات لهم بالمرصاد والهاوية السحيقة بانتظارهم وعندما ينفصلون عن طريق الأبرار فسوف تتلقفهم هاوية ما لها من قرار.

فكيف يرجو الفلاح رجال ونساء وهم ما فيه من الضلال في لباسهم وطعامهم وسلوكهم وأخلاقهم؟ كيف يرجو الفلاح رجل استحال الى اداة من أدوات الشيطان وامرأة أضحت العوبة بين أيدي رجال باعوا ضمائرهم وانطفأ النور في أعماقهم؟

وها هم الأنبياء والأئمّة الأولياء يدعون الانسان الى الكمال والى بلوغ مجد الحياة الانسانيّة وها هي الشريعة السمحاء بما فيها من أحكام وقيم ترسم الطريق الى السعادة وها هي أبواب السعادة مشرعة فيها الى التحرّر من أسر الشيطان وأغلال المادّة للانطلاق في رحاب الحياة الشريفة بعيداً عن ادران الشهوات وعبوديّة الملذات الحيوانيّة. هيّا لاستعادة تاج الكرامة الانسانيّة ﴿**كَرَّمْنَا**﴾[1] وبلوغ المقام الالهي في خلافة اللّه ﴿**إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[2].

وهيا نصغي الى كلمات الامام الصادق في «**مصباح الشريعة**»:

«وأمّا اللباس الظاهر فنعمة من اللّه تعالى تستر بها عورات بني آدم هي كرامة أكرم اللّه بها ذريّة آدم ما لم يكرم بها غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض عليهم».

أجل انّ الانسان المؤمن هو في حقيقته عاشق للحق يجعل كلّ شيء في طريق العشق وليس اللباس فقط فهذا لا شيء انّ المؤمن ليحيا من أجل اللّه ويموت في سبيله ولا ينشد غيره ولا ينشغل باله الاّ به ولو وضعوا العالم بين يديه ما اكثرت له اذا لم يكن في ذلك حبّ اللّه.

١ـ الاسراء ١٧: ٧٠.

٢ـ البقرة ٢: ٣٠.

«وَخَيْرُ لِباسِكَ ما لا يَشْغَلُكَ عَنِ اللّه تَعالى بَلْ يُقَرِّبُكَ مِنْ شُكْرِهِ وَذِكْرِهِ وَطاعَتِهِ»

أفضل أنواع اللباس:

انّ أفضل ما يرتدي المرء هو ما لا يشغله ويصرف باله عن ذكر اللّه عزّوجلّ بل أن يؤدّي دوراً في التقرّب إلى اللّه سبحانه والزلفى إليه.

يقول ملا عبدالرزاق اللاهيجي في شرح موجز:

انه اللباس الذي لا يستغفلك عن الحق اللباس الذي تحصل عليه بيسر ويكون خفيف الثمن لأن اللباس إذا عز وجوده وتجاوزت قيمته عن الحد المعقول فانه يتطلّب توفيره وقتاً أطول ويتطلّب شراؤه ثمناً باهضاً ولا شك فان انفاق الوقت الكثير والمال الوفير للحصول على قطعة قماش لجسم لا يستحق، موجب للغفلة عن الحبيب، اضافة إلى ذلك ان لباساً تطلبت تهيئته أوقات طويلة وأموال كثيرة ثمّ يرتديه المرء فان ذلك ما يفضي الى التكبّر والغرور والانانيّة.

أمّا اللباس الذي لا يتطلّب الحصول عليه وقتاً طويلاً ولا مالاً كثيراً ويكون من قماش عادي رخيص السعر فان ذلك ممّا يبعث على التواضع أمام خلق اللّه والمساواة مع الفقراء والمساكين وأحباء اللّه سبحانه.

انّ الانسان اذا ما مال الى البساطة في ما يلبس ويأكل ويعيش فانه سيكون في

مأمن من كثير من الذنوب ويكون مؤهلاً للتحلّي بالفضائل.

أمّا اللاهثون وراء الزينة وارتداء الفاخر من الحلل فانّهم لن يقنعوا بما أعطاهم اللّه، بل انّهم سوف يرتكبون أنواع الموبقات من أجل ارضاء أهوائهم واللهاث وراء غرائزهم.

أمّا عشّاق الحقيقة فانهم قانعون بهبات الحبيب لا يلوثون أنفسهم من أجل كساء أو غذاء ومكان يعيشون فيه، والعارفون باللّه تراهم شاكرين مطيعين في كلّ حال؛ في الجوع والشبع والفقر والغنى؛ في السلامة والمرض يتمنون وصال الحبيب مادام لهم على الأرض دبيب حتّى اذا شربوا من كأس المنون اذا هم سكرى الى الحق يسيرون.

يقول حافظ:

فرحتي يوم اذهب من هذا المنزل الخرب انشد الراحة للروح واذهب. ربما يصل الغريب غير اني متيم بعشق سوالفه قلبي ضاق بسجن الاسكندر فنزعت قيودي لأرحل إلى مملكة سليمان إضناني نسيم الصبا وجسمي عليل وقلبي يتوق الى شجرة السرو الزاهية.

وفي الطريق اليه علي أن أمشي على رأسي كالقلم وبقلب جريح وعين دامعة... لقد نذرت إن أنا خرجت من الغم أن أذهب الى حانة الفرحين متغزلاً وسأرقص لحبه مستأنساً حتى أصل الى نبع الشمس.

وروى رجل من أهل البصرة يدعى أبو مطر قال: كنت أبيت في مسجد الكوفة فخرجت ذات يوم أُريد بعض أسواقها فاذا بصوت: يا هذا ارفع ازارك فانه انقى لثوبك واتقى لربّك.

قلت: من هذا فقيل لي: هذا أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. فخرجت

اتبعه ثمّ أتى سوق الكرابيس فاذا هو برجل وسيم فقال له: عندك ثوبان بخمسة دراهم فوثب الرجل فقال: نعم يا أميرالمؤمنين. فلما عرفه مضى عنه وتركه فوقف على غلام فقال له: يا غلام عندك ثوبان بخمسة دراهم؟ قال: نعم أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين (أعطى الامام قنبراً القميص الأغلى) فقال قنبر: أنت أولى به يا أميرالمؤمنين تصعد المنبر وتخطب الناس. فقال: يا قنبر أنت شاب ولك شره الشباب وأنا أستحي من ربّي أن أتفضّل عليك لأنّي سمعت رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول:

«ألبسوهم ممّا تلبسون وأطعموهم ممّا تأكلون ثمّ مدّ يده في ردنه فاذا هو يفضل عن أصابعه. فقال: يا غلام اقطع الفضل؛ فقطعه فقال الغلام: هلمه أكفه يا شيخ! فقال: دعه كما هو فإن الأمر أسرع من ذلك»[1].

تعالوا نتعلّم أُسلوب الحياة هلمّوا نتعلّم كيف نتعامل مع الجسم وهذا الجسد الطيني، هذا البدن الذي يصبح غداً طعاماً للديدان في ظلمة القبر تعالوا نتعلّم من أولياء اللّه، تعالوا نفتح صفحة جديدة في سجل حياتنا؛ صفحة من أجل الحياة الأبديّة في العالم الآخر تعالوا ننقذ أرواحنا ونحررها من ظلمات الجسد ونأخذ بها الى شواطئ النور شواطئ الكرامة الانسانيّة؛ تعالوا ننقذ أنفسنا من الفضيحة وعار النظرة الضيقة والانطلاق نحو رحاب الفكر الانساني الواسع وآفاق المعرفة.

يقول سعدي ذلك الشاعر الكبير:

ليست القدرة بالمال لدى أهل الكمال، فحدّ المال عند حافة القبر حيث تبقى الأعمال.

١ـ الغارات: ٦٦/١.

إنّ عليّ الاّ البلاغ شئت أن تتعظ شئت أن تشعر بالملل.

يحتاج الناصح الى اذن تسمع وأنت قد حرمت الفطنة فما جدوى حسن المقال.

وليس الانسان بعينيه واذنيه ولسانه، فهذا يملكه التمثال.

والنصيحة تبقى في العالم كريح في قفص هي في آذان الجهال وكماء في الغربال.

ولا تتعلّق ايها الحكيم بقنطرة الهلاك والعاقل من لا يشقى بهذا العالم.

واعرض عن الدنيا فهي كالأفعى تنطوي على سم قاتل.

اللهم اكسنا رداءَ التقوى واستر أرواحنا وقلوبنا وأنفسنا.

ربنا جلّل وجودنا كلّ وجودنا بحلّة العبوديّة لك فان من لم يلبس رداء العبوديّة فانه عار وجنبنا الفضيحة في الدنيا والآخرة.

ان الانسان في حاجة ماسة الى الناس الملكوتيين من أجل انتهاج طريق الحياة الصائب انه بحاجة الى علومهم وثقافتهم وبالارادة يمكن للانسان أن يسلك الصراط المستقيم وطريق الحق ويكون بمأمن من الوقوع في المعصية والاّ فكيف يمكن بعقله وعلمه المحدود أن يميز وكيف يمكن أن تكون له حياة صحيحة صائبة؟

لقد جاء الأنبياء والأوصياء ليبينوا الشريعة للانسان من أوامر الهية ونواهي واضاءة الطريق للبشريّة نحو ساحل الأمان وعندما يخرج البشر عن جادة الطريق فانهم سوف يضلّون ويتيهون وينتهي بهم المطاف في هاوية السقوط والشقاء؛ فأيّ طريق وأية عقيدة سوى العقيدة الالهيّة يمكنها أن تمنح الانسان حلّة الفضائل والصفات الحميدة وبأيّ قدوة يقتدي الانسان فيبلغ الهدف المنشود سوى الانسان الكامل وانّ سيّدنا محمّدﷺ هو الانسان الذي بلغ مرتبة الكمال

الانساني حتّى أصبح كالشمس الساطعة تضيء الطريق للانسانيّة جمعاء وها هم أهل بيته وأوصياؤه الذين ساروا على خطاه كيف كانوا كالبدور المنيرة والنجوم التي تهتدي بها السفن التائهة في بحر الحياة.

اقرأ التاريخ وطالع صفحاته وفصوله فسترى اية تجارب انسانية عظيمة ها هم يقفون كالقمم الشمّاء بل وانظر الى الذين صحبوهم كيف نهلوا من فيض انسانيتهم وأخلاقهم فدخلوا في سجل الخالدين.

أجل اقرأ حياتهم رجالاً ونساءً اقرأ تاريخ السيّدة خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء وزينب الحوراء واقرأ تاريخ سلمان وأبيذر والمقداد وعمّار وعبداللّه بن رواحة واقرأ تاريخ أُمّ سلمة وأُمّ أيمن وحمنة بنت جحش والخنساء وعشرات النساء والرجال الذين ضحوا من أجل خير الانسانيّة جمعاء.

«وَلا يَحْمِلُكَ فيها إلَى الْعُجْبِ وَالرِّياءِ وَالتَّزَيُّنِ وَالْمُفاخَرَةِ وَالْخُيَلاءِ فَإنَّها مِنْ آفاتِ الدّينِ وَمُوَرِّثَهُ الْقَسْوَةُ فِى الْقَلْبِ»

أسوأ اللباس:

وهنا يشير الامام الصادق عليه السلام إلى هذا الجانب من اللباس وهو الاّ يبعث في نفس الانسان الاحساس بالعجب والرياء ومحاولة ابراز حالة الثراء والتكبّر على الآخرين فكل هذه الحالات النفسيّة هي حالات مرضية وغدة سرطانيّة تنهش في الحسّ الديني المودع في داخل الانسان وتفضي الى القسوة القلبيّة فيستحيل القلب الى ما يشبه الصخرة الصمّاء.

آفات لباس الباطن:

العجب: وهو عبارة عن الاحساس بالتفوق والنرجسيّة ومن يبتلى بهذا المرض فانه يتّصف بالغباء والجهل ذلك أن الانسان لا يملك من نفسه شيئاً حتّى مثقال ذرّة من وجوده، فكل ما لديه انما هو من اللّه عزّوجلّ فبأيّ شيء يرى لنفسه الفضل على الآخرين؟! ان الانسان إنما عبد مملوك للّه عزّوجلّ وهو في حقيقته عدم محض وما وجوده الاّ نابع من وجود اللّه سبحانه وارادته فبأيّ شيء يتفاخر ويتكبّر؟

انّ الانسان النرجسي هو انسان أحمق وجاهل وما يرتديه من لباس انما مصدره دودة قزّ أو صدف حيوان أو ثمرة نبات، فما الذي يشكله أمام عظمة الوجود ثمّ لا يلبث هذا الانسان أن يجرّد من ثيابه بعد حين فاذا هو جسد بارد على رخام بارد يقلبه الغسّال ويغسله بماء بارد وقد ينتهي المطاف بحلته التي كان يتكبّر بها الى أن تحرق حتى لا تلوث الآخرين!!

الرياء: وهو عبارة عن التظاهر بعمل ما وسلوك معين ومن أجل ارضاء الآخرين، فهل للانسان شخصيّة من ذاته لكي يعرضها؟ ان مخلوقاً أوله نطفة وآخره جيفة لا مجال له في أن يتظاهر أمام الآخرين واسترضاءهم؟

أنت والآخرون لستم شيئاً لكي تتظاهرون أمام بعضكم البعض ويسترضي بعضكم الآخر فهل الناس هم يديرون شؤون الحياة حتّى تشدّ أنظارهم باللباس الذي ترتديه؟ فتظهر نفسك بمظهر العالم العابد والزاهد الناسك أو الزعيم الكبير والرجل القدير وتحاول اجتذاب قلوبهم؟!

التزيّن والتجمّل: من أجل من تتزيّن وتتألق؟ من أجل من تتزين؟ إن كان ذلك لغير المحارم فانك في الحقيقة تمهد لاقامة علاقة غير مشروعة وإن لم يكن لك هدف من وراء ذلك فما تقوم به عبث في عبث لا جدوى منه؛ وفي كلا الحالتين فانك تهدر وقتك وتبعثر سنوات عمرك في عمل لا يعود عليك بالنفع بل بالضرر واذا بك وأنت صاحب العقل الراجح والقلب النابض تنتهي الى التلوّث بالأعمال القبيحة.

التفاخر: التفاخر يدلّ على تلوّث الباطن لأنّ الباطن لو كان في صفاء ما تفاخر الانسان على أخيه الانسان فلأيّ شيء نتفاخر ليس لنا ما نتفاخر به لا في

الظاهر ولا في الباطن وإن كان لنا مجد معنوي فمن لطف اللّه ولا دخل لنا بذلك فكل خير انما هو آت منه سبحانه ونحن لا نملك الخير هو وحده «**بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»[1].

وعلى هذا فليس من مجال لأن نتفاخر على بعضنا البعض ولا يوجد سبب للمباهاة.

الخيلاء: الخيلاء وعظمة الذات خاص باللّه سبحانه فله الكبرياء وحده الذي تجتمع فيه كلّ صفات الكمال المطلق وغيره سبحانه لا يملك من نفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً واللّه وحده هو الغني المطلق والناس هم الفقراء وصفة الفقر الذاتي لا تنفصل عن الانسان أبداً فما سوى اللّه عزّوجلّ فقر محض والانسان مخلوق فقير لا يملك من نفسه شيئاً.

فكلّ من ابتلي بالعجب والرياء والتزين والتفاخر والخيلاء فان دينه مصاب بالآفات انه يدمّر بيده صرح انسانيته لأنّه يدمّر ايمانه وهذه الأمراض الباطنيّة لها من الأفكار ما لها وتسبب للانسان الضياع والسقوط في هاوية الضلال ومن وراء ذلك جهنم وبئس القرار!!

نزاهة اهل السلوك من اللباس الملوّث:

انّ كمال الانسان وجماله يكمن في باطنه الروحي والمعنوي وفي بعده الروحاني الملكوتي وان الانسان بارتدائه اللباس المعنوي يتزيّن وبارتدائه لباس الحق يتجمّل ويتألّق، وان مجد الانسان يكمن في ارتدائه لباس الزهد والعفّة والتقى والايمان والصلاح وفي تزينه بالخشوع والطهر والنقاء بالمعرفة والتواضع.

ان الانسان بسلوكه طريق الحق يبلغ مجده الانساني وان أهل السلوك هم

١ـ الكافي: ٥١٨/٢، باب من قال لا اله الا اللّه، حديث ١.

وحدهم أهل المجد وهم المكرمون. انهم على حذر دائم من ارتدادٌ كلّ لباس يلوّث الباطن أو يؤذي الناس ويحقر الآخرين.

انّ أهل السلوك هم عشّاق الجمال والجلال الالهيين وهم يرفضون بشدّة انتهاك حقوق اللّه وحقوق الناس حتّى لو كلّفهم ذلك حياتهم.

يقول سعدي:

لا يمكن أن نقول عن أيّ أحد انه صاحب نظر فهو عابث يعبد هواه.

انني اذا اشتكيت من الحبيب فحبي ليس صادقاً فأنا لا أعرف الحبيب الذي يعرفني.

والمرء اذا تمرّد على شهوة النفس يصبح انساناً والاّ كان كالحيوان.

اعطني شربة من قلب مطمئن ايها الحبيب ولتكن عذبة أو حنظلاً فالمستسقي ظامئ أكثر.

وأنا من عشقي لشفاك لا أعي ما أقول حتى لو كانت مرّة فقل هي سكّر.

ولو شرّحتني بالسكين فلست أنت الخصم.

خصمي الذي بيني وبين سكينك.

لا اريد الخلاص من قيودك أبد الدهر اذا ما قيدّت.

قدمي يداك بقيد فهو على رأسي كالتاج لن يجفوك سعدي وينسل من اذيال ردائك.

فلا يمكن أن أصدف عن اللؤلؤ بذريعة خطر البحر.

شرح السلوك:

يقول صاحب «**كشف الحقايق**» حول السالكين إلى اللّه وشرح مفهوم السلوك: اعلم انّ السلوك في لغة العرب هو السير على الاطلاق واذن فان السالك هو في

حالة سير دائم والسلوك لدى أهل الشريعة والطريقة وأهل الحقيقة السير الخاص؛ التحرك والسير من الجهل الى العلم ومن الاخلاق السيّئة الى الأخلاق الحسنة ومن الوجود الفردي الى الوجود الالهي.

من هنا فان السالك لدى أهل الشريعة طالب والسلوك دراسة ولدى أهل الطريقة السالك مجاهدة والسلوك جهاد ولدى أهل الحقيقة السالك فانٍ ومثبت والسلوك نفي واثبات يعني نفي النفس واثبات الحق تعالى وهذا هو معنى «**لا إله إلاّ اللّه**» ومن هنا قال الشاعر:

خطوة واحدة في درب الحبيب.

كل شيء تراه انظره حسيناً ولا تشغل نفسك بهذا وذاك وقال آخر:

لاتجعل من نفسك حجاباً وارفع حجاب النفس من أمامك ومفردة «طلب» تشمل المعاني الثلاثة جميعاً حيث الدراسة (التحصيل) لا تكون بلا طلب والنفي والاثبات أيضاً لا يكون بلا طلب واذن فان السالك طالب والسلوك طلب.

واعلم انّ السلوك على نوعين: الأوّل بطريق التحصيل والتكرار وهؤلاء هم السالكون في درب الظاهر والثاني بطريقة الرياضة والأذكار وهؤلاء هم السالكون في درب الحقيقة والمعنويات والسالك هو من يتعلّم كلّ يوم شيئاً وينسى كلّ يوم شيئاً في طريق الواجب هو أن يقوم في كلّ يوم بتسويد القرطاس الأبيض ويتعين عليه في طريق ذلك ان ورده كلّ يوم ان يبيض القلب الأسود.

وقال بعضهم: لنتعلّم حرفة الكحّال ونداوي أعيننا بكحل جواهر النور حتّى تكون عيوننا حديدة البصر وترى البعيد وحتى نرى كلّ ما في العالم من كائنات.

وبعض قالوا: لنتعلم مهنة الصقل لنجلي مرايا قلوبنا بالمجاهدة والرياضة وحتى تصبح قلوبنا شفّافة تتقبّل الصور وحتّى يظهر كلّ ما في الوجود على صفحات القلوب.

بعض حدّ بصيرته وجلاها فهي ترى البعيد ويقرأ الرسائل الخالية من السطور وبعض حدّوا قلوبهم وصقلوها فهي تسمع من على بعد وحتّى تسمع ما لا يقال.

التزام الأصول الأربعة في السلوك:

في سلوك طريق الحبيب يتوجب التزام أربعة أشياء:

١ ـ تجريد الداخل والخارج (الباطن والظاهر).

٢ ـ امتثال أمر الداخل والخارج.

٣ ـ ترك الاعتراض على الداخل والخارج.

٤ ـ الثبات على الداخل والخارج.

يتعين على السالك في البدء التجرّد من كلّ شيء الاّ من جناب الحبيب وهذا تعليم أجمع عليه كلّ الأنبياء والأولياء وفي الحقيقة على السالك أن يحقق في قلبه حقيقة «**لا إله إلاّ اللّه**» وأن يجد أن الربّ والمالك والخالق والبارئ والمدبّر لشؤون العالم ليس الاّ هو.

لأنّ التجرّد انقياد محض، يعني أن يصبح في امتثال الأمر كالميت في يد الغسّال لا يعمل بفكره عملاً.

ولمّا أصبح مجرّداً منقاداً فانه لا يعترض على أقوال وأفعال جناب الحق فهو في مقام الرضا التام بكلّ ما يصدر من الحق وعلامة ترك الاعتراض هي أن يرى جملة أقوال المولى وأفعاله حسنة.

ولمّا أصبح مجرّداً منقاداً تاركاً للاعتراض فانه يجب أن يثبت على هذه الحالات الثلاث مدى عمره وأن يستمر في ذلك ولا يجد في نفسه مللاً، فان لم يثبت على ذلك ووجد في نفسه مللاً كانت أعماله لا قيمة لها.

فيا عزيزي ان أغلى لباسك للدنيا والآخرة لباس السلوك لأن هذا اللباس يورثك الورع والزهد والتقوى والايمان وجميع الفضائل والحسنات ويجمل ظاهرك بالتواضع وباطنك بالخشوع وان هذا اللباس ما يرتضيه لك جناب الحبيب فاعدّ لباساً للوطن الأصلي فان هذا اللباس يقيك عذاب جهنّم ويجعل وجودك في الجنّة أبدياً.

انّ أهل الظاهر يرون المدن المسورة مدناً مثل قونية وآقسرا وقيصرية وقد فهموا خطأ ذلك ان كلّ المدن من المغرب الى المشرق انما هي أرض والباحثون يرون ان الوطن هو الذي سكنته الأرواح قبل الأشباح بآلاف السنين قد غمرته صحة في عيش بلا نكد ثمّ جاءت من هناك الى هنا وعاقبة الأمر رجوعها جميعاً وأن الحسرة والآهة هي في نسيان الناس وطنهم الأصلي عند هبوطهم الى هذا العالم المادي الظلماني فرحين بالنعم الماديّة العابرة في عالم التراب[1].

لأنّ ابتداء الانسان بأغلال المادة ينسيه وطنه الأصلي وسوف لن يفكر في توفير اللباس لوطنه الأصلي قاصراً همه على اللباس القماشي في هذا العالم والذي لا يستر الاّ بدنه؛ مسرور بهذا اللباس الذي يعتق بعد حين قد خامره العجب واكتنفه الرياء والتزين والخيلاء فاسود قلبه من لوث ذلك وقطع العلاقة بين نفسه وبين جناب الحق فهو في أعماله وأخلاقه كالحيوان نجس مفترس!!

١ـ رباب نامه: ٨٦

«فَإذا لَبِسْتَ ثِيابَكَ فَاذْكُرْ سَتْرَ اللّه عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ بِرَحْمَتِهِ وَأَلْبِسْ باطِنَكَ بِالصِّدْقِ كَما أَلْبَسْتَ ظاهِرَكَ بِثَوْبِكَ وَلْيَكُنْ باطِنُكَ فى سَتْرِ الرَّهْبَةِ وَظاهِرُكَ فى سَتْرِ الطّاعَةِ»

ستر الباطن بلباس الصدق:

عند ما ترتدي ثوبك فتذكر ستر اللّه الذي ستر به ذنوبك برحمة منه فالبس باطنك وأعماقك بالصدق تماماً كما ألبست ظاهرك بملابسك وليكن باطنك مستوراً بالرهبة وظاهرك مستوراً بالطاعة.

وتذكّر ان اللّه قد ستر عيوبك وذنوبك فلم يسمح لأحد بأن يطّلع على حقيقتك ولو اطّلع الغير على ما أنت عليه لا يبقى ماء الوجه ولم يعد هناك من يحترمك ولكن مولاك وسيّدك لأسمى وأعظم من أن يميط الستر الذي سترك به وستر باطنك ويرى الناس ذنوبك. فاذكر كلّما ارتديت ثوبك لتستر بدنك ستر اللّه عليك وأسأل الذي سترك في الدنيا بلباس الرحمة أن يستر عيوبك يوم القيامة وقل اللهم كما سترت باطني في الدنيا فاسترني بكرمك ولطفك يوم القيامة ولا تفضحني على رؤوس الأشهاد وبخاصّة أمام الانبياء والأولياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

مقام الخوف والشوق:

وانك لما سترت بدنك بلباس الظاهر فاستر باطنك بلباس الصدق وطهّر باطنك

من المكر والحيلة والخداع والتزوير والرياء والغل؛ فالباطن الصادق باطن قد خلا من الخيالات الرديئة والعقائد السخيفة، قد تحلّى بالآراء الصحيحة وتزيّن بالعلوم الحقّة فاستر باطنك بالخوف من اللّه والرهبة منه واستر ظاهرك بستر الطاعة له والانقياد لأمره.

وما أسمى الحياة الدنيا اذا كان فيها خوف من مقام الحق تعالى وانقياد له سبحانه طاعة لأمره وانني اقسم ان لا دنيا للانسان اسمى وأعلى من هذه الدنيا لأن الخوف من اللّه تعالى علّة في ترك المعصية وشوق الوصال اليه علّة في طاعته.

وعند ما يكتنف الانسان خوف من اللّه وشوق اليه فان كلّ هذا العالم المادي لن يساوي في نظره جناح ذبابة، فكل ما بين يدي الانسان هو ما يريده له وكلّ ما لا يرتضيه لن يخطر على باله أبداً!

يقول العارف العاشق جلال الدين البلخي:

ارى جمالك كلّه لما فتحت عيوني.

وشربت خمرتك كلها بعد أن أضل لبّي.

حرام علي أن أكلّم الناس وان جاء الحديث معك فعندي كلام طويل وألف نوع من الفهود تمضي في أي طريق فانني سأسلك الطريق اليك.

ولو وقعت في يدي عين الحياة كالخضر لفضلت التراب الذي يفرش زقاقك.

سوف يتخطى نوري نور الشمس وضوء القمر لأنه قادم من مملكتك سأصبح كالشمس وسوف تتوهج الذرات سكرى بالحب.

أجل ان عشقه ذكره وفي ذكره تكمن حقيقة الحياة وجمال الظاهر والباطن من أجله وهذا ما جاء من أجله الأنبياء وضحوا له الأولياء.

الفناء في الحق بلباس الصدق:

وقد جاء الهداة الى الطريق والأدلاء الى السبيل من أجل أن يدرك الانسان ان هذا العالم المادي بكلّ ما فيه انما هو وسيلة من أجل بلوغ مقام القرب فهو يطوي الطريق من مقام الى مقام يطوي خيمة الهجران من أرض القلب ويبني عمارة الوصل ومن أعراق الماضي يصل إلى مقام الوحدة ويأس من بقاء نفسه ليقع في الفناء وكما قال الامام الصادق يلبس باطنه بالصدق، فيدع كلّ شيء ويفنى في جناب الباقي.

وللعارف روزبهان البقلي الشيرازي في هذا الباب كلام يستند الى آيات الكتاب العزيز والروايات:

التوحيد ذروة الأحوال العليا وعروة المقامات الوثقى وتيجان الأنبياء وحلية الأولياء ووجدان حقائق التوحيد ليس من كل طريق الوجدان وهو رأس التوحيد لباس الربوبيّة حيث روح الروح مجلل به وما لم يصبح الواحد في الأحد فان السالك لا يبلغ عيان التوحيد ومن لم يصل مقام الفناء لم يصل الى شيء؛ المقام الذي بالحقيقة ينفي الذات والعالم وفي نفي الذات والعالم يثبت نفسه والعالم وتتجلى في الحقيقة حقيقة «**لا إله إلاّ اللّه**».

اقسام التوحيد:

أصل التوحيد على ثلاثة أقسام:

توحيد عام وتوحيد خاص وتوحيد خاص الخاص.

التوحيد العام:

والتوحيد العام بعد ارشاد الحق والسير في آيات اللّه والبحث عن الحق بوسيلة العقل ونور الايمان وشواهد الحدثان لينال السكينة بعد اضطراب الشك

واليقين في اثبات وحدانية الحق والخلاص من خطر النفس «باجراء الأوامر» ودرك تقديس ذاته القديمة وادراك تنزيه صفاته الكريمة ويكون من المعلوم ان الحق سبحانه واحد من كلّ الوجوه؛ ذاته عين صفاته وصفاته عين ذاته يميزون قدمه من الحدوث وان وجوده ليس متعلّقاً بشيء من الأشياء فيخرجوا من قلب خيال المحال وينزهون اللّه ذي الجلال من الجواهر والاعراض والزمان والمكان والتشبيه والتعطيل والكيف والحيث والقبل والبعد والجهات والحد والصورة والقرب والبعد والحلول والضدّ والندّ والمثل والجزء والكل والصغر والكبر والجرم والجسم والأركان والجوارح؛ فلا لقدمه أوّل ولا لأبده آخر. ويخرجونه من كلّ وهم وفهم وعلى قول الامام الصادق الباس الباطن بلباس الصدق «ومصداقه الكامل الايمان بوحدانيّة الحق وذاته وصفاته العليا وأسمائه الحسنى» وصدق الباطن في مرحلته العالية الأعلى ليس سوى ذلك، فالباطن الذي ليس معه صدق ليس بباطن، انه بؤرة مظلمة واناء مترع بالوساوس والشكّ، وهذا التوحيد في الحقيقة توحيد علمي وبعبارة أُخرى التوحيد معرفة تنهض على الدليل والبرهان وأولى مراحل التوحيد أو مرتبته الدنيا.

يقول الحكيم النظامي الگنجوي:

يا من اسمه اسمى بداية كيف لي أن افتتح رسالة من دون اسمك.
ويا من ذكره مؤنس للروح ليس سوى اسمك يلهج به لساني.
يا حلال المشكلات مهما كانت... اسمك مفتاح كلّ ما هو مغلق...
انقذني من ظلمات نفسي وعرّفني إلى نورك...

التوحيد الخاص:

أمّا التوحيد الخاص وفهو أن يرى كلّ العوالم بأسرها لا شيء في رحاب عظمة اللّه ويرى الكائنات عدماً في ربوبيّة اللّه، ومن غلبات أنوار القدم وكما انها

في قدم الحق تعالى كانت معدومة الوجود فانها الآن أيضاً يراها محواً لا كونها مستغرقة في أمر الحق بالمشاهدة بعد العلم الذي هو العلم العام الحق والمشاهدة الخاصّة الحقّة ويرى العالم كما لو انه أمام صولجان قدرة الباري تعالى في الميدان الالهي الذي يمتدّ من الأزل إلى الأبد ومن الأبد إلى الأزل ومبادئ التوحيد الخاص هي السير في شواهد الصورة والروح والعالم الأصغر حيث هناك جنود الحق والباطل لأن جيش العقل وجيش الروح وجيش القلب وجيش النفس وحجاب القهر واللطف وغرائب اشكال المقدرات موجودة في ذلك العالم، وظهور الحق عزّوجلّ الذي يرى في أسرار الحقائق الملكوتيّة بعين البصيرة حيث سير التوحيد العام من عالم الملك والشهادة الى الحق الذي هو في صورة ذلك العالم الأكبر.

والتوحيد الخاص هو السير من الذات الى الحق الذي هو في صورة آدم عالم المعاني وصرح التجلّي وتلك الآية الكبرى بالرغم من صغرها إلى جانب العالم.

والفرق بين الخاص والعام في التوحيد هو ان العام يبقى بالشواهد والعقل والخاص لأن يعرف الحق من شواهد العالم الصغرى والكبرى تفنى ويجد في فينائها بقاء الحق واستمرار اضمحلالها في وجود الحق حتّى تمرّ عليه الأحكام القديمة وينقاد طوعاً إليه.

يقول العارف البلخي على لسان حال الفانين في الحق والمطيعين التقاة:

نحن اسراك في طريق العشق، ولا يوجد عاشق مسكين مثلنا.

فانظر إلينا فنحن في هذا الملك غرباء وأكرمنا فنحن متهولون في هذه المدينة.

ليس زهداً بكنوز مناجاتك ولا وجلاً بتراب الخرائب.

لسنا من أهل الصلاح ولا سكرى الأطلال لسنا من هنا ولسنا من هناك لا من قوم ولا من مكان.

وخوفنا من خشية البلاء والآن من نخاف ونحن في عين البلاء، ولدينا سرّ ليس له محرم أسرار يطيح الرأس ولا نفشو السرّ.

لا خوفاً من النار ولا طمعاً بالفردوس أزح عنّا الحجاب فنحن مشتاقون الى لقائك.

افض رحمتك على خطايانا فنحن غرقى في الذنوب الى هامة الرأس.

توحيد خاص الخاص:

وأمّا توحيد خاصّ الخاصّ فهو السير من الحقّ الى الحقّ وذلك السير يكون حيث الروح المقدّس يترجل من كلّ مراكب الحدوث وعلوه يصبح سفلاً وسفله علواً وينعزل من الجهات ومن المكان والزمان والسير ويمتطي حمر الخيال من اصطبل مراكب النور ويعطل حسه وحواسه وضميره الخالي من العقل ويقطع فضول العقل بمقص تنزيه اللسان ويقطع رأس النفس الرعناء في سوق غيرة التوحيد ويحطم جيش الهوى والشهوة وهي حزب الشيطان بصدمة العشق ولا يترك القلب الذي هو مدينة اللّه بلا عمران العبوديّة ويهدم دار الطبائع الذي يعج بالأخلاق البشريّة باعصار العدم ومعول الوجود، ويهشم الوجود الأصغر والأكبر بالشواهد والدلائل ويرمي بهما في كتمان العدم حتّى يخطو من دون اثقال الحدوث خطوات في القِدم وحتى يستريح من ازدحام الخليقة يقذف بنفسه في بحر العدم لكي يفنى في ذاته وبعد أن يخرج من بحر بقاء الحق ويذهل عن نفسه ويرى الحق بالحق وليعلم انّ هذه خطوة واحدة من العدم الى الوجود.

وبعد هذه الخطوة يحلق بقوّة العبوديّة بجناح الربوبيّة في فضاء الهوية.

يقول الحكيم الاصفهاني في مضمار فناء العاشق في المعشوق:

لا يحترق كلّ قلب في نيران شوقك من كانت شمعته لا تتوهج في الحفل.
قادمة هذه الأوراق من العدم ويا ايتها البروق لا تضربي هذه البيادر فهي لا تحترق.
وفي طواف حماه اتخذنا الفناء للاحرام لباساً وهي لا تخاط على البدن.
قطر دمع تسيل على وجه من التبر وله الحمد ان ذهبنا ليس للكنز.
ان بعت قلبك للغير وبعه الى نفسك رغم انه ليس مما يباع.
يقال انه يوجد في القلب قنديل فاسرج القنديل فليس في الحرم ما يضيء.

تزيين الباطن بالصدق و الظاهر بالطاعة:

في مضمار تزيين الباطن بالصدق والرهبة والظاهر بالطاعة يقول نصير الدين الطوسي في كتابه «**اخلاق ناصرى**»:

قال قوم بالاقتصار بالاقرار بروبيته والاعتراف باحسانه وتمجيده قدر الاستطاعة وقالت طائفة بوجوب التقرّب له بالاحسان اما بتزكية النفس ذاتها وحسن السياسة بموعظة ومواساة أهل النوع.

وقالت جماعة بوجوب الحرص في التدبّر والتفكّر في الالهيات والتصرّف في المحاولات التي توجب المزيد من معرفة الباري سبحانه حتّى بلوغ الكمال بواسطة تلك المعرفة وبلوغ التوحيد حد التحقيق.

انواع العبادة:

وقالت طبقة من متأخري الحكماء: انّ عبادة اللّه سبحانه تنحصر في ثلاثة أنواع:

الأوّل: ما يتعلّق بالأبدان من قبيل الصلاة والصيام والوقوف في المواقف الشريفة من جهة الدعاء والمناجاة.

الثاني: ما يتعلّق بالنفوس من قبيل العقائد الصحيحة مثل التوحيد وتمجيد الحق تعالى والتأمّل والتفكير في كيفيّة افاضة الوجود والحكمة في العالم وما يدخل في هذا الباب.

الثالث: ما يتعلّق بالواجب في مشاركات الخلق من قبيل الانصاف في المعاملات والمزارعات والنكاح واداء الامانات والنصيحة لأبناء النوع وجهاد أعداء الدين والدفاع عن المحرّمات.

وقال بعض أهل التحقيق انّ عبادة اللّه تعالى ثلاثة أشياء:

١ ـ الاعتقاد الحق.

٢ ـ القول الصواب.

٣ ـ العمل الصالح.

مقامات القرب من الحقّ تعالى:

ويجب العلم بأن للنوع الانساني في القرب من الذات الالهيّة منازل ومقامات وهي أربعة:

المقام الأوّل: مقام أهل اليقين وهي مرتبة عظماء الحكماء وكبار العلماء.

المقام الثاني: مقام أهل الاحسان ويقال لأهل هذا المقام المحسنون وهي مرتبة من يزيّن كمال علمه بحلية العمل ومن يوصف بالفضائل.

المقام الثالث: مقام الأبرار وهم المشتغلون في صلاح البلاد والعباد وسعيهم مقتصر على تكميل الخلق.

المقام الرابع: مقام أهل الفوز ويقال لأهل هذا المقام الفائزون المخلصون ونهاية هذه المرتبة منزل الاتّحاد وليس بعده مقام أبداً.

أسباب الاتصال:

وخصال هذه المنازل أربعة:

الأولى: الحرص والنشاط في الطلب.

الثانية: اقتناء العلوم الحقيقيّة والمعارف اليقينية.

الثالثة: الحياد[١] عن الحمل ونقصان القريحة التي هي نتيجة الاهمال.

الرابعة: ملازمة سلوك طريق الفضائل ما أمكن ذلك وبحسب الطاقة وهذه هي أسباب الاتصال بجناب الحق تعالى.

أسباب الانقطاع:

وأمّا أسباب الانقطاع عن الحق تعالى فهي أربعة أيضاً:

الأوّل: السقوط الذي يوجب الاعراض وتتبعه الاستهانة.

الثاني: السقوط الذي يقتضي الحجاب ويتبعه الاستخفاف.

الثالث: السقوط الذي يوجب الطرد ويتبعه المقت.

الرابع: السقوط الذي يوجب الخساسة يعني الابتعاد عن الحق ويتبعه البغض.

أسباب الشقاء:

وأسباب الشقاء الأبدي الذي يؤدّي إلى هذه الانقطاعات أربعة أيضاً:

الأوّل: الكسل والبطالة ويتبع ذلك تضييع العمر.

الثاني: الجهل والعبادة التي تنشأ من ترك التأمّل ورياضة النفس.

١ـ الابتعاد عن الشيء.

الثالث: الوقاحة في اهمال النفس وخداعها في متابعة الشهوات.

الرابع: الرضا عن النفس بالرذائل ويتبعه استمرار القبائح وترك الانابة وينتهي إلى الزيغ والغشاوة.

فمن دفع عن نفسه هذه الرذائل الأربع كان في مأمن من السقوط ومن لزم هذه الحقائق الأربع بلغ تلك المقامات والمراتب ومن بلغ المقامات وصل الى صدق الظاهر والباطن.

«فَإذا لَبِسْتَ ثِيابَكَ فَاذْكُرْ سَتْرَ اللّهِ عَلَيْكَ ذُنُوبَكَ بِرَحْمَتِهِ وَأَلْبِسْ باطِنَكَ بِالصِّدْقِ كَما أَلْبَسْتَ ظاهِرَكَ بِثَوْبِكَ وَلْيَكُنْ باطِنُكَ فى سَتْرِ الرَّهْبَةِ وَظاهِرُكَ فى سَتْرِ الطّاعَةِ».

«وَاعْتَبِرْ بِفَضْلِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ حَيْثُ خَلَقَ أَسْبابَ اللِّباسِ لِتَسْتُرَ الْعَوْراتِ الظّاهِرَةَ، وَفَتَحَ أَبْوابَ التَّوْبَةِ وَالإِنابَةِ لِتَسْتُرَ بِها عَوْراتِ الْباطِنِ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَخْلاقِ السُّوءِ»

اسباب لباس الظاهر و الباطن:

يقول الامام الصادق عليه السلام: وخذ العبرة من فضل اللّه سبحانه وقد خلق للانسان اللباس يستر به عوراته وعيوبه الظاهرة وفتح أبواب التوبة والانابة والعودة ليستر الانسان من خلال ذلك عيوب الباطن من كلّ ما احدثته الذنوب والاخلاق السيئة من ندوب في داخل النفس الانسانيّة.

على الانسان أن يستفيد من لباس الظاهر وأن يشكر اللّه سبحانه على هذه النعمة ويكون الشكر على ذلك بأن يكون اللباس حلالاً لم يأت من حرام أو ظلم وعدوان وألا يرتديه المرء للمفاخرة والتكبّر والمباهاة بل يكون الهدف من ارتدائه العبادة وخدمة الخلق من أجل أن يبلغ في ظلال هذه العبادة والخدمة السعادة في الدارين.

ومن الواجب واللازم والضروري للانسان من أجل معالجة وستر الذنوب ومحو الاخلاق السيئة أن يلج إلى رحاب الحق من باب التوبة والانابة والأوبة واستبدال مرارة الألم والهجران بحلاوة القرب والوصال.

«وَلا تَفْضَحْ أَحَدا حَيْثُ سَتَرَ اللّه عَلَيْكَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَاشْتَغِلْ بِعَيْبِ نَفْسِكَ وَاصْفَحْ عَمَّا لا يُعْنيكَ أَمْرُهُ وَحالُهُ وَاحْذَرْ أَنْ يَفْنى عُمْرُكَ بِعَمَلِ غَيْرِكَ وَيَتَّجِرَ بِرَأْسِ مالِكَ غَيْرُكَ وَتَهْلِكَ نَفْسُكَ، فَإِنَّ نِسْيانَ الذَّنْبِ مِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَةِ اللّه فِى الْعاجِلِ وَأَوْفَرِ أَسْبابِ الْعُقُوبَةِ فِى الأجِلِ وَاشْتَغِلْ بِعَيْبِ نَفْسِكَ»

يوصي الامام الصادق عليه السلام ويحذّر من هتك ستر أي أحد من الناس لأنّه قد ستر عليك ما هو أعظم وفكّر في عيوبك واعرض عمّا لا يعنيك من أُمور غيرك واحذر أن تنصرم سنوات عمرك في الاهتمام بأعمال الآخرين ويتاجر برأس مالك الآخرون وفي هذا هلاك الانسان لأن نسيان الذنوب احدى عقوبات اللّه في الدنيا وبعدها تأتي العقوبة في يوم الآخرة.

ولقد جاء في الأحاديث ان الغيبة توجب عذاب الذي يغتاب الناس وكفارة لذنوب من كان يغتابه ولهذا قال: الامام «فيتجر برأس مالك غيرك» وفي هذا المقطع من الكلمات المضيئة أربعة مواضيع غاية في الأهميّة:

١ ـ حرمة الانشغال بتسقّط عيوب الآخرين.

٢ ـ وجوب الانشغال بعيوب الذات.

٣ ـ غض النظر عن كلّ ما لا يجدي نفعاً في الدنيا والآخرة.

٤ ـ الخسارة التي تقع بنسيان الذنوب.

حرمة الانشغال بعيوب الآخرين:

ينقسم الناس من حيث القوة والضعف الروحي والعلمي والعقلي والايماني الى أقسام مختلفة.

فما عدا أهل مقام العصمة وهم الأنبياء والأئمّة الطاهرين وطائفة من الأولياء كأبي الفضل العبّاس قمر بني هاشم واخته زينب الكبرى فان سائر الناس معرّضون للوقوع في الذنب والزلل.

أحياناً تكون علّة الذنب ضعف الارادة وأحياناً ضعف العقل واحياناً ضعف العلم وأحياناً ضعف الايمان.

فاذا كان الذنب في مستوى انّ نفس المذنب معلن في ذلك على الملأ ويمارسه علناً وهو نفسه لا يخجل مما قام به ويصبح الأمر مضرّاً بتربية المجتمع فانه يتوجب مواجهته وقد بينت الشريعة طريقة التعامل معه واذا كان المذنب انساناً مؤمناً له بين الناس وجاهة واحترام ولا يعرف الناس عن ذنبه شيئاً بل هو عندهم معروف بالخير ثمّ صادف واطلع أحدهم على ذنبه الذي مارسه وارتكبه في السر ولم يكن ذنبه مضراً بالمسلمين والدولة الاسلامية من قبيل التآمر بل كان ذنبه بينه وبين ربّه فان هتك الستر عمّا قام به هو من أعظم المحرّمات الالهيّة ولقد نهى القرآن الكريم عن ذلك بشدّة وأمر بستر عيوب كلّ ذي عيب وحذّر من عواقب مخالفة ذلك وقد جاء في الروايات ان ستر عيوب الناس عبادة وان المرء اذا ستر عيب غيره ستر اللّه عيوبه وكتب له الثواب الجزيل.

علينا جميعاً نحن المسلمون والمؤمنون أن نضع نصب أعيننا الحديث الشريف «**تخلقوا باخلاق اللّه**» ونجتنب فضح عيوب الآخرين وهتك سترهم فكما أسبل اللّه علينا ستره فانه سبحانه يحب لعبده أن يعيش بكرامة بين الناس.

أجل انّ ستر الذنب من أخلاق اللّه عزّوجلّ وهذا دعاء عرفة لسيّدنا أبي عبداللّه الحسين الشهيد الذي دعا به في صحراء عرفات يقول:

«وَلَوْلاَ رَحْمَتُكَ لَكُنْتُ مِنَ الْهالِكِينَ، وَأَ نْتَ مُقِيلُ عَثْرَتِى، وَلَوْلا سَتْرُكَ إِيَّاىَ لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ...»[1].

وجاء في مقطع آخر:

«يَا مَنْ سَتَرَنى مِنَ الأباء وَالْأُمَّهاتِ أَنْ يَزْجُرُونى، وَمِنَ الْعَشائِرِ وَالْأِخْوانِ أَنْ يُعَيِّرُونى، وَمِنَ السَّلاطِينِ أَنْ يُعاقِبُونى، وَلَوِ اطَّلَعُوا يَا مَوْلاىَ عَلَى مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّى إِذاً مَا أَنْظِرُونى، وَلَرَفَضُونى وَقَطَعُونى...»[2].

وهذا حبيب العارفين سيّدنا زين العابدين في مناجاة السحر في شهر رمضان المبارك يقول في دعائه المعروف بـ«**دعاء أبي حمزة الثمالي**» يقول في الستر الذي أسبله اللّه على عباده:

«اللّهُمَّ يَا مَنْ مَلَكَ فَقَدَرَ، وَقَدَرَ فَقَهَرَ، وَعُصِيَ فَسَتَرَ، وَاسْتُغْفِرَ فَغَفَرَ...»[3].

وجاء في مقطع آخر من الدعاء:

«... وَالذَّلِيلُ الَّذِى أَعْزَزْتَهُ، وَالسَّقِيمُ الَّذِى شَفَيْتَهُ، وَالسَّائِلُ الَّذِى أَعْطَيْتَهُ، وَالْمُذْنِبُ الَّذِى سَتَرْتَهُ، وَالْخاطِئُ الَّذِى أَقَلْتَهُ»[4].

١ـ بحار الأنوار: ٢٢٠/٩٥.

٢ـ بحار الأنوار: ٢٢٢/٩٥.

٣ـ بحار الأنوار: ٢٢٢/٩٥.

٤ـ بحار الأنوار: ٨٧/٩٥.

وجاء أيضاً:

«سَيِّدِي أَنَا أَسْأَلُكَ مَا لاَ أَسْتَحِقُّ، وَأَنْتَ أَهْلُ التَّقْوى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ فَاغْفِرْ لِي وَأَلْبِسْنِي مِنْ نَظَرِكَ ثَوْباً يُغَطِّي عَلَيَّ التَّبِعاتِ وَتَغْفِرُها لِي وَلاَ أُطالَبُ بِها، إِنَّكَ ذُو مَنٍّ قَدِيمٍ، وَصَفْحٍ عَظِيمٍ، وَتَجاوُزٍ كَرِيمٍ»[١].

قيمة ستر العيوب في الروايات:

ان من يتخلّق بأخلاق اللّه فيستر عيوب اخوانه واخواته من المسلمين والمؤمنين ولا يهتك أستارهم ويكشف عن عيوبهم وأسرارهم فانه متّصل برحمة اللّه يتمتع بلطف من اللّه ورعايته وفي هذا المضمار روايات عديدة غاية في الأهميّة والاطلاع ضروري لكلّ مسلم ومسلمة:

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَتَرَ عَلى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللّه فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[٢]؛

وَقالَ: «لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَيْبَ عَبْدٍ إلاّ سَتَرَهُ اللّه يَوْمَ الْقِيامَةِ»[٣]؛

وَقالَ: «لا يَرَى امْرُؤٌ مِنْ أَخيهِ عَوْرَةً فَيَسْتُرُها عَلَيْهِ إلاّ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٤]؛

وَقالَ: «إِنَّ مِنَ الْخِيانَةِ أَنْ تُحَدِّثَ بِسِرِّ أَخيكَ»[٥]؛

١ـ بحار الأنوار: ٩٠/٩٥.

٢ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢ - ٢٠٩.

٣ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢ - ٢٠٩.

٤ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢ - ٢٠٩.

٥ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢ - ٢٠٩.

قالَ رَسُولُ اللّه:

«مَنْ أَذاعَ فَاحِشَةً كانَ كَمُبْتَدِئِها وَمَنْ عَيَّرَ مُؤْمِنا بِشَيْءٍ لَمْ يَمُتْ حَتّى يَرْتَكِبَهُ»[١]؛

وَقالَ: «كُلُّ أُمَّتى مُعافى إلاّ الْمُجاهِرينَ»[٢]؛

وَقالَ صلى الله عليه وآله: «مَنِ اسْتَمَعَ الى حديث قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ يصُبُّ فى أُذُنَيْهِ الاُنُكُ يَوْمَ الْقِيامَةِ»[٣]؛

أجل انّ الجلوس في محفل وفضح عيوب الناس وهتك أسرارهم مخالفة واضحة لشريعة الاسلام كما انّ الجلوس والاصغاء لذلك من المحرّمات الشديدة في دين اللّه.

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«يا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسانِهِ وَلَمْ يُسْلِمْ بِقَلْبِهِ لا تَتَّبِعُوا عَثَراتِ الْمُسْلِمينَ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَثَراتِ الْمُسْلِمينَ تَتَبَّعَ اللّه عَثْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللّه عَثْرَتَهُ يَفْضَحْهُ»[٤]؛

ومن هذه الروايات يتّضح ان من تسقّط عيوب الناس وعثراتهم فليس بمسلم.

قالَ الْباقِرُ عليه السلام:

«مِنْ أَقْرَبِ ما يَكُونُ الْعَبْدُ إِلَى الْكُفْرِ أَنْ يُؤاخِى الرَّجُلَ عَلَى

١ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢ - ٢٠٩.

٢ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢.

٣ـ جامع السعادات: ٢٠٨/٢؛ الخصال ١٠٩/١، باب ثلاثة يعذبون يوم القيامة.

٤ـ الكافي: ٢٦٤/٢، باب من طلب عثرات المؤمنين، حديث ٤.

الدّينِ فَيَحْصى عَلَيْهِ زَلّاتِهِ لِيُعَيِّرَهُ بِها يَوْما مَا»[١]؛

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

«مَنْ أَنَّبَ مُؤْمِنا أَنَّبَهُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ فِى الدُّنْيا وَالآخِرَةِ»[٢]؛

قِيلَ لِلصّادِقِ عليه السلام:

«شَىْءٌ يَقُولُهُ النّاسُ عَوْرَةُ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَرامٌ فَقَالَ لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ إِنَّما عَوْرَةُ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَراهُ يَتَكَلَّمَ بِكَلامٍ يُعابُ عَلَيْهِ فَيَحْفَظَهُ عَلَيْهِ لِيُعَيِّرَهُ بِهِ يَوْما إِذا غَضِبَ»[٣]؛

عن أبى جعفر عليه السلام قال:

«إِنَّ أَسْرَعَ الْخَيْرِ ثَوابا اَلْبِرُّ وَأَسْرَعُ الشَّرِّ عُقُوبَةً اَلْبَغْىُ وَكَفى بِالْمَرْءِ عَيْبا أَنْ يُبْصِرَ مِنَ النّاسِ مَا يَعْمى عَنْهُ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ يُعَيِّرَ النّاسَ بِما لا يَسْتَطيعُ تَرْكَهُ أَوْ يُؤْذى جَليسَهُ بِما لا يُعْنيهِ»[٤]؛

وبالنظر إلى ما ورد من الآيات والروايات والأدعية المأثورة عن المعصومين يتّضح ان ستر ذنوب العبد بين الناس من أعظم الواجبات وان هتك هذا الستر من أعظم المحرّمات. حقّاً انه من المؤسف جداً ان تتهشم قيمة الانسان العليا بسبب الذنوب، ومن المؤسف أيضاً ان يتحول الانسان الى وسيلة في تحطيم وتسقيط الآخرين ويا ليت للمرء أن يعي أية قيمة وأي مقام يحظى به الانسان وأية جوهرة

١ـ الكافى: ٣٥٥/٢، باب من طلب عثرات المؤمنين، حديث ٦؛ جامع السعادات: ٢٠٨/٢.

٢ـ الكافى: ٣٥٦/٢، باب التعيير، حديث ١؛ جامع السعادات: ٢٠٨/٢.

٣ـ معانى الأخبار: ٢٥٥، حديث ٣؛ جامع السعادات: ٢٠٨/٢.

٤ـ الكافى: ٤٥٩/٢، باب من يعيب الناس، حديث ١.

ينطوي عليها وأن يصون ما يحظى به من السقوط؟!

يقول شهيدي القمي مخاطباً الانسان الذي هو أشرف المخلوقات:

أنت أيها المرآة التي تتجلى بها الذات (العليا).

والنسخة التي تشتمل على جميع الصفات.

تنطوي فيك الذات المستورة.

الذات الخفية بصفاتها.

ليس غيرك يمكنه حمل الامانة.

وليست الامانة سوى الخلافة.

أنت من قد انتخب لهذه الخلافة والملك.

وكلّ ما يدور من أفلاك في السماوات.

له ما يقابله في أعماق ذاتك.

أنت من تتجلّى فيه مرآة الجمال.

لم تحرم نفسك من ذاك الكمال؟

ليست سوى خطوتين تفصلك عن ذلك الهدف السامي.

وجوب الانشغال بعيوب الذات:

ان من أسوأ صفات الانسان هو تسقط عيوب الآخرين والبحث في ذلك وعادة ما ينتهي ذلك بتوجيه ضربه الى اعتبار وسمعة الغير.

انّ العيوب التي قد يلاحظها الانسان في غيره قد يوجد ما هو اسوأ منها في نفسه وان تسقّط عيوب الآخرين مبعثه الحسد والحقد الذي ينطوي عليه ازاء الآخر.

وأنه لمن اسمى صفات الانسان العليا هو انشغاله في معالجة عيوب الذات معرضاً عن عيوب غيره فهو مستغرق في تزكية نفسه وتصفية الباطن.

ويمكن القول ان من أفضل الأعمال التي يمكن للمرء أن يقوم بها هو علاج أمراضه النفسيّة والقلبيّة وانه لمن توفيق اللّه عزوجل للعبد أن يهديه إلى ذلك فيبادر الى التعرف على نواقص نفسه ويعمل على تطهير قلبه وتزكية نفسه وعند ما يصفو القلب وتطهر النفس وعند ما تنزاح عيوب الروح والقلب فان الانسان يصبح مستعداً لتلقي النور الالهي والاشعاع الربوبي والفيض السماوي والالهام الملكوتي فتسطع على قلبه أنوار الحقيقة ويشرق على نفسه الوعي الرفيع.

يقول داود النبي عليه السلام: «**أين أجدك يا رب**»؟

فقال الرب تعالى:

﴿**أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ لِأَجْلِي**﴾؛

وقد جاء في المأثور من الأحاديث:

«**مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ ذِكْرَهُ**»[1]؛

«**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**»[2]؛

«**لا يَسَعُنِي أَرْضِي وَلا سَمائِي وَوَسَعَنِي قَلْبُ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ**»[3]؛

وهكذا لا تستطيع السماء بكل ما فيها من سعة أن تسعه سبحانه واذا بالقلب ينهض بذلك المجد العظيم.

١ـ مجموعة ورام: ١٣٥/١، باب ذم الدنيا.

٢ـ الكافي: ٤٩٦/٢، باب ما يجب ذكر اللّه، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٣٤٢/١٣، باب ١١، حديث ٢٠.

٣ـ عوالي اللآلي: ٧/٤، حديث ٧.

واذا بالقلب مؤنساً ومحباً ومحل الأسرار الالهية.

«قَلْبُ الْمُؤْمِنِ عَرْشُ الرحمن»[١]؛

وكلّ من طاف وصل الى المقصود واذا ما أخطأ القلب طريقه فانه يضيع ويتيه الى الأبد.

وهمس عارف ذات ليلة وقد أشرق النور على قلبه قائلاً: الهي كيف الطريق إليك؟

فسطع الجواب الهاماً في قلبه:

«إِرْفَعْ نَفْسَكَ مِنَ الطَّرِيقِ فَقَدْ وَصَلْتَ؛»

قلت أيها الملك انني أبحث عنك.

وكيف أجد وصفك؟

قال لا تبحث عني في العرش والسماوات.

«انني عند قلبك فابحث في داخل القلب»[٢].

الانشغال في الروايات:

وردت في مدح الانشغال بعيوب الذات روايات عديدة من أولياء اللّه عزّوجلّ اولئك الذين بلغوا ذرى الكمال في طريق العشق الالهي وهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآله الأطهار وهذا غيض من فيض:

قالَ اميرالمؤمنين عليه السلام فى بَعْضِ خُطَبِهِ: «يا أَيُّها النّاسُ طُوبى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ وَطُوبى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ وَأَكَلَ قُوتَهُ وَاشْتَغَلَ لِطاعَةِ رَبِّهِ وَبَكى عَلى خَطيئَتِهِ فَكانَ مِنْ نَفْسِهِ

١ـ بحار الأنوار: ٣٩/٥٥.

٢ـ تمهيدات: ٢٤.

فى شُغْلٍ وَالنّاسُ مِنْهُ فى راحَةٍ»[١]؛

وَقالَ عليه السلام لِابْنِهِ الْحُسَيْنِ: «أَىْ بُنَىَّ إِنَّهُ مَنْ أَبْصرَ عَيْبَ نَفْسِهِ شَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ»[٢]؛

انّ الانشغال في عيوب الذات والاعراض عن عيوب الغير هي الخطوة الاولى في تدعيم البنية الثمينة للنفس الانسانيّة وهذا هو عمل العرفاء وبداية الطريق في العرفان الحقيقي.

لأنّه عند ما يبدأ الانسان باكتشاف عيوبه ويعمل على رفعها فانه تتجلّى في مرآة الحياة الآدمي الصفات العليا والأسماء الحسنى للذات المقدّسة.

بقول العارف العاشق الحكيم صفاي الاصفهاني:

يتجلّى اللّه في قلب من له قلب وهناك يمكن رؤيته.

فابحث هناك ان كنت باحثاً ولا تبحث في الأرض ولا في السماء.

نحن شحاذون بالفقر والفناء ونرنو الى هبات سلطان البقاء.

لنتعبد بالبلاء ونرنو الى الرحمة فان ارتضينا الحبيب لنرض البلاء.

لنلجأ إلى الموت ولا نهرب منه فهو لنا دار الشفاء.

حجاب الوجه مقصودي ومقصودنا ومقصودكم.

فانظروني أنا ونحن وأنتم.

لا يمكن رؤية الصفاء في دار الفقر فهملمّوا الى تلك الدار لرؤية الصفاء.

١ـ نهج البلاغة: خطبه ١٧٥.

٢ـ تحف العقول: ٨٨، وصيته لابنه الحسين عليه السلام؛ بحار الأنوار: ٤٧/٧٢، باب ٤٠، حديث ٣.

غضّ النظر عمّا لا يجدي نفعاً في الدنيا والآخرة:

وغضّ النظر هذا رهن بمعرفة الانسان لقيمته وقيمة عمره وبالايمان بنبوة مئة وأربعة وعشرين ألف نبي وباثني عشر اماماً وفقه الفقهاء وحكمة الحكماء وعلم العلماء وعرفان العارفين؛ وبوعيه لما عاناه اولئك الرجاء العظماء في ميدان الحياة الانسانيّة، كلّ تلك المعاناة الطويلة على امتداد التاريخ كانت من أجل الاّ يهدر الانسان عمره في الباطل ولا يبدد سنوات العمر في ما لا يجدي نفعاً في الدنيا والآخرة فحذروا من ذلك ونهوا عنه.

ومادام الانسان أسيراً للنفس الامّارة فانه لا يحذر من القيام من الأفعال والأعمال التي لا طائل من ورائها ومادام سادراً في ذلك فانه لا يكترث لما يبدو من ساعات العمر ليلاً ونهاراً في الأباطيل.

ان تبديد سنوات العمر في الأعمال التي لا تجدي نفعاً في الدنيا والآخرة سوف يفضي بالانسان في النهاية الى الحسرة والندم العميق وهذه الحسرة تبلغ من الأسى ما لا يمكن وصفه أبداً لأنّه ما فات فات ولا يمكن عمل شيء بعد فوات الأوان.

ان تبديد سنوات العمر في ما لا يجدي نفعاً يقود الى الكسل والى الخمول والى حياة حيوانيّة لا تنطوي على هدف ولا غاية والامعان في هكذا حياة يصبح عادة قريبة من القطيع بحيث يصعب في النهاية الى أن يعي الانسان ما قد بلغ من السقوط وبالتالي تصبح العودة الى الوعي مسألة في غاية الصعوبة.

ولهذا ينبغي للانسان أن يعرض عن كلّ ما لا طائل من ورائه أن يعرض عن الاستماع الى الأباطيل وأن يغض بصره عن مشاهدة ما لا طائل من ورائه.

فيا أيّها الانسان لا تبدد عمرك في ما لا فائدة فيه ولا جدوى منه ولا تعاشر من لا ينفعك في دنياك وآخرتك ولا تهدر سنوات العمر الذي هو رأس مالك في الحياة في الأباطيل.

الخسارة جرّ أو نسيان الذنوب:

انّ الذنوب والمعاصي تشكل خطراً يتهدّد الهوية والشخصيّة الانسانيّة بالفناء والزوال.

وينبغي أن يعي المرء ان الأوامر الالهيّة والنواهي انما هي في مصلحة الانسان وان الاستجابة لشرعة الحق تعالى موجبة لضمان السعادة الانسانيّة في الدنيا والآخرة.

وانه لمن الوقاحة بمكان أن يجترئ الانسان على تعدّي حدود اللّه سبحانه وان هذا لمن أسوأ صفات الانسان وأسوأ حالاته ان الذنوب لا تجدي نفعاً على الانسان بل انها تجلب الدمار عليه وتهدّد انسانيته بالخطر.

ولهذا كان الأنبياء يحذّرون الانسان من ارتكاب الذنوب ويحثونه على اجتناب المعاصي.

وأساساً فان بعثة الأنبياء ورسالة الأوصياء هي حيث الانسان على التزام الأوامر والنواهي الالهيّة.

ذلك ان الذنوب والمعاصي تعمل على اطفاء النور الذي يضيء في القلب والروح شيئاً فشيئاً الى ان تعم الظلمات ويتحول القلب ذلك الجزء النابض بالعاطفة والحب الى ما يشبه الصخر قسوة وتصبح عملية تزكية النفس في النهاية شاقة.

ان المذنب العاصي مبغوض من لدن الحبيب مبغوض من الملائكة منبوذ من قبل الأنبياء محروم من الفيض الالهي.

نتائج الذنوب في الآيات والروايات:

جاء في الروايات عن النبيﷺ انه ما يطلع فجر صادق ولا يغيب شفق الاّ ونادى ملكان بأربع مسائل:

أحدهما يقول: ليت هذا الخلق لم يخلق.

فيقول الآخر: ليتهم علموا لم خلقوا.

فيقول الأوّل: ليتهم وقد جهلوا الغاية من خلقهم عملوا بالذي علموا.

فيقول الآخر: ليتهم وهم لم يعملوا بالذي لم يعلموا تابوا وتابوا ممّا عملوا[1].

قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ:

«وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ لَيُحْبَسَ عَلى ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ مِأَةَ عامٍ وَأَنَّهُ لَيَنْظُرَ إلى أَزْواجِهِ فِى الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمْنَ»[2].

قالَ الْباقِرُ عليه السلام:

«ما مِنْ شَىءٍ أَفْسَدُ لِلْقَلْبِ مِنْ خَطيئَةٍ إنَّ الْقَلْبَ لَيُواقِعَ الْخَطيئَةَ فَما تَزالُ بِهِ حَتّى تَغْلِبَ عَلَيْهِ فَيَصيرُ أَعْلاهُ أَسْفَلَهُ»[3].

قالَ الصّادِقُ عليه السلام:

«يَقُولُ اللّه تَعالى: إنَّ أَدْنى ما أَصْنَعُ بِالْعَبْدِ إذا آثَرَ شَهْوَتَهُ عَلى طاعَتى أَنْ أُحْرِمَهُ لَذيذَ مُناجاتى»[4].

١ـ الكافي: ٢٧٢/٢، باب الذنوب، حديث ١٩؛ جامع السعادات: ٣٧/٣.

٢ـ الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، حديث ١؛ جامع السعادات: ٣٧/٣.

٣ـ الكافي: ٢٦٨/٢، باب الذنوب، حديث ١.

٤ـ جامع السعادات: ٣٧/٣.

وَقالَ عليه السلام: أَما إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِرْقٍ يُضْرَبُ، وَلا نَكْبَةٍ وَلا صُداعٍ وَلا مَرَضٍ إلاّ بِذَنْبٍ وَذلِكَ قَوْلُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ فى كِتابِهِ:﴿وَمَا أَصَابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾[١].[٢]

وَقالَ عليه السلام: «إِنَّ الرَّجُلَ يَذْنَبُ الذَّنْبَ فَيَحْرُمُ صَلاةَ اللَّيْلِ وَإِنَّ الْعَمَلَ السَّيِّئَ أَسْرَعُ فى صاحِبِهِ مِنَ السِّكّينِ فِى اللَّحْمِ»[٣].

وَقالَ الكاظِمُ عليه السلام:

«حَقٌّ عَلَى اللّه أَن لا يُعْصى فى دارٍ إلاّ أَضْحاها لِلشَّمْسِ حَتّى تُطَهِّرَها»[٤].

وتعني هذه الكلمات العميقة انّ هذه الدار لابدّ وأن تتعرض للدمار والخراب ولابد أن تشرق عليها الشمس وتطهرها.

وجاء في الروايات ان آدم عليه السلام لما عصى (بتركه الأولى) سقطت عنه ثيابه وأصبح عرياناً وحينئذٍ جاءه امين الوحي ورفع عن رأسه تاج الكرامة ثمّ جاء النداء من فوق العرش ان أخرج من جواري واهبط الى الأرض لانه لا يحق للعاصي المذنب أن يجاورني فقال آدم لحواء وهو يبكي ان هذا لأول نحس يصيبنا من الذنب وقد حرمنا من جوار الحبيب.

وجاء النداء الى آدم: كيف كان جواري لك؟ قال آدم: جوار حسن فجاء

١ـ الشورى ٤٢: ٣٠.

٢ـ جامع السعادات: ٣/٣٧.

٣ـ جامع السعادات: ٣/٣٧.

٤ـ الكافي: ٢/٢٧٢، باب الذنوب، حديث ١٨؛ بحار الأنوار: ٧٠/٣٣١، باب ١٣٧،حديث ١٥.

النداء: اخرج من جواري وانزع عن رأسك تاج العظمة لأن العاصي لا يمكنه مجاورتي، وقد جاء في الرواية انّ آدم بكى مئتي عام على ما قام به من المعصية حتّى قُبلت توبته[١].

فأمعن النظر وانظر ببصيرتك الى آدم وكيف يؤاخذه الحق من أجل أن يتزكّى ويصفو باطنه ولم تكن معصيته الاّ بترك الاولى، فيا ترى كيف يكون أمرنا ونحن نعصي اللّه بارتكاب المحرّمات؟

يقول سپهر الكاشاني في هذا المضمار:

اخط خطوة واحدة خارج نفسك واخجل ممّا تفعل ايها المغرور الى متى؟!

لم تبق سوى خطوة لتصل الى زقاق الملك لكنها خطوة على حساب النفس.

الرجل من يتخطى نفسه في طريق الذي يحب، انك ان بقيت أسير نفسك لن تكون رجلاً ولا امرأة فهشم انانيتك حتى لا يبقى سوى اللّه.

فحطّم الصنم وقدّم رأسك مسروراً فالرجل الرجل من يعدو في ميدان الحب باسماً دامي الكفن.

كيف تريد الملك وعقلك مغلوب لنفسك وسليمانك في السجن وعلى العرش تربع الشيطان؟

أجل انّ نتيجة ارتكاب الذنوب والمعاصي هي حرمان الانسان من السعادة في الدنيا والآخرة والابتعاد عن الرحاب القدسي لذي الجلال.

وانه لمن أسوأ الذنوب هو غفلة الانسان عن وقت المعصية وزمان ارتكاب الخطيئة بمعنى الاستغراق في الذنب دون وعي بحيث ينسى نفسه وينسى ذنبه

١ـ جامع السعادات: ٣٨/٣.

وينسى ربّه وهذا ما عبّر عنه الحق تعالى اسمه بـ«الاستدراج» أي الاستغراق في وسائل الحياة وتحول هذه الوسائل الى أدوات في ارتكاب الذنوب مع نسيان للذات والرب.

لأن الانسان وهو سادر في هذه الطريق فانه يواصل انحداره من دون احساس بالألم حتّى يرتطم بقعر الهاوية وعند ما ينتبه يكون قد فان الأوان حيث يجد نفسه وقد نشبت به مخالب العذاب والألم فيستغيث ولا يغاث وينادي ولا من مجيب!

وتشير الآيات والروايات الى ان مرتكب الذنوب المستغرق في المعاصي ينسى اللّه؛ ما يعني انه غارق في غفلته غائص في مستنقع آسن من دون وعي لما هو فيه وهو يتصوّر أن كلّ ما بحوزته من امكانات وما يتمتّع به من حياة يعود عليه بالنفع بل الحقيقة انه في حالة استدراج وان ما يحظى به من امكانات ووسائل انما تعمل على ان تزيده عمىً الى عماه وصمماً الى صممه وانه ينحدر الى هاوية السقوط دون وعي:

﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1].

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُبْلِسُونَ﴾[2].

﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ * أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم

١ـ آل عمران ٣: ١٧٨.

٢ـ الأنعام ٦: ٤٤.

بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾[١].

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾[٢].

وجاء عن الامام جعفر الصادق في مضمار الاستدراج الالهي انه يعني الاستغراق في وسائل الحياة والامعان في الملذات في ما حرّم اللّه عزّوجلّ قال عليه السلام: انّ اللّه تبارك وتعالى أهبط ملكاً الى الأرض فلبث فيها دهراً طويلاً ثمّ عرج الى السماء فقيل له: ما رأيت؟ قال: رأيت عجائب كثيرة وأعجب ما رأيت اني رأيت عبداً متقلباً في نعمتك يأكل رزقك ويدّعي الربوبيّة فعجبت من جرأته عليك ومن حلمك عنه؛ فقال اللّه جلّ جلاله فمن حلمي عجبت؟ قال: نعم. قال قد أمهلته أربعمئة سنة لا يضرب عليه عرق ولا يريد من الدنيا شيئاً الاّ ناله ولا يتغيّر عليه فيها مطعم ولا مشرب[٣].

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله انه قال:

«ان اللّه عزّوجل اذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي وفيها ثلاثة نفر من المؤمنين ناداهم جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه: يا أهل معصيتي لو لا ما فيكم من المؤمنين المتحابّين بجلالي العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي المستغفرين بالاسحار خوفاً مني لأنزلت بكم عذابي ثمّ لا أبالي»[٤].

١ـ المؤمنون ٢٣: ٥٤ ـ ٥٦.

٢ـ القلم ٦٨: ٤٤ ـ ٤٥.

٣ـ بحار الأنوار: ٣٨١/٧٠.

٤ـ علل الشرايع: ٢٤٦/١، باب علة دفاع اللّه، عز وجل، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٨١/٧٠، باب ١٣٩، حديث ٣.

قالَ اميرالمؤمنين عليه السلام: «كَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسانِ إِلَيْهِ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فيهِ وَمَا ابْتُلِيَ اللّه أَحَدا بِمِثْلِ الْإِمْلاء لَهُ»[1].

انّ الانسان لو أدرك قيمته حقاً في ظلّ تعاليم الأنبياء والأئمّة والأولياء ووعى شأنه فانه لن يتردّد لحظة واحدة في رفض المعاصي وارتكاب الذنوب مهما صغرت لأنه سوف يرفض رفضاً قاطعاً أن يلوّث نفسه الطاهرة وفطرته الصافية بما يثقلها من أدران الآثام.

١ـ نهج البلاغة: حكمت ١١٦.

«وَمادامَ الْعَبْدُ مُشْتَغِلاً بِطاعَةِ اللّه وَمَعْرِفَةِ عُيُوبِ نَفْسِهِ وَتَرْكِ ما يَشينُ فى دينِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ بِمَعْزَلٍ عَنِ الأفاتِ غائِصٌ فى بَحْرِ رَحْمَةِ اللّه عَزَّ وَجَلَّ يَفُوزُ بِجَواهِرِ الْفَوائِدِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْبَيانِ وَمادامَ ناسِيا لِذُنُوبِهِ جاهلاً لِعُيُوبِهِ راجِعا إلى حَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لا يُفْلِحُ إذا أَبَدا»

وفي ختام هذه الرواية يقول الامام الصادق عليه السلام انّ الانسان اذا ما استغرق في طاعة اللّه عزّوجلّ ومعرفة عيوب ذاته وترك كلّ ما هو شائن في دين اللّه بعيداً عن الأمراض الاخلاقيّة والاجتماعيّة يسبر أعماق بحر الرحمة الالهيّة فانه سوف يحصل على جواهر الحكمة ولآلئ البيان؛ لكن عند ما ينسى ذنوبه ويجهل كلّ شيء عن عيوبه مخدوعاً بقدراته فانه سوف يفشل ويخفق في حياته.

هلموا لننقذ أنفسنا ولنتشبث بالأنبياء والأئمّة مستندين الى قدرة اللّه المطلقة حتّى نتمسّك بحبل اللّه المتين وننجوا من هاوية المصير الأسود في الدنيا والآخرة.

وكما يقول علاء الدولة السّمناني:

انّ الأنبياء بعثوا لكي يفتح الانسان عينيه ويرى عيوب ذاته وكمال الحق.

وحتّى يدرك الانسان عجزه وقدرة الحق وحتى يعرف ظلم نفسه وعدل الحق.

ويقرّ بجهله وعلم الحق وبذلّه وعزّة الحق وبعبوديته وربوبيّة الحق وبفقره

وغنى الحق وبتقصيره ونعم الحق وبفنائه وبقاء الحق.

يقول الفيض الكاشاني الذي اسكرته خمرة الجلال الالهي:

كلّ من رضى عن نفسه يسخر ابليس منه.

المرتضى من ترتضيه آيات القرآن.

الذي تتلألأ على وجهه أنوار الايمان وأسرار العرفان.

الذي يزوره الحق ويترشّح نور اللّه منه.

الذي يرى في مرآة قلبه ربّ العالم عياناً.

الباب

(٨)

آداب السواك

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: «اَلسِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ وَجَعَلَهَا مِنَ السُّنَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ وَفيها مَنَافِعُ كَثيرَةٌ لِلظَّاهِرِ وَالْباطِنِ ما لا يُحْصى لِمَنْ عَقَلَ وَكَما تُزيلُ ما تَلَوَّثَ مِنْ أَسْنَانِكَ مِنْ مَطْعَمِكَ وَمَأْكَلِكَ بِالسِّواكِ كَذلِكَ أَزِلْ نِجاسَةَ ذُنُوبِكَ بِالتَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّهَجُّدِ وَالاِسْتِغْفارِ بِالْأَسْحارِ».

وَطَهِّرْ ظاهِرَكَ وَباطِنَكَ مِنْ كُدُوراتِ الْمُخالَفاتِ وَرُكُوبِ الْمَناهى كُلِّها لِلّه تَعالى فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله أَرادَ بِاسْتِعْمالِها مَثَلاً لِأَهْلِ الْيَقْظَةِ.

وَهُوَ أَنَّ السِّواكَ نَباتٌ لَطيفٌ نَظيفٌ وَغُصْنُ شَجَرِ عَذْبٍ مُبارَكٍ وَالْأَسْنانُ خَلْقٌ خَلَقَهُ اللّه تَعالى فِى الْخَلْقِ آلَةً وَاَداةً لِلْمَضْعِ وَسَبَباً لِاِشْتِهاءِ الطَّعامِ وَإِصْلاحِ الْمِعْدَةِ وَهِيَ جَوْهَرَةٌ صافِيَةٌ تَتَلَوَّثُ بِصُحْبَةِ تَمْضيغِ الطَّعامِ وَتَتَغَيَّرُ بِها رائِحَةُ الْفَمِ وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا الْفَسادُ فِى الدِّماغِ.

فَإِذا اسْتاكَ الْمُؤْمِنُ الْفَطِنُ بِالنَّباتِ اللَّطيفِ وَمَسَخَها عَلَى الْجَوْهَرَةِ الصَّافِيَةِ أَزالَ عَنْها الْفَسادَ وَالتَّغَيُّرِ وَعادَتْ إِلى أَصْلِها[1].

كَذلِكَ خَلَقَ اللّه الْقَلْبَ طاهِرا صافِيا وَجَعَلَ غِذاءَهُ الذِّكْرَ وَالْفِكْرَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظيمَ وَإِذا شيبَ الْقَلْبُ الصَّافى فى تَغْذِيَتِهِ بِالْغَفْلَةِ وَالْكَدَرِ وَصُقِلَ بِمَصْقَلَةِ التَّوْبَةِ وَنُظِّفَ بِماءِ الْأَنابَةِ لِيَعُودَ عَلى حالَتِهِ الْأُولى وَجَوْهَرَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ الصَّافِيَةِ قالَ اللّه تَعالى ﴿إِنَّ اللّه يُحِبُّ التَّوابينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرينَ﴾[2]

---

١ ـ هذه الجملة غير موجودة في نسخة عبدالرزاق اللاهيجي.

٢ ـ البقرة ٢: ٢٢٢.

وقال النبى صلى الله عليه وآله: عَلَيْكُمْ بِالسِّواكِ ظاهِرَ الأَسْنانِ وَأرادَ هذا الْمَعْنى.

وَمَنْ أَناخَ تَفَكُّرَهُ عَلى بابِ عَتَبَةِ الْعَبْرَةِ فى اِسْتِخْراجِ مِثْلِ هذِهِ الْأَمْثالِ فِى الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ فَتَحَ اللّه لَهُ عُيُونَ الْحِكْمَةِ وَالْمَزيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّه لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ

«قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: اَلسِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ وَمَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ وَجَعَلَهَا مِنَ السُّنَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ وَفيها مَنَافِعُ كَثيرَةٌ لِلظَّاهِرِ وَالْباطِنِ ما لا يُحْصى لِمَنْ عَقَلَ»

صحّة الفم والأسنان:

وهنا يروي الامام الصادق عليه السلام عن جدّه النبي الأكرم حول فوائد السواك في تطهير الفم وأن في عمليّة السواك رضا اللّه سبحانه فالسواك سنّة مؤكّدة وفيه الكثير من الفوائد على صعيدي الجسم والروح.

انّ تنظيف الأسنان ممّا يعلق بها من الطعام والغذاء يجنّب المرء الاصابة بالكثير من الأمراض الخطيرة؛ ذلك ان المواد الغذائيّة سرعان ما تتخمر ثمّ تجد طريقها الى الجهاز الهضمي مع اللعاب وبالتالي نفوذ المكروبات في أجهزة الجسم المختلفة ما يعرّض سلامة الانسان الى الخطر وعندها يصاب البدن الذي يتعين عليه القيام بما فرضه اللّه وأداء الكثير من العبادات من قبيل الصلاة والحج والصوم والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تفضي الى تحصيل رضا اللّه سبحانه وتعالى.

ان من لا يهتم بصحّة الفم والاسنان خاصّة يعرض جسمه وسلامته البدنيّة للخطر وبالتالي سقوطه فريسة للأمراض والضعف بحيث يعجز عن اداء الفرائض

الالهيّة من يحظى برضا اللّه سبحانه.

يتصوّر البعض انّ رضا اللّه سبحانه يكمن في العبادة فقط وأداء الطقوس المعنويّة وهذا تصور خاطئ لأن الاسلام جاء من أجل الظاهر والباطن من أجل السلامة البدنيّة والسلامة الروحيّة من أجل سعادة الانسان في الدنيا والآخرة ولذا على الانسان المسلم أن ينظم حياته في ضوء الشريعة الاسلاميّة.

ومن هنا فان الاعراض عن تعاليم الاسلام فيما يخص القضايا الصحيّة هو خطأ فاحش وخطير يعرض حياته الانسان للخطر في الدنيا والآخرة.

ان على المؤمن أن يكون نظيفاً في كلّ الأحوال وأن يكون مسكنه نظيفاً وطعامه طيباً ولباسه طاهراً وحتى المدينة يجب أن تكون شوارعها نظيفة وأزقتها وساحاتها بل وحتى مقابرها أيضاً.

وتخطّى مسألة نظافة الفم والأسنان في حياة المسلم المؤمن أهمية فائقة جداً وعند ما يكون الفم والأسنان في وضع جيد فان آثار ذلك سوف تنعكس على سائر أعضاء البدن بل وحتّى من الناحية النفسيّة والروحيّة هناك آثار ايجابيّة عديدة وكذلك جانب العلاقات الاجتماعيّة الذي يتأثر بشكل مباشر جرّاء ذلك سلباً أو ايجاباً.

وعند ما لا يكون الفم نظيفاً والأسنان في وضع سيّء في هذا الجانب فان الأسنان سوف تصاب بالتسوس ويصبح منظرها قبيحاً ثمّ تنعكس هذه الحالة على رائحة الفم التي يبلغ تأثيرها السلبي الى تنفير الآخرين وتتدهور العلاقات الزوجيّة بسبب ذلك وتضعف العلاقات العائليّة ويعدّ ذلك ظلماً يمارسه المرء في هذه الحالة بحق الآخرين الذين يعانون الأمرّين.

ثمّ لا يبلث الانسان أن يصاب بالأمراض الهضميّة المختلفة فيعاني جرّاء ذلك

وتمتد المعاناة الى الذين يعيشون معه؛ أفهل من الحكمة والعدالة أن نهمل صحّة أسناننا؟!

اهمية السواك في الروايات:

أولى الاسلام مسألة السواك وبتعبير أوسع صحّة الأسنان والفم أهمية بالغة ووضع لذلك قواعد صلبة حيث يتوجب على كلّ مسلم ومسلمة الاطلاع عليها.

ويعدّ السواك من سنن الأنبياء والمرسلين وهو جزء حيوي في صميم الثقافة الاسلاميّة.

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «اَلسِّواكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلينَ»[1]؛

وَقالَ أَبُو عبدالله عليه السلام: «مِنْ أَخْلاقِ الْأَنْبياءِ السِّواكُ»[2]؛

وَقالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

«أَرْبَعٌ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلينَ: التَّعَطُّرُ وَالسِّواكُ وَالنِّساءُ وَالْحَناءُ»[3]؛

قالَ أَبو عبدالله:

«نَزَلَ جِبْرَئيلُ عَلى رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله بِالسِّواكِ وَالْخِلالِ وَالحَجامَةِ»[4]؛

عَنْ أَبي عبدالله عليه السلام قالَ:

«قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله: اَوْصانى جَبْرَئيلُ بِالسِّواكِ حَتَّى خِفْتُ

١ـ الكافي: ٤٩٥/٦، باب السواك، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٦/٢، باب ١، حديث ١٣٠٤.

٢ـ الكافي: ٤٩٥/٦، باب السواك، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٥/٢، باب ١، حديث ١٣٠٢.

٣ـ من لا يحضره الفقيه: ٥٢/١، باب السواك، حديث ١١١؛ وسائل الشيعة: ١٠/٢، باب ١، حديث ١٣١٧.

٤ـ الكافي: ٣٧٦/٦، باب الخلال، حديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٦/٢، باب ١، حديث ١٣٠٥.

على أَسْنانى»[١]؛

عَن الصَّادِقِ عليه السلام قالَ:

«قالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله: مازالَ جِبْرَئيلُ يُوصينى بِالسِّواكِ حَتّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَجْعَلُهُ فَريضَةً»[٢]؛

عَنْ أبى جَعْفَرٍ عليه السلام

قالَ: قالَ النَبِىُّ صلى الله عليه وآله: «مازالَ جِبْرَئيلُ يُوصينى بِالسِّواكِ حَتّى خِفْتُ أَنْ أُحْفِىَ أَوْ أُدْرِدَ»[٣]؛

ويتحدّث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«عن السواك وما فيه من الفوائد الدنيويّة والاخرويّة فالسواك يعود بالنفع على الانسان المسلم بالخير في الدنيا والآخرة».

قَالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«فِى السِّواكِ ثَمانِيَةُ خِصالٍ: يَطيبُ الْفَمَ، وَيَشُدُّ اللِّثَةَ، وَيَجْلُو الْبَصَرَ، وَيَذْهَبُ بِالْبَلْغَمِ، وَيَفْرَحُ الْمَلائِكَةَ، وَيُرْضِى الرَّبَّ، وَيَزيدُ الْحَسَناتِ، وَيَصِحُّ الْمِعْدَةَ»[٤]؛

فهو يطيّب ويعطّر رائحة الفم ويشدّ اللثّة ويقوي البصر وتكون المعدة في

١ـ الكافي: ٤٩٦/٦، باب السواك، حديث ٨؛ وسائل الشيعة: ٩/٢، باب ١، حديث ١٣١٤.

٢ـ من لا يحضره الفقيه: ١٣/٤، باب ذكر جمل من مناهى النبى، حديث ٤٩٦٨؛ وسائل الشيعة: ٩/٢، باب ١، حديث ١٣١٥.

٣ـ الكافي: ٢٣/٣، باب السواك، حديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٥/٢، باب ١، حديث ١٣٠٠.

٤ـ وهناك أحاديث مشابهة في الكافي: ٤٩٥/٦؛ وسائل الشيعة: ٧/٢.

وضع جيد صحياً ويقضي على البلغم ثم ينتقل الى الجانب الآخر من حياة الانسان حيث نرى الملائكة تبتهج ويحصل الانسان على رضا اللّه سبحانه ويزاد في حسنات الانسان تصور كيف يتكاثف الغبار فوق الزجاج أو يغطي نظارتك انك تبادر الى ازالة الغبار ومسح الزجاج جيداً لتتمكن من الرؤية كذلك يفعل السواك في العين أنه يجلوها ويجعلها أكثر قدرة على الرؤية وقد أشارت الدراسات العلمية في مجال طب العيون الى تأثير سلامة اللثة والأسنان في قدرة العين على الابصار وقد يصل التهاب اللثة الى مستويات خطيرة تؤدّي الى فقدان البصر.

كما أشار العلماء الى حالات مرضية في الكلية والكبد جرّاء ما وصل اليه الفم والأسنان من وضع صحي متردّي.

ونلاحظ كيف يستخدم النبي الأكرمﷺ بعض المفردات ذات الدلالات الطبية من قبيل «**الطبيب**» و «**شدّ اللثة**» و «**جلاء البصر**».

ان الالتزام بهذه التعاليم على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع يفضي الى تبلور علاقات اجتماعيّة في غاية القوّة وهنا نجد النبيﷺ يضيف بعداً آخر حيث أشار الى فرح الملائكة اذ يبدو من خلال هذا الحديث وأحاديث أُخرى انها على اتّصال وثيق بالمجتمع الانساني.

وانطلاقاً من أهميّة المعدة في سلامة الجسم حيث جاء في الحديث «**المعدة بيت الداء**» فان لسلامة الفم والأسنان واللثة تأثير كبير في الصحّة العامّة وقد عبّر بعضهم حول ارتباط حياة الانسان الوثيق بهذا الجانب أن قال: انّ الانسان يحفر قبره بأسنانه.

ان حدوث خلل في سلامة الفم والأسنان سوف يربك جميع أعضاء الجسم

ويعرقل نشاطات أجهزته وقد قيل؛ العقل السليم في الجسم السليم.

ولهذا فان النظافة تشغل موقعاً مصيرياً في حياة الانسان وتؤثر في مصيره يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللّه يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١].

كيفية السواك:

يوصي أطباء الأسنان في كيفيّة استخدام فرشاة الأسنان وينصحون بغسل الأسنان عرضاً ونحن نجد في ما ورد من الحديث عن النبي الأكرمﷺ هذه التوصية قبل أربعة عشر قرناً.

قالَ رَسُولُ اللّهِﷺ: «إذا اسْتَكْتُمْ فَاسْتاكُوا عَرضا»[٢].

وقت السواك:

انّ أفضل الأوقات للسواك هو قبل الخلود الى النوم لأن الفم سيبقى ينعم بالهدوء ساعات طويلة ما يعني ان عملية التخمر سوف تتم في اجواء مساعدة ويمكن للمكروبات أن تقوم بنشاطها في الفعل والانفعال.

وبعد النهوض من النوم أيضاً اذ يعدّ الصبح وقتاً جيّداً للسواك وغسل الأسنان حيث يمكن ازالة كلّ ما نجم عن التخمّر وتطهير الفم والأسنان من المكروبات.

وللاحتياط أكثر يمكن فان غسل الفم والأسنان والاستياك قبل الأكل اذ يحول ذلك دون دخول ونفوذ المكروبات الى داخل الجهاز الهضمي.

١ـ البقرة ٢: ٢٢٢.

٢ـ السنن الكبرى: ٤٠/١؛ الجامع الصغير: ٦٨/١.

وقد وصّى رسول اللّه صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام فيما أوصاه قائلاً:

«وَعَلَيْكَ بِالسِّواكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوء»[١].

وجاء في رواية اخرى يا علي عليك بالسواك عند كلّ وضوء للصلاة.

وجاء عنه صلى الله عليه وآله قوله: السواك نصف الوضوء[٢].

وجاء أيضاً لو لا أن اشق على امّتي لأمرتهم بالسواك عند كلّ وضوء.

وجاء في الروايات ان رجلاً جاء الى الامام الصادق وقد نسي الاستياك في وضوئه فقال الامام الصادق عليه السلام عليك بالسواك عند وضوئك فانه نصف الوضوء.

«يا عَلي عَلَيْكَ بِالسِّواكِ لِكُلِّ صَلاةٍ»[٣].

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: «رَكْعَتانِ بِالسِّواكِ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعينَ رَكْعَةً بِغَيْرِ سِواكٍ»[٤].

وجاء في السيرة النبويّة الشريفة ان رسول اللّه كان يستاك في الليل ثلاث مرّات قبل خلوده للنوم وعند نهوضه لصلاة الليل وقبل صلاة الفجر[٥].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «اذا قمت بالليل فاستك فان الملك يأتيك فيضع فاه عل فيك وليس من حرف تتلوه وتنطق به الاّ صعد به الى السماء فليكن فوك طيب الريح»[٦].

١ـ الكافي: ٧٩/٨، وصية النبي صلى الله عليه وآله، حديث ٣٣؛ بحار الأنوار: ١٣٢/٧٣، باب ١٨،حديث ٣٠.

٢ـ وسائل الشيعة: ١٧/٢، باب استحباب السواك عند الوضوء، حديث ٢ و ٣.

٣ـ الكافي: ٤٩٦/٦، باب السواك، حديث ١٠؛ بحار الأنوار: ١٣٢/٧٣، باب ١٨،حديث ٣١.

٤ـ الكافي: ٢٢/٣، باب السواك، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٩/٢، باب ٥، حديث ١٣٥٣.

٥ـ بحار الأنوار: ١٣٥/٧٦، باب ١٨، حديث ٤٧.

٦ـ الكافي: ٢٣/٣، باب السواك، حديث ٧.

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام:

«اذا قمت من فراشك فانظر في السماء وقل الحمد للّه وعليك بالسواك فانّ السواك في السحر قبل الوضوء من السنّة ثمّ توضّأ»[1].

ومن هنا فان غسل الاسنان والاستياك من سنن الاسلام الأكيدة ومن الآداب الدينيّة التي تعود بالنفع والفائدة على ظاهر وباطن الانسان على صحّة الجسم وسلامة الروح والنفس.

١ـ وسائل الشيعة: ٢١/٢، باب ٦، حديث ١٣٦١.

«وَكَما تُزيلُ ما تَلَوَّثَ مِنْ أَسْنَانكَ مِنْ مَطْعَمِكَ وَمَأْكَلِكَ بِالسِّواكِ كَذلِكَ أَزِلْ نِجاسَةَ ذُنُوبِكَ بِالتَّضَرُّعِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّهَجُّدِ وَالاِسْتِغْفارِ بِالْأَسْحارِ»

وهنا يوصي الامام الصادق عليه السلام انه وكما تنظف فمك وأسنانك من التلوّث فأزل ما تلوّث من النفس وذلك بالتضرّع والدعاء والاستغفار في أعمال الليل.

ويتضمّن المقطع أربعة مواضيع غاية في الأهميّة في تطهير الوجود الانساني:

١ ـ التضرّع والبكاء.

٢ ـ الخشوع.

٣ ـ احياء الليل بالعبادة.

٤ ـ الاستغفار في السحر.

البكاء:

البكاء في رحاب الحق تعالى سواء شوقاً وحبّاً أو خشية وخوفاً أو خلال قراءة القرآن الكريم وتلاوته أو أثناء الدعاء وحلاوته أو من خلال الترنّم بالأشعار ذات المضامين العالية تألّماً من فراق المحبوب ان لكلّ هذا تأثير كبير في تطهير النفس الانسانيّة ممّا يعلق بها من الشوائب.

وهذه الحالات كلها تعدّ من صميم العبادة وأسماها والتوجه الى عزّوجلّ

فالانسان المؤمن في رحاب الحق وبين يدي الحبيب له علامات وأهمها البكاء وانهمار الدموع.

انّ البكاء على خسائر ماديّة دنيويّة أو على فشل حب شهواني عابر هو مؤشر على انحطاط روحي وأخلاقي.

فيما البكاء شوقاً وحباً للمحبوب الحقيقي في عمق الليل المفعم بالسكينة والبكاء على شهيد الانسانيّة جمعاء الحسين بن علي عليه السلام والبكاء على فقدان أحبّة في الدين والايمان انّ هذا هو البكاء الايجابي الذي يطهر النفس ويصقل الروح ويرتفع بالانسان الى رحاب الملكوت.

ان البكاء له من أكبر النعم الالهية التي أنعم به اللّه سبحانه على عبده والانسان يصبح أكثر انسانية عند ما تموج في عينيه الدموع أما جمود العين فانه دليل على قسوة القلب ومن يعاني من هذه الحالة عليه أن يبادر الى علاج نفسه.

البكاء علامة المؤمن:

والبكاء من العلامات على ايمان العبد وانسانيته.

قال سبحانه في محكم كتابه الكريم:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[1].

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾[2].

١ـ المائدة ٥: ٨٣.

٢ـ مريم ١٩: ٥٨.

وعند ما يبكي الانسان من أجل اللّه سبحانه فان ذلك يدلّ على خشوع في القلب وخضوع للأعضاء والجوارح في رحاب الحق تعالى.

ويبلغ الدعاء من الأهميّة والقيمة ان الامام زين العابدين عليه السلام «يطلب من اللّه عزّوجل أن يكون موته في اليوم الذي لا تدمع عيناه في بيته وبين يديه»[1].

وجاء في زيارة أمين اللّه:

«وَعَبْرَةَ مَنْ بَكَى مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةً»؛

وورد في رواية دعاء يوم عرفة لسيّد الشهداء سبط النبي الحسين بن علي عليه السلام انّ الامام عليه السلام وقف في حالة من التضرّع باتّجاه بيت اللّه ومدّ كفيه كالمسكين وهملت عيناه بالدموع ثم انسابت كلمات الدعاء.

أجل انّ البكاء والتضرّع في رحاب الحق تعالى تذللاً له سبحانه واستشعاراً للفقر الانساني والعجز البشري في حضرة الغني المطلق والقدير الكبير هو جزء أساسي في صميم ثقافة الأنبياء والأئمّة الأطهار.

يقول جلال الدين المولوي:

املأ كأسي ايها الساقي بالمدام... روحي سكرى من كعبي.

الى هامة الرأس، الملك طوع يدي ومسكوكة القلب ضربت باسمي.

وقلب الكل بسعادتي وكلّي في قلبي.

وفي الصدر يتكئ الملك الجبال والأرض والسماء اصطفت تحيي القلب وقد استقرّ العقل وراء العشق وآن له أن يحكم سماوات الفؤاد.

وهذا العرش العظيم عند اقدام الفؤاد ومجد العرش العظيم وجد من فيض الحب اتخذت منك كعبة الامنيات وطريقك معادي الذي يهب الجماد سرعة السير في خطى الفؤاد.

١ـ مكارم الأخلاق: ٩٩.

حقي السكر وانا الكأس واعدام وانا السر التمام من هم الفؤاد.

قيمة البكاء في الروايات:

تتضمّن الروايات والأدعية الاسلاميّة اشارات على أهميّة البكاء وقد جاء في بعضها انّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أوصى علياً عليه السلام بخصال وطلب من اللّه عزّوجلّ أن يعينه عليها منها:

أوّلاً: الصدق وقول الحق فلا يخرج من فمه كذب أبداً.

ثانياً: الورع والعفاف فلا يخون أبداً.

ثالثاً: الخوف من اللّه كأنّه يراه.

رابعاً: البكاء والتضرّع في رحاب اللّه فله لكلّ قطرة دمع بيت في الجنّة.

خامساً: الجود بالنفس والمال في سبيل اللّه عزّوجلّ.

سادسا: اتباع سنّة النبي صلى الله عليه وآله في صلاته وصومه وصدقته وكان يصلّي في اليوم والليلة احدى وخمسين ركعة وفي صيامه كان يصوم ثلاثة أيّام من كلّ شهر يوم الخميس في أوّل الشهر ويوم الأربعاء وسط الشهر ثمّ الخميس في آخر الشهر وكانت صدقته كثيرة جداً حتّى يقال قد أسرف في العطاء ولم يسرف.

ثمّ أوصاه بصلاة الليل والصلاة عند زوال الشمس وقراءة القرآن في كلّ حال وأن يرفع يديه في حالة الدعاء والسواك عند كلّ وضوء والتحلّي بكلّ الصفات الاخلاقيّة الحسنة ومكارم الأخلاق واجتناب كلّ الأخلاق السيئة[1].

وجاء في سيرة النبي صلى الله عليه وآله:

١ـ وسائل الشيعة: ١٨١/١٥، باب ٤، حديث ٢٠٢٢٨.

«أَنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ يَبْكى حَتّى يُغْشى عَلَيْهِ»[١]؛

وجاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«بكى أبوذر رحمه الله عليه من خشية اللّه عزّوجلّ حتّى اشتكى بصره فقيل له يا أباذر لو دعوت اللّه أن يشفي بصرك فقال اني لمشغول وما هو من أكبر همّي قالوا: وما يشغلك عنه؟ قال: العظيمتان الجنّة والنار»[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر يوماً ان العلم الذي لا يبعث على البكاء (في سبيل اللّه) علم لا خير فيه من اُوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد اوتي علم ما لا ينفعه.

وقال اللّه عزّوجلّ في محكم الكتاب الكريم:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾[٣].

وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لأبيذر:

«يا أبا ذر من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليشعر قلبه الحزن وليتباك ان القلب القاسي بعيد من اللّه ولكن لا تشعرون»[٤].

١ـ سفينة البحار: ٣٥٧/١، باب الباء بعده الكاف.

٢ـ الخصال: ٣٩/١، حديث ٢٥؛ بحار الأنوار: ٤٣١/٢٢، باب ١٢، حديث ٤٠.

٣ـ الاسراء ١٧: ١٠٧ ـ ١٠٩.

٤ـ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٥٢٩، حديث ١١٦٢؛ بحار الأنوار: ٨٠/٧٤، باب ٤، حديث ٣.

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله قوله في علامات الشقاء، جمود العين وقساوة القلب وشدّة الحرص في طلب الرزق والاصرار على الذنب»[١].

وجاء في الروايات أنه «لا شيء من عمل الخير مثل البكاء خشية اللّه»[٢].

كما وجاء في الأحاديث الشريفة ان العين التي تدمع من خشية اللّه لا تبكي يوم القيامة وأن قطرة دمع في سبيل اللّه لتطفئ بحراً من النار وان الباكي الواحد في الامة يكون سبباً في نزول الرحمة عليها كلها وانه طوبى للعبد يراه اللّه باكياً بين يديه وان الباكون يوم القيامة في الرفيق الأعلى وان العبد يكون أقرب الى اللّه عزّوجلّ ساجداً يبكي[٣].

أجل البكاء في حالة السجود ينطلق بالانسان الى رحاب الملكوت الالهي ولا يمكن أن يصل الانسان الى هذه المرحلة من القرب الاّ في هكذا حالات فريدة.

وعند ما يوفق الانسان للوقوف في رحاب الحق في أعماق الليل وقت السحر حيث السماء مرصعة بالنجوم والليل مفعم بالسكينة حينئذٍ يستشعر الانسان حقيقته أنه لا شيء بين يدي اللّه العظيم وفي تلك اللحظات يدرك الانسان كم قد اسرف على نفسه كم اقترف من الخطايا كم هو بعيد عن نبع الحب الأزلي هنالك ينهار ويهودي الى الأرض ساجداً باكياً فتتدفق دموعه لتغسل قلبه وروحه ونفسه عما علق بها من ادران وخطايا وآثام وهكذا يتطهّر الوجود الانساني.

ما أسعد السرو في بستانك وطوبى للورد في رياضك.

ومروج القلب وبستان الروح تغدو زاهية ان كنت البستاني.

---

١ ـ الكافي: ٢/٢٩٠، باب في اصول الكفر، حديث ٦.

٢ ـ سفينة البحار: ١/٣٥٣، باب الباء بعده الكاف.

٣ ـ سفينة البحار: ١/٣٥٣، باب الباء بعده الكاف.

وطوبى للعندليب يغني سكراناً بقبضتك كلّ صباح.

وطوبى للفؤاد الذي تفتنه وللروح حيث أنت روح لها.

قلبي أضحى كالكرة تحت رحمة الصولجان وطوبى لقلبي اذا كنت أنت الصولجان.

وطوبى للانسان أن تكون في عينه وطوبى للعين ان كنت انسانها.

وطوبى للمسلم ان كنت اسلامه وللمحسن ان كنت احسانه.

لا أعرف للسعادة داراً الاّ في عشقك وطوبى لمن تكون له داراً وظلالاً.

الخشوع:

يذهب الكثيرون من السالكين في الطريق والعارفين وعشاق الوصال الى ان الخشوع أمر قلبي وانه اسمى وأعلى الحالات الانسانيّة وان طريق تحصيل هذه الحالة يتم بمعرفة اللّه عزّوجلّ.

جاء في تفسير «**الميزان**» في شرح معاني الآية الكريمة:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّه﴾[1]؛

ان الخشوع تأثر القلب بجلال اللّه وعظمته ووجوده المقدس، والانسان الذي يوفق الى ادراك صفات اللّه سيكون من نصيبه قلب خاشع بلا شك ويشرح صاحب «**قاموس القرآن**» مفهوم الخشوع في انه من المسلّم هو انّ الخشوع هو بمعنى التذلّل والتواضع حيث السكوت والهدوء والطاعة واطراق الرأس[2].

ويتسع هذا المفهوم ليشمل القلب وسائر أعضاء الجسم يعني انه يشمل اعماق

١ـ الحديد ٥٧: ١٦.

٢ـ قاموس القرآن: ٢٤٩/٢.

الانسان يعني الظاهر والباطن.

قال تعالى:

﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً﴾[١].

وجاء في الروايات انّ اللّه عزوجلّ قال لنبيه موسى بن عمران: أتعلم لِمَ اتّخذتك من بين الخلق كليماً؟ قال موسى: لِمَ يا ربّ؟ فجاء الجواب: يا موسى انني قلبت عبادي فلم أجد أحداً يتذلّل لي غيرك، يا موسى انك اذا قمت للصلاة عفرت وجهك بالتراب.

ان الخشوع يدفع بالانسان الى العبادة في أعماق الليل والبكاء في خلوة الانسان مع ربه، والقلب الخاشع هو أعظم ما يكون في حضرة الرب تبارك وتعالى.

وقال أحدهم ان القلب لطيف ينتمي الى العالم العلوي وان البدن قالب كثيف متصل بالعلم السفلي.

وليس بين البعدين الفة وعلاقة.

﴿أَنَّ اللّه يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾[٢].

لكي يكون ترجمان القلب والقالب فما كان نصيب القلب بلطيفه فما الذي وعيته من﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٣] ولو قمت بتعبئة القلب مجرّداً من القالب فان القلب والقالب لن يستأنسا وليس للقالب طاقة بأحوال القلب، وهذه الحقيقة واسطة وحائل بين القلب والقالب وان القلب ملكوتي والقالب ملكي.

١ـ طه ٢٠: ١٠٨.

٢ـ الأنفال ٨: ٢٤.

٣ـ الانشراح ٩٤: ١.

وليس في الملك من يعلم لسان الملكوت.

ومثال ذلك ان الأعجمي لا يفهم اللسان العربي الاّ بواسطة ترجمان يعرف اللسان العربي واللسان الاعجمي ومعلوم انه غير هذه الحواس الخمس الصورية خمس حواس معنوية باطنية وكلّ هذه معباة في كيان الانسان.

ومن ليس له قلب لا يعلم ما هو القلب فهل تزعم ان لك قلباً؟ فاخبرني أين هو؟ انه بين «**اصبعين من اصابع الرحمن**» فاطلبه هناك ولو انكشف حجاب الكبرياء لشفيت كلّ القلوب.

«**إنَّ اللّه لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَلا إلى أمْوالِكُمْ وَلكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأعْمالِكُمْ**»[1]؛

فيا عزيزي ان اللّه ينظر الى القلب فان اتخذت القالب لون القلب نظر اليه.

﴿**بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ**﴾[2]

قال ابن عبّاس: اللوح المحفوظ قلب المؤمن أوَلَم يقل المصطفى:

«**إنَّ الْعَرْشَ يَنالُ جَميعَ ما خَلَقَ اللّه**»؛

يعني ان العرش محيط بجميع المخلوقات والكائنات.

وقد جاء في الحديث القدسي:

«**ما وَسَعَنى أرْضى وَلا سَمائى وَلكِنْ وَسَعَنى قَلْبُ عَبْدِىَ الْمُؤْمِنِ**»[3]؛

وقد سئل المصطفى ذات يوم: أين اللّه؟

١ـ مستدرك الوسائل: ٢٦٤/١١، باب وجوب تقوى اللّه، حديث ٦.

٢ـ البروج ٨٥: ٢١ ـ ٢٢.

٣ـ عوالى اللآلى: ٧/٤، حديث ٧؛ فيض القدير: ٦٢٩/٢.

قال صلى الله عليه وآله: في قُلُوبِ عِبادِه.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ﴾[١].

وعلى كلّ حال فانّ الخشوع في طليعة عوامل تطهير القلب وارتقاء القلب في مدارج الكمال.

يقول العارف والحكيم السالك صفاي الاصفهاني:

ملا الساقي كأسي... فسكرت من اخمص قدمي إلى هامة رأسي...

مملكة القلب اضمت طوعي... واصطفت الجبال والارضون والسماوات لتيحة الفؤاد واصبح العقل ملكاً خلف بداية العشق.

قلت انا شحاذ في تراب قصرك اطلق نداء استحدي فيضك

انت كعبتي ومرادي... وطريقك معادي

وانت منحت الجهاد سرعة السير

انا سكران بمدام عشقك وأنا ضمرة الحق

وانا السرّ التمّام من اهتمام الفؤاد.

احياء الليل:

نعمة الليل العظمى:

الليل من أعظم نعم اللّه سبحانه وتعالى التي تغمر عباده بأنواع المنافع، وخلوة الليل للعارفين العاشقين والعابدين الساجدين من أفضل ساعات العمر.

فهؤلاء أولياء اللّه يتّخذون من الليل زورقاً ويمخرون بحر الوجود الى مقام

١ـ الحديد ٥٧: ٤.

القرب والوصال يشدّهم شوق الحبيب والليل معراج الانسان وقد عرج الى السماوات الانسان الكامل والعقل الكلي والهادي سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله.

وكان ميقات موسى بن عمران كليم اللّه في طور سينين أربعين ليلة.

وأنزل اللّه قرآنه في ليلة القدر وكثير من فيوضات الرب تمت في جوف الليل.

يقول العارف الواله حافظ شيراز في معنوية الليل:

في وقت السحر ليلة أمس انقذوني من الهموم.

وفي ظلمة الليل سقوني ماء الحياة.

ذاتي سكرى اثر تشعشعات النور.

وملأوا كأسي براح صفات التجلى.

يا له من سحر مبارك وليلة ميمونة.

تلك ليلة القدر حيث منحت الطراوة.

وكل هذا الشهد والسكر الذي يرشح من كلماتي.

كان اجراءً لصبري حيث اثمر غصني.

همة حافظ أنفاس السحر وهي التي انجتني من غم الأيام.

ويمجّد القرآن الكريم الذين يحيون الليل بالعبادة لأنّ العبادة في الليل شعار العاشقين الوالهين والعابدين القانتين الذين استغرقوا في حبهم وشوقهم الى لقاء الحبيب فهم في ذكر دائم وحب هائم.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

١ـ الزمر ٣٩: ٩.

وقد ذهب كثير من المفسرين إلى ان هذه الآية نزلت في الذين يقيمون الصلاة في عمق الليل فهم في ركوع وسجود وتضرّع وتهجّد:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[1].

الأئمّة الأطهار عليهم السلام واحياء الليل:

انّ احياء الليل بالعبادة هو ديدن الأنبياء الالهيين والأئمّة الطاهرين واولئك عشقوا الجمال الأبدي الأزلي وعرفوا الطريق الى مقام القرب فاتخذوا من الليل مركباً للرحيل ومن الصلوة والدعاء والمناجاة وسيلة فاذا هم في حلاوة العبادة يتلذّذون وقد كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله له مع الليل قصة عظيمة فهو من أعبد الخلق وان الانسان ليصاب بالدهشة من شدّة هذه العبادة فقد كان يقضي معظم الليل في الصلاة.

فهو سيّد العابدين ومصباح المتهجدين وسراج العاشقين فاق الخلق جميعاً بكثرة صلاته وطول صيامه ليله قائم ونهاره صائم.

وهذا وصيه علي بن أبي طالب يسير على خطاه في الصلاة والصيام والعبادة والقيام لم يترك الصلوات المستحبة ولم يدع صلاة الليل.

حتّى في حرب صفين في ليلة الهرير وهي أشدّ ليالي الحرب وأكثرها ضراوة فرش له نطع في قلب المعركة ليؤدي الصلاة وان السهام والنبال لتخطف عن

١ـ الذاريات ٥١: ١٥ ـ ١٧.

يمينه وشماله فلم يكترث لها بل لم يشعر بها وانه ليصلّي ويناجي ربّه حتّى يغشى عليه من خشية اللّه عزوجل.

وهذا علي بن الحسين زين العابدين وسيّد الساجدين ينبهر بعبادة جده ويقول:

«وَمَنْ يَقْوى عَلى عِبادَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبيطالِبعليه السلام»[١]؟!

وجاء في الروايات انّ الامام الحسن كان أعبد أهل زمانه وأكثرهم زهداً وكان اذا ذكر الموت والقبر والبعث والنشور بكى واذا نهض للصلاة اهتزت جوارحه لأنه يقف بين يدي ذي الجلال والجبروت واذا ذكر النار اضطرب بدنه وتلوّى ألماً كمن لسعته عقرب أو لدغته أفعى واستعاذ باللّه من النار وسأله الجنّة ونعم الجوار في دار القرار.

وروي عن الامام الحسن يصف عبادة امّه السيّدة الزهراء انها قامت للصلاة في ليلة الجمعة فوقفت في محرابها تعبد اللّه فما زالت في ركوع وسجود حتّى مطلع الفجر[٢].

وجاء في الأخبار انه قيل لعلي بن الحسين ما أقل ولد أبيك؟ فقال: اني لفي عجب كيف كان له ولد وهو يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة فمتى يغشى النساء[٣].

وكان الامام زين العابدين من أعبد أهل زمانه وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة وكان اذا نهض للصلاة اصفرّ لونه فاذا وقف جمد في مكانه كجذع شجرة لا تصدر منه حركة فاذا قرأ سورة الحمد كرّر مالك يوم الدين فاذا سجد لا يرفع رأسه من السجود حتّى يتصفد جبينه عرقاً وكان يصل الليل بالنهار في عبادته.

١ـ وسائل الشيعة: ٩٢/١، باب ٢٠، حديث ٢١٥.

٢ـ علل الشرايع: ١٨٢/١، باب ١٤٥، حديث ١.

٣ـ وسائل الشيعة: ١٠٠/٤، باب ٣٠، حديث ٤٦٢٠.

ويصف الامام الباقر عليه السلام عبادة أبيه زين العابدين عليه السلام وكيف دخل عليه يوماً وقد أثّرت فيه العبادة تأثيراً بالغاً وكيف اصفرّ وجهه من قلّة النوم وتقرحت عيناه من البكاء وقد تورمت قدماه، حتى ان الباقر عليه السلام لم يملك نفسه فبكى اشفاقاً على والده، وكان الامام زين العابدين مستغرقاً في عبادته ذاهلاً عما حوله ثم انتبه فرأى ولده الباقر عليه السلام فقال له ائتني بتلك الصحيفة وفيها وصف لعبادة علي بن أبي طالب فراح ينظر فيها ثم رماها جانباً وهو يقول:

«ومن يقوى على عبادة علي بن أبي طالب»[1].

وان المرء ليخجل من نفسه وهو يقرأ في كتب التاريخ عن عبادة أئمّته من أهل البيت عليهم السلام ثمّ يزعم انه من شيعتهم!

وجاء في الروايات والأخبار ان أبا اسحاق عمرو بن عبدالله السبعي صلّى أربعين سنة صلاة الغداة (الصبح) بوضوء العتمة (الليل)[2] وكان هذا الرجل من أصحاب الامام زين العابدين وأوثقهم وقد حضر ابن اخته يوم عاشوراء واستشهد مع الامام الحسين عليه السلام.

عظمة صلاة الليل:

ويعبّر عنها في كتب الحديث بـ«القيام بالليل» يقول العارف الحاج ميرزا جواد آقا ملكي في «**اسرار الصلاة**» عن صلاة الليل انها من جملة النوافل التي ورد التأكيد على ادائها حيث يجهد المرء مدى عظمتها وانها لحقيقة نورانية في مواجهة الظلام وانس في زمان الوحشة وخلوة في الليل مفعمة بالطمأنينة والسكينة والسلام.

١ـ وسائل الشيعة: ٩١/١ ـ ٩٢، باب ٢٠، حديث ٢١٥.

٢ـ بحار الأنوار: ١١٧/٤٦، باب ٨، حديث ٤.

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاة الليل مرضاة الرب وحبّ الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الايمان وراحة الابدان وكراهية الشيطان وسلاح على الأعداء واجابة للدعاء وقبول الأعمال وبركة في الرزق وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره وفراش تحت جنبه وجواب مع منكر ونكير ومؤنس وزائر في قبره الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه وتاجاً على رأسه ولباساً على بدنه ونوراً يسعى بين يديه وستراً بينه وبين النار وحجة للمؤمن بين يدي الله تعالى وثقلاً في الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحاً للجنّة»[١].

وقد ذكرت الروايات والأخبار ان البيوت والمنازل التي تقام فيها صلاة الليل ويتلى فيها القرآن تشع لأهل السماء كما تشع النجوم لأهل الأرض[٢].

وأوصى النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام بصلاة الليل ثلاث مرّات في مجلس واحد وان سيماهم في وجوههم البهية لأنهم يعبدون الله في الليل والله سبحانه يفيض على وجوههم من نوره[٣].

وقد مجّد القرآن الكريم هذه الصلاة في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً﴾[٤].

وعلى العبد اذا استعد للتهجّد أن يراقب نفسه وأن يلتزم بالآداب المناسبة لهذه

١ـ بحار الأنوار: ١٦١/٨٤، باب ٦، حديث ٥٢؛ ارشاد القلوب: ٣١٦.

٢ـ الكافي: ٤٩٩/٢، باب ذكر الله عزوجل، حديث ١.

٣ـ وسائل الشيعة: ١٨١/١٥، باب ٤، حديث.

٤ـ الاسراء ١٧: ٧٩.

الحالة وكان السلف الصالح من أهل اللّه تعالى يسعون من أجل تحصيل الرقة في القلب ببعض الوسائل من قبيل ارتداء الخشن من الثياب وزيارة المقابر والحديث مع الموتى ولوم النفس ومعاتبتها وانتخاب الادعية التي تضرم نار الشوق الى المحبوب.

ان صلاة الليل مركب يمتطيه العبد في السير الى المولى ووسيلة المؤمن في تحصيل القرب من اللّه سبحانه وتحقيق الوصال مع المحبوب فقلّل من طعامك ونومك لتستطيع القيام في الليل للعبادة وليكن وقوفك بين يدي الرب مفعم بالخشوع والخضوع واطلب من اللّه حاجتك فانه سبحانه سميع مجيب ان الانسان اذا ما التزم بشروط الدعاء فمن المؤكّد انه سبحانه يستجيب دعاءه لأن اللّه سبحانه يقول: ادعوني استجب لكن وانه من شروط استجابة الدعاء طهارة القلب والروح وان صلاة الليل تطهر القلب وتسمو بالروح.

الاستغفار في السحر:

ويعد الاستغفار في الأسحار في طليعة الأعمال العباديّة في سكينة الليل ووقت السحر والاستغفار أمر ضروري في كلّ الأحوال ولكنه في السحر يصبح فريداً في تأثيره على النفس الانسانيّة.

قال سبحانه وتعالى:

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[1].

١ـ آل عمران ٣: ١٧.

﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[١].

وقد ورد في الروايات ان سيدنا يعقوب أخّر استغفاره وطلب المغفرة من اللّه عزوجل لأولاده الى وقت السحر وانه عليه السلام كان يستغفر لهم في ليالي الجمعات في وقت السحر حتى غفر اللّه لهم[٢].

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣].

وذكر بعض علماء التفسر ان يعقوب لما جاء الى مصر وعرف ان ولده يوسف قد عفا اخوته نهض الى الصلاة في الليل وبعد أن تهجّد مستقبلاً بيت اللّه تعالى وقف خلفه يوسف ووقف خلف يوسف اخوته ودعا يعقوب فأمنوا واستجاب اللّه عزّوجلّ دعاءه.

وروى أحد أصحاب النبي انه مرّ بحجرة عبداللّه بن مسعود فسمع يقول:

«اللّهُمَّ إِنَّكَ دَعَوْتَنى فَأَجَبْتُ وَأَمَرْتَنى فَأَطَعْتُ وَهذا سَحَرٌ فَاغْفِرْلى»[٤]؛

١ـ الذاريات ٥١: ١٨.

٢ـ منهج الصادقين: ٧٧/٥، ذيل آيه ٩٨ سوره يوسف.

٣ـ يوسف ١٢: ٩٧ ـ ٩٨.

٤ـ مجمع الزوائد: ١٥٥/١٠.

«وَطَهِّرْ ظاهِرَكَ وَباطِنَكَ مِنْ كُدُوراتِ الْمُخالَفاتِ وَرُكُوبِ الْمَناهى كُلِّها للّه تَعالى»

ويستطرد الامام الصادق عليه السلام في وصايا، ويدعو الانسان الى أن يطهر الظاهر والباطن من كلّ ما يتسبب في تكدير الجسم والنفس وذلك باجتناب كلّ ما نهى اللّه عنه.

ان من نتائج المعاصي الحتميّة هو انحسار النور الذي يشرق في أعماق النفس وظهور شوائب سوداء على مرآة القلب وبالتالي تتراجع قابليته على تلقي الوعي والاشراق وتقل فرص التفكير في العودة الى الذات والفطرة الانسانية.

عَنْ أبى بَصيرٍ قالَ: سَمِعْتُ أبا عبداللّه عليه السلام يَقُولُ: «إذا أذْنَبَ الرَّجُلُ خَرَجَ فى قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوداءٌ فَإنْ تابَ إنْمَحَتْ وَإنْ زَادَ زَادَتْ حَتّى تَغْلِبَ عَلى قَلْبِهِ فَلا يُفْلِحُ بَعْدَها أبَدا»[1].

يقول المؤلف في هذا المعنى:

أخبروا رفيقي عن آلامي بسبب الفراق وداووني.

وغاب النور عن داري عند ما غادر الحب فاعيدوا الصفاء الى كوخ.

١ـ الكافي: ٢٧١/٢، باب الذنوب، حديث ١٣؛ بحار الأنوار: ٣٢٧/٧٠، باب ١٣٧،حديث ١٠.

احزاني لم أكن بالذي يستحق جرعة الوصل فأفيضوا جرعة من العرفاء على هذا الفقير وأنا الذي ضيع زقاق الحبيب فدلّوني عليه.

قلبي منطفئ من الهجران فمن يعيد الى الناي لحنه الحزين.

«فَإِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله أَرادَ بِاسْتِعْمالِها مَثَلاً لِأَهْلِ الْيَقْظَةِ»

ويشير الامام الصادق عليه السلام الى نقطة جوهريّة وهي انّ النبي صلى الله عليه وآله من خلال التأكيد على السواك فانما أراد من هذه المسألة أن تكون مثلاً ومثالاً لأهل الوعي والادراك فاذا كان رسول اللّه صلى الله عليه وآله يؤكّد على هذا الفضاء المحدود (الفم والأسنان) في نظافته وطهارته فمن باب الاولى والأهم أن ندرك مدى أهمية تطهير الباطن وتصفيته من الشوائب والآفات.

«وَهُوَ أَنَّ السِّواكَ نَباتٌ لَطيفٌ نَظيفٌ وَغُصْنٌ شَجَرٍ عَذْبٍ مُبارَكٍ وَالْأَسْنانُ خَلْقٌ خَلَقَهُ اللّه تَعالى فِى الْخَلْقِ آلَةً وَاَداةً لِلْمَضْعِ وَسَبَباً لاِشْتِهاءِ الطَّعامِ وَإِصْلاحِ الْمِعْدَةِ وَهِىَ جَوْهَرَةٌ صافِيَةٌ تَتَلَوَّثُ بِصُحْبَةِ تَمْضيغِ الطَّعامِ وَتَتَغَيَّرُ بِها رائِحَةُ الْفَمِ وَيَتَوَلَّدُ مِنْهَا الْفَسادُ فِى الدِّماغِ»

الحركة من الظاهر الى الباطن:

وهذا المقطع يشير الى ثمة حركة من الظاهر الى الباطن ومن الصورة الى المعنى ومن المحسوس الى المعقول.

ذلك ان المسواك نبات لطيف نظيف وهو غصن من شجرة عذب مبارك والاسنان مما خلق اللّه سبحانه كاداة للمضغ والأكل والاسنان بعد اشبه ما تكون باللآلىء المنضودة في جمال من الشكل لكنّها تتأثر بما يدخل اليها من المواد الغذائيّة التي تتسبب في الاساءة الى جمالها وتلوّثها وما يفضي الى تولّد رائحة كريهة منفّرة اضافة الى آثار ذلك في الدماغ فاذا كان لما تبقى من الطعام والغذاء بين الأسنان كلّ هذا الحجم من الاضرار فما هو يا ترى حجم الاضرار الناجمة على بقاء الذنوب وآثارها في طوايا الروح والعقل والنفس؟

«فَإذا اسْتاكَ الْمُؤمِنُ الْفَطِنُ بالنَّباتِ اللَّطيفِ وَمَسَحَها عَلَى الْجَوْهَرَةِ الصَّافِيَةِ أَزالَ عَنْها الْفَسادَ وَالتَّغَيُّرَ وَعادَتْ إلى أَصْلِها»

ومن هنا يشير الامام الصادق عليه السلام الى انّ عمليّة الاستياك التي يقوم بها الانسان المؤمن الواعي تعيد الى اللالئ المنضودة صفاءها وجمالها وتألّقها وبالتالي تعود الى ما كانت عليه قبل تلوثها ببقاءها الغذاء والطعام.

وهكذا الأمر بالنسبة الى قلب المؤمن فهو في الأصل في غاية الصفاء والتألّق والنقاء قبل ارتكاب الذنوب والمعاصي الاّ ان مجاورته للجسم المادي والغرائز فانه صفاءه يتأثّر بظلمة البدن ويتلوّث بما تفرزه الذنوب والآثام كما تتلوّث الأسنان ببقايا الطعام؛ والأمر الذي يؤدّي بذلك الجزء النابض المشرق الى الابتعاد عن اللّه عزّوجلّ ولكن التوبة والخشوع والتضرع والاستغفار في الأسحار وذكر اللّه تبارك وتعالى تعيد الى القلب صفاءه وتجلو عنه ما تراكم من غبار الذنوب وأتربة الآثام؛ والى هذه الحقيقة يشير الامام الصادق عليه السلام في قوله:

«كَذٰلِكَ خَلَقَ اللّه الْقَلْبَ طاهِرا صافِيا وَجَعَلَ غَداءَهُ الذِّكْرَ وَالْفِكْرَ وَالْهَيْبَةَ وَالتَّعْظيمَ وَإِذا شيبَ الْقَلْبُ الصَّافى فى تَغْذِيَتِهِ بِالْغَفْلَةِ وَالْكَدَرِ صُقِلَ بِمِصْقَلَةِ التَّوْبَةِ وَنُظِّفَ بِماءِ الأءنابَةِ لِيَعُودَ عَلى حالَتِهِ الْأُولى وَجَوْهَرِيَّةِ الْأَصْلِيَّةِ الصَّافِيَةِ» قالَ اللّه تَعالى ﴿إِنَّ اللّه يُحِبُّ التَّوابينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرينَ﴾»

فالقلب الانساني خلق صافياً حيث الذكر والفكر هو ما يغذيه ويديم صفاءه الاّ انّ الغفلة والنسيان وكلّ ما يتراكم على مرآته من الشوائب هي التي تفقده هذا الصفاء والنقاء فتأتي التوبة والعودة الى الفطرة الآدميّة كالمياه التي تزيل عن صفحته ما علق به من ذرّات التراب ويعود الى ما كان عليه جوهرة تشعّ بالايمان ولهذا قال سبحانه انه يحبّ التوّابين ويحب المتطهّرين.

«وَقالَ النَبِيُّ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالسِّواكِ ظاهِرَ الأسْنانِ وَأرادَ هذا الْمَعْنى»

«وَمَنْ أَناخَ تَفَكُّرَهُ عَلى بابِ عَتَبَةِ الْعَبْرَةِ فى اِسْتِخْراجِ مِثْلِ هذِهِ الْأَمْثالِ فِى الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ فَتَحَ اللّه لَهُ عُيُونَ الْحِكْمَةِ وَالْمَزيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَاللّه لا يُضيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنينَ»

ويصوّر هذا المقطع البليغ من حديث الامام عليه السلام الفكر الانساني وكأنه مركب يمتطيه الانسان ويطوف به فضاء المعرفة المترامي فمن يلقي عصا ترحاله عند باب العبرة في ادراك مثل هذه الأمثال في أصلها وما يتفرّع عنها فسوف يفجّر له اللّه تبارك وتعالى ينابيع الحكمة وتتدفق عيون المعرفة الصافية بمزيد من الفيض الالهي والالهام الربّاني.

الباب

(٩)

في بيان المبرز

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام:

إنَّما سُمِّيَ الْمُسْتَراحُ مُسْتَراحا لِاسْتِراحَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ أَثْقالِ النِّجاساتِ وَاسْتِفْراغِ الْكَثيفاتِ وَالْقَذَرِ فيها وَالْمُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ بِها عِنْدَها أَنَّ الْخالِصَ مِنْ حُطامِ الدُّنْيا كَذلِكَ يَصيرُ عاقِبَتُها فَيَسْتَريحُ بِالْعُدُولِ عَنْها وَتَرْكِها وَيُفَرِّغُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَنْ شُغْلِها وَيَسْتَنْكِفُ عَنْ جَمْعِها وَأَخْذِهَا اسْتِنْكافَهُ عَنِ النِّجاسَةِ وَالْغائِطِ وَالْقَذَرِ.

وَيَتَفَكَّرْ فى نَفْسِهِ الْمُكَرَّمَةِ فى حالٍ كَيْفَ يَصيرُ دَليلُهُ فى حالٍ وَيَعْلَمُ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْقَناعَةِ وَالتَّقْوى يُورِثُ لَهُ راحَةَ الدّارَيْنِ.

وَأَنَّ الرّاحَةَ فى هَوانِ الدُّنْيا وَالْفَراغِ مِنَ التَّمَتُّعِ بِها وَفى إزالَةِ النَّجاسَةِ مِنَ الْحَرامِ وَالشُّبْهَةِ فَيُغْلِقُ عَنْ نَفْسِهِ بابَ الْكِبْرِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ إيّاها وَيَفِرُّ مِنَ الذُّنُوبِ وَيَفْتَحُ بابَ التَّواضُعِ وَالنَّدَمِ وَالْحَياءِ.

وَيَجْتَهِدُ فى أَداءِ أَوامِرِهِ وَاجْتِنابِ نَواهيهِ طَلَبا لِحُسْنِ الْمَآبِ وَطيبِ الزُّلْفِ وَيَسْجُنُ نَفْسَهُ فى سِجْنِ الْخَوْفِ وَالصَّبْرِ وَالْكَفِّ عَنِ الشَّهَواتِ إلى أَنْ يَتَّصِلَ بِأَمانِ اللّه فى دارِ الْقَرارِ وَيَذُوقُ طَعْمَ رِضاهُ فَإِنَّ الْمُعَوَّلَ عَلى ذلِكَ وَما عَداهُ لاشَىْءَ.

«قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إنَّما سُمِّيَ الْمُسْتَراحُ مُسْتَراحا لِاسْتِراحَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ أَثْقالِ النِّجاساتِ وَاسْتِفْراغِ الْكَثيفاتِ وَالْقَذَرِ فيها»

استراحة النفس من النجاسة:

والى هذه الظاهرة يشير الامام عليه السلام الى مفردة المستراح التي كانت شائعة يومذاك وان مدلولها والى شعور المرء بالراحة بعد تخلصه من البراز.

والجسم الانساني عند ما يتناول المرء الطعام يمتص حاجته من الغذاء بما يمدّه بالطاقة واستمرار الحياة واداء أجهزته المختلفة لمختلف النشاطات الحيويّة أمّا ما يفيض من ذلك فيتحول الى نجاسة وبراز تشكل ضغطاً يضطر المرء الى أن يذهب الى بيت الخلاء للتخلّص من تلك الأثقال ويستريح منها.

وكلّما كان الغذاء الذي يتناوله الانسان أكثر دسماً وأكثر تنوّعاً وأكثر ألواناً فانه يفضي الى توليد النجاسة أكثر من الطعام البسيط وكذلك فانه يلحق الأضرار الأكثر بالجسم.

وبالتالي فان تناول الطعام الخفيف بقدر الحاجة يعني الاختصار في الانفاق وحمله بالنسبة للجسم أخف وهضمه أيسر وما يتولّد من نجاسات أقل.

آه انّ معظم ما نتناوله من الطعام يستحيل الى نجاسة يفرّ منها الانسان بعيداً ويتأفف من النظر اليها ومن رائحتها فلماذا اذن يمارس أنواعاً من العدوان والظلم

والاعتداء على حقوق الآخرين من أجل الحصول عليه ولماذا يمارس كلّ أنواع الغش والخداع والحيل في سبيله؟

لماذا لا يسلك الانسان طريق الحلال؟ ولماذا لا يذهب الى محل كسب في سبيل اللّه؟ ولماذا يتمرّد على أحكام الحلال والحرام في معاملاته، لماذا يسطو ويسرق ويختلس؟ لماذا يحتكر؟ لماذا يمارس الظلم والعدوان ويسلب الآخرين لقمة العيش ولماذا يتناول طعامه ممتزجاً بدموع المظلومين ودماء الفقراء والبؤساء والمعوزين؟

وقد قيّم الامام علي بن أبي طالب عليه السلام صوت العدالة والانسانيّة هؤلاء البشر المشوهين فقال ان قيمتهم تساوي ما يخرج من بطونهم !

أجل ان قيمتهم لا تزيد عن ذلك وكيف لا يكونون كذلك وقد وصفهم القرآن بأنّهم كالبهائم بل وأسوأ من البهائم فهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا.

والمواد الغذائيّة قبل أن يتناولها الانسان تكون طيبة نظيفة طاهرة ألوانها جذابة ورائحتها طيّبة ونكهتها رائعة لكن ما ان تصل الى البطن حتّى يستحيل جزء منها الى طاقة ويتحوّل الباقي الى نجاسات وفضلات وبراز، فان كان ما قد حصل عليه من طعام بالحلال فهنيئاً مريئاً وهو في ذلك عبد صالح للّه وإن كان حصّل ذلك عن طريق الحرام فانما هو عبد للبطن والشيطان وسوف يكون هذا الكائن البشري بكل وجوده مصنعاً لانتاج الاسمدة ليس أكثر.

موعظة ابي سعيد:

مرّ الشيخ أبو سعيد أبو الخير مع جمع من أصحابه بقرية وهو في طريقه الى مكان ما وكان رجل نزّاح ينزح ما في بالوعة القاذورات فتأفف أصحابه من

الرائحة الكريهة وسدّوا انوفهم باصابعهم وأسرعوا في المشي لكنهم رأوا شيخهم قد تخلّف عنهم واذا بهم يرونه واقفاً الى جانب البالوعة غارقاً في الفكر فصاحوا به: هلمّ يا استاذ ! فقال: سآتي وبعد أن مكث مدّة لحق بأصحابه فقالوا له: ايها المعلّم لم وقفت الى جانب بالوعة القاذورات؟

فقال: انكم لمّا سددتم انوفكم وأسرعتم في مشيكم انبعث النداء من البالوعة: ايها الفارون ! بالأمس كنت في حالة طيبة في السوق كنت خضاراً طازجة وفاكهة يانعة بألوان زاهية ورائحة طيّبة ولكنّكم يا بني آدم تقتتلون مع بعضكم البعض من أجل الحصول عليّ وما أكثر حيلكم وخداعكم وغشكم وأنتم تتعاملون فيما بينكم حتى اذا حصلتم عليّ وصرت ضيفكم لساعات اذا بكم تبدلوني الى ما ترونه الآن وتتأففون بسببه.

انني انا الذي يجب أن أفرّ منكم لا أنتم !

وأنا وقفت الى جانب الفضلات وسمعت نصيحتها فلعلي اعتبر.

مرّ ناصر خسرو في الطريق.

سكران لا يعقل شيئاً كالسكارى.

فرأى مقبرة وفي الطرف المقابل مبرزاً.

فهتف ألا فانظروا.

هذه نِعم الدنيا وهذا النعيم.

زائل ذاهب لهذا المصير[1].

* * *

١ـ كشكول الشيخ البهايي.

جدّك آدم كانت الجنة موطنه.

سجدت له الملائكة وسكان القدس.

اذنب ذنباً فانتهى أمره وآل ايها المذنب.

أخرج من هذا النعيم.

أفتطمع أنت وقد ارتكبت الذنوب.

في دخول الجنّة ايها المسود وجهه؟[1]

* * *

وعلى أيّة حال يجب ألا يؤدي الاهتمام بالبطن والطعام الى الغفلة عن الحقائق الانسانيّة والسماويّة العليا يجب أن يكون تناول الطعام من أجل مدّ الجسم بالطاقة والقدرة لأجل العبادة والتفكير ان البطن اذا أصبح غاية فان الانسان سوف ينسلخ دون شك من أهميته وانسانيته ويسقط في الحضيض.

ان على المرء أن يفكر في عواقب كلّ عمل يقدم عليه وأن يتأمّل في ما يمكن أن ينجم عن كلّ خطوة يقوم بها وأن يدرك انه يسير باتجاه الموت وعليه أن يستعد لما بعد الموت.

يقول الغزالي في «**كيمياء السعادة**»:

انما هو مهم هو أن يفكر الانسان كلّ يوم في الموت وقرب الأجل وأن يقول لنفسه لعلّه لم يبق من أجلي الاّ يوم واحد وفائدة هذا الفكر عظيمة لأن هذا الخلق مقبل على الدنيا مع طول الأمل واذا حصل اليقين انه سيموت بعد شهر أو سنة فانه يبتعد عن كلّ ما هو مشغول فيه.

١ـ الخبز والحلوى، الشيخ البهايي.

﴿أَوَ لَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللّه مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾[١].

ولو صفا القلب وتأمّل في هذا الأمر لبادر الى اعداد زاد السفر الى الآخرة ولأدرك ان عليه أن يعمل لما بعد الموت فينصرف عن المعاصي ويحذر من الوقوع في الذنوب وتدارك ما بدر منه من التقصير في اداء الواجبات فلو انفتح له طريق الولوج الى ملكوت السماوات والأرض وتأمل ما في الصنع من عجائب ونظر في جمال وجلال الحضرة الالهيّة فانه يكون قد وفق الى التفكّر وهذا التفكّر هو اسمى من كلّ العبادات لما فيه من تعظيم الحق تعالى فاذا غلب ذلك التعظيم على القلب غلبت المحبّة لأنّ كمال السعادة في كمال الحب لكن هذا لا يتيسر لكلّ أحد.

انّ على الانسان أن يفكّر في نعم اللّه تعالى والى ما خلّصه اللّه من المحن في هذا العالم من مرض ومن أنواع البلايا وليعلم ان الشكر على ذلك واجب والشكر هو في الانتهاء عن نواهي اللّه والمعاصي[٢].

يقول بهاء الدين نجل المولوي:

قال أحمد كلّ من يوماه تساوى فهو في حظه مغبون الغيب.

سوف يحيى في شك وريب فارغاً من داخله لا شيء فيه يتضاعف عذابه كلّ آن يصبح قبيحاً وأبتر.

وطريقه نحو الجحيم يتغلغل في بحر العذاب.

١ـ الاعراف ٧: ١٨٥.

٢ـ كيمياء السعادة: ٢١٨ ـ ٢١٩، ركن الأول.

وقبل أن تصل بك أعمال الى هذا المآل أصح من غفلتك.

وعد الى أصلك كالذي قام به ابراهيم الخليل واعبر النجوم والفلك الدائر ولا تضع اقدام همتك على الشمس والقمر ولا هذا الايوان وذاك البلاط وانفق نفسك على الرب ولا يكن مصيرك كابليس طريداً.

ودع فطرتك تندمج في بحر الحبيب تصبح كالبحر واسعاً بلا شاطئ.

شهوة البطن أو تنور جهنم:

ان القدرة على امتصاص المواد الدسمة والسكريّة لدى المعدة عالية جداً اذ سرعان ما يقوم الجهاز الهضمي بعملية الاحتراق وتحويل المواد الغذائيّة الى طاقة حرارية وشهوة البطن والاتجاه الى الشبع في تناول الطعام والتلذذ به الى حد يتّجه المرء الى التخمة ان كلّ ذلك يسرّع من حركة الانسان نحو الفناء والشقاء.

وهنا تدخل التربية الالهيّة والمأثور من الوصايا الاخلاقيّة لتكبح جماح البطن وشهوة الأكل.

يقول الفيض الكاشاني[1]:

ان من أكبر عوامل هلاك بني آدم شهوة البطن وهذا الذي خرج آدم وحواء من دار القرار الى دار الذلّ والبؤس.

ولقد نهى اللّه آدم وحواء من الاقتراب من الشجرة المحرّمة ولكن شهوة البطن غلبت عليهما فأكلا منها فجرّدا من لباس الجنّة وأخرجا منها.

١ـ المحجة البيضاء: ١٤٥/٥، كتاب كسر الشهوتين.

ومن شهوة البطن تنبثق الشهوات الاخرى وهي مركز الآلام والأمراض وجميع أنواع الآفات.

فالشهوة الجنسيّة والتهافت على المرأة من آثار شهوة البطن وشهوة الأكل.

ان الميل الشديد الى الطعام والانجذاب الشهواني الى الشهوة الجنسية والرغبة الشديدة في الحصول على الجاه والمنصب والمقام انما هي أدوات ووسائل من أجل التوسّع في توفير المزيد من الطعام.

واللهاث وراء ارواء العطش الجنسي.

فمن أجل اشباع البطن يلهث الانسان وراء المال ومن أجل الحصول الجاه يضحي بكلّ شيء حتّى لو جاء ذلك على حساب القيم الانسانيّة والكرامة لهذا فهو يتخبط في مهاوي الحسد والانتهازية والنرجسية.

وعند ما يصبح الانسان عبداً فان ذلك يؤدي به الى الحسد والحقد والبغضاء والاستغراق في ذلك يعني الاستغراق في مستنقع الفحشاء والمنكر وعند ما يقاوم الانسان شهوة البطن ويروض جوعه ويسد مجاري الشيطان فانه سوف يوفق الى طاعة اللّه ويتحرّر من منزلقات الطغيان والتمرد والعصيان.

والذي يعبد بطنه سيبيع آخرته بدنياه ويضحي بالمعنى من أجل الظاهر وينحر انسانيته على مذبح الحياة الحيوانيّة ويتبع خطوات الشيطان بعيداً عن طاعة اللّه.

الروايات في الطعام والبطن:

والروايات في مضمار شهوة البطن كثيرة جداً وفيما يلي طائفة منها:

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«جاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِالْجُوعِ وَالْعَطَشِ فَإِنَّ الْأَجْرَ فى ذلِكَ كَأَجْرِ

الْمُجاهِدِ فى سَبيلِ اللّه وَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ أَحَبُّ إِلَى اللّه تَعالى مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ»[١].

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«لا يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّماواتِ قَلْبُ مَنْ مَلَأَ بَطْنَهُ»[٢].

قيلَ يا رَسُولَ اللّه أَيُّ النّاسِ أَفْضَلُ؟ قالَ: مَنْ قَلَّ طُعْمَهُ وَضِحْكَهُ وَرَضِىَ بِما يَسْتُرُ بِهِ عَوْرَتَهُ[٣].

قالَ النَّبِىُّ صلى الله عليه وآله:

«الْفِكْرُ نِصْفُ الْعِبادَةِ وَقِلَّةُ الطَّعامِ هِىَ الْعِبادَةُ»[٤].

وَقالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ اللّه يُباهِى الْمَلائِكَةَ بِمَنْ قَلَّ طُعْمَهُ فِى الدُّنْيا يَقُولُ: اُنْظُرُوا إِلى عَبْدى اِبْتَلَيْتُهُ بِالطَّعامِ وَالشَّرابِ فِى الدُّنْيا فَتَرَكَهُما لِأَجْلى اِشْهَدُوا يا مَلائِكَتى مَا مِنْ أَكْلَةٍ تَرَكَها لِأَجْلى إِلاّ أَبْدَلْتُهُ بِها دَرَجاتٍ فِى الْجَنَّةِ»[٥].

وَقالَ صلى الله عليه وآله: «لا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعامِ وَالشَّرابِ فَإِنَّ الْقَلْبَ كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذا كَثُرَ عَلَيْهِ الْماءُ»[٦].

١ـ المحجة البيضاء: ١٤٦/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٢ـ المحجة البيضاء: ١٤٦/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٣ـ المحجة البيضاء: ١٤٦/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٤ـ المحجة البيضاء: ١٤٦/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٥ـ المحجة البيضاء: ١٤٧/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٦ـ المحجة البيضاء: ١٤٧/٥، كتاب كسر الشهوتين.

قالَ الصّادِقُ عليه السلام قالَ رَسُولُ اللّه: «بِئْسَ الْعَوْنُ عَلَى الدِّينِ قَلْبٌ نَخيبٌ، وَبَطْنٌ رَغيبٌ وَنَعْظٌ شَديدٌ»[١].

عَنْ أبي جَعْفَرٍ عليه السلام: «ما مِنْ شَيْءٍ أَبْغَضُ إِلَى اللّه مِنْ بَطْنٍ مَمْلُوءٍ»[٢].

وَقالَ داوُدُ عليه السلام: «تَرْكُ لُقْمَةٍ مَعَ الضَّرُورَةِ إِلَيْها أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيامِ عِشْرين لَيْلَةٍ»[٣].

قالَ النَبِيُّ صلى الله عليه وآله: «وَيْلٌ لِلنّاسِ مِنَ الْقَبْقَبَيْنِ فَقيلَ: وَما هُما يا رَسُولَ اللّه؟ قالَ الْبَطْنُ وَالْفَرْجُ»[٤].

وقال لقمان لابنه:

«يا بُنَيَّ إِذَا امْتَلَئَتِ الْمِعْدَةُ نَامَتِ الْفِكْرَةُ وَخَرَسَتِ الْحِكْمَةُ وَقَعَدَتِ الأَعْضاءُ عَنِ الْعِبادَةِ»[٥].

آثار وفوائد الاقلال في تناول الطعام:

قال بعض الحكماء: ان الجوع أحد الكنوز في خزائن الرحمن وان اللّه لا

١ـ الكافي: ٢٦٩/٦، باب كراهية كثرة الأكل، حديث ٣؛ المحجة البيضاء: ١٥٠/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٢ـ الكافي: ٢٧٠/٦، باب كراهية كثرة الأكل، حديث ١١؛ المحجة البيضاء: ١٥٠/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٣ـ مستدرك الوسائل: ٢١١/١٦، باب ١، حديث ١٩٦٢٧؛ المحجة البيضاء: ١٥١/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٤ـ مستدرك الوسائل: ٢١٢/١٦، باب ١، حديث ١٩٦٢٧؛ المحجة البيضاء: ١٥١/٥، كتاب كسر الشهوتين.

٥ ـ مجموعة ورام: ١٠٢/١، باب تهذيب الأخلاق؛ المحجة البيضاء: ١٥١/٥، كتاب كسر الشهوتين.

يهب هذا الكنز الاّ لاحبائه.

وللجوع فوائد جمّة منها:

١ ـ صفاء القلب ونورانيته.

٢ ـ الرقّة والرحمة.

٣ ـ الانكسار و الذل في رحاب اللّه.

٤ ـ وعي الامتحان الالهي والحذر من عذاب يوم القيامة.

٥ ـ تحدّي الشهوات والانتصار عليها حيث هي العلّة في ارتكاب الذنوب.

٦ ـ الاقلال من النوم والقدرة على احياء الليل.

٧ ـ تيسير اداء الطاعات والاستمرار عليها.

٨ ـ صحة الجسم وسلامة الأعضاء البدنية.

٩ ـ تيسير الرزق الحلال وعدم الوقوع في الحرام.

١٠ ـ القدرة على الايثار واعطاء ما فضل من المال والطعام الى المستحق الشرعي.

وقد أورد كلّ من الفيض الكاشاني والغزالي كلاماً هاماً في ختام هذه الفوائد يمكن لمن يريد التفصيل مراجعة الجزء الخامس من كتاب «**المحجة البيضاء**».

يقول المولوي في فضيلة الجوع:

عذاب الجوع من اسمى العذابات وفيه تنطوي مئات الفضائل.

وفيه من المزايا الكثير يصبح الانسان أكثر رقة وانشط عملاً ويقظاً.

والجوع سيد الأدوية فهو يضيء العين ويحدّ البصر ويزيد القدرة على النظر، والذي يسقم بدنه يجد في الجوع الدواء.

وفي هذا المضمار ينبغي للمرء أن يسعى في تحصيل الطعام من الكسب الحلال

وأن يتناول من الطعام ما يكفيه ويسدّ رمقه وقد جاء في الأثر كم من أكلة منعت أكلات وما أكثر الذين سقمت أبدانهم بسبب الشره في تناول الطعام واذا بالطبيب يمنع عنه بعض الأكلات اللذيذة والاّ فانه سوف يحفر قبره بأسنانه !

ان على الانسان أن يتناول الطعام بما يقيم البدن والجسم ويقويه على العبادة واداء الفرائض لا أن يكون تناول الطعام وشهوة البطن هي الهدف والغاية.

وفرق بين ما يأكل لكي يعيش وبين من يعيش لكي يأكل فالأوّل انسان والثاني حيوان.

«وَالْمُؤْمِنُ يَعْتَبِرُ بِها عِنْدَها أَنَّ الْخالِصَ مِنْ حُطامِ الدُّنْيا كَذلِكَ يَصيرُ عاقِبَتُها فَيَسْتَريحُ بِالْعُدُولِ عَنْها وَتَرْكِها وَيُفَرِّغُ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَنْ شُغْلِها وَيَسْتَنْكِفُ عَنْ جَمْعِها وَأَخْذِهَا اسْتِنْكافَهُ عَنِ النِّجاسَةِ وَالْغائِطِ وَالْقَذَرِ»

وفي هذا المقطع يشير الامام الصادق عليه السلام الى العبرة من ذلك اذ ان حطام الدنيا مآله هكذا وما عليه الاّ أن يفرّغ باله من الاهتمام بحطام الحياة الدنيا ويطهر قلبه من الحرص على جمع هذا الحطام ولا يشغل نفسه في ذلك بل ينبغي له أن يستنكف عن الاهتمام بشهوات البطن استنكافه عن النجاسة والقاذورات.

وعند ما يستحضر المرء هذه المفاهيم يكون قد تحرّر من حبّ الدنيا الذي هو رأس كلّ خطيئة فهو لن يكترث لجانب الطعام الاّ بقدر ما يقيم أوده ويسد رمقه ويقوّيه على أداء العبادة وطاعة اللّه سبحانه.

وقد جاء في الروايات ان الانسان اذا ذهب الى بيت الخلاء والمستراح يقوم ملك بدفع رأسه لينظر الانسان الى ما يخرج من جوفه لعلّه يفكّر كيف كان وكيف أصبح ويأخذ العبرة من ذلك[1].

ليكن في علمك اليقين ان نهاية الطريق وصاله.

١ـ بحار الأنوار: ١٦٤/٧٧، باب ١، حديث ٣.

قد رأى ذلك الأولياء عين اليقين.

السير الى اللّه له حدّ ونهاية والسير فيه بلا منتهى.

وهذا السير هو أروع ما يقوم به العبد... كل ما عنده...

قد مات وفات الذي يبقى هو الحق الحياة.

الميت يجرفه السيل في كلّ جهة ولا خبر عنده أين ينتهي به المصير.

السير ذاك السيل والميت لا يدري على الماء الى أين يسير.

هكذا كن كالذي مات وفنى في الاحد.

ولا غير الحق يبقى بعد الفناء.

واذن كن في طريق السير للحق فهو وحده فلا تمل عنه وتعدّ غيرَ سير الحق سيراً وانظر فيه الطاعة والخير.

«وَيَتَفَكَّرْ فى نَفْسِهِ الْمُكَرَّمَةِ فى حالٍ كَيْفَ يَصيرُ دَليلُهُ فى حالٍ وَيَعْلَمُ أَنَّ التَّمَسُّكَ بِالْقَناعَةِ وَالتَّقْوى يُورِثُ لَهُ راحَةَ الدّارَيْنِ»

لقد كرّم اللّه الانسان ووهبه القدرة على التفكير في أعماق النفس وفي الآفاق ومن خلال التأمّل يسمو الانسان في مدارج الكمال وعند ما يفكر الانسان على نحو منطقي فانه سوف يتوصل الى ان القناعة والتقوى هما الطريق الذي يقوده الى حياة آمنة مطمئنة في الدنيا والآخرة.

أجل ان أهل القناعة وأهل التقوى هم الأكثر قدرة على السمو والتسامي في دنيا القيم الانسانيّة لأنّهم غير مشدودين بالاثقال ولهم القابلية على الرقي والانطلاق الى عوالم السعادة والاحساس بالسلام.

ان الشعور بالطمأنينة ناجم عن التقوى والقناعة فالبطون الخالية تولّد طاقة انسانيّة ترتفع بالانسان الى الأعالي الى عالم أرحب مغمور بالنور.

«وَأَنَّ الرّاحَةَ فى هَوانِ الدُّنيا وَالْفَراغِ مِنَ التَّمَتُّعِ بِها وَفى إزالَةِ النَّجاسَةِ مِنَ الْحَرامِ وَالشُّبْهَةِ فَيُغْلِقُ عَنْ نَفْسِهِ بابَ الْكِبْرِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ إيّاها وَيَفِرُّ مِنَ الذُّنُوبِ وَيَفْتَحُ بابَ التَّواضُعِ وَالنَّدَمِ وَالْحَياءِ»

ويصل الانسان الى هذه النتيجة وهي ان السعادة ذلك الشعور الفياض بالراحة وفراغ البال والطمأنينة والاحساس بالسلام انما تكمن في ازدراء الدنيا ووضعها في حجمها الطبيعي وعدم تحويلها الى غاية في ذاتها وانما مجرّد وسيلة وطريق وممرّ الى الأبديّة.

وعند ما يعي الانسان هذه الحقيقة فان برنامج حياته سيشهد تحولاً جوهرياً تتسامى فيه النفس الانسانية الى ما يجعلها أكثر نبلاً وتواضعاً وأكثر معرفة بالحقيقة.

سوف يتخذ الانسان مساراً مضيئاً بعيداً عن الذنوب والآثام والخطايا وهو مسار سوف يأخذه بعيداً عن مهاوي الهلاك ومنزلقات الحياة اللانسانيّة.

سوف يكون الانسان انساناً لأنه بالذنوب والمعاصي يتحول الانسان الى حيوان.

سوف يفرّ من الخطيئة فرار الحمل من الذئاب الكاسرة وسوف ينفر من الآثام نفور الانسان السوي من القاذورات.

«وَيَجْتَهِدُ فی أَداءِ أَوامِرِهِ وَاجْتِنابِ نَواهيهِ طَلَبا لِحُسْنِ الْمَآبِ وَطيبِ الزُّلْفِ وَيَسْجُنُ فی سِجْنِ الْخَوْفِ وَالصَّبْرِ وَالْكَفِّ عَنِ الشَّهَواتِ إلی أَنْ يَتَّصِلَ بِأَمانِ اللّه فی دارِ الْقَرارِ وَيَذُوقَ طَعْمَ رِضاهُ فَإِنَّ الْمُعَوَّلَ عَلی ذلِكَ وَما عَداهُ لاشَیء»

وعند ما يدرك الانسان حقيقة الدنيا ومآلها فانه سيبادر الى اداء الواجبات التي عينها الحق ويجتنب نواهيه سبحانه وسوف يبذل كلّ ما بوسعه لنيل الدرجات العالية والرقي في مدارج الكمال وحينئذٍ يتمكّن من اعتقال النفس المتمرّدة وايداعها في معقل الخوف من الحق وسوف يقوم بترويض غرائزه والحدّ من عربدتها وترشيدها ووضعها في المسار الصحيح وبالتالي يتمكن الانسان من الاتصال بالأمن الالهي وينعم بالارتشاف من رضا اللّه فهو وحده الضمان لسعادة الانسان في دار الخلود وعالم الأبديّة.

وليس من اليسير على الانسان اداء الواجبات وترك النواهي والمحرّمات وخلال تاريخ البشريّة الطويل فان القيام بذلك من أشقّ الامور على الانسان ومن أجل ذلك بعث الأنبياء ونزلت الرسالات الالهيّة.

ان وعي الانسانيّة لتعاليم الأنبياء والعمل بها لو تم فان معظم مشكلات البشريّة

على صعيدي الأسرة والمجتمع سوف تجد طريقها الى الحل وعند ما ينظم الانسان حياته في ضوء التعاليم الالهيّة فانه سوف يجد لذة العيش وسعادة الحياة.

والسعادة التي تحققها التعاليم الالهيّة لا يمكن التعبير عنها.

وعند ما يذوق الانسان طعم هذه السعادة فانه سوف لن يتوقف عن الحركة والسير نحو اللّه في طريق لا نهاية له؛ طريق مليء بمحطات الحب الالهي.

وقد سئل السيد برهان الدين مولانا هل لطريق اللّه حد و نهاية؟ قال: للطريق آخر ولكنه ليس آخر المنازل ذلك ان طريق اللّه هو انت وأوجب عليك ان تغادر نفسك ولابدّ للطريق من آخر لأنه بالوصول الى الحق والسير الحقيقي هو أن يجد السالك طريق الوصال ليس النهاية وخاتمة المطاف وأوله عبور الذات ويقال له «**السير الى اللّه**» وآخره الذي بعد الوصل «**السير في اللّه**».

وتيقن ان الطريق بعد الوصل يراه الأولياء في عين ذاته، والسير الى اللّه له حد ونهاية أما السير في اللّه فهو لا نهائي.

وفي هكذا سير ان العبد يرى نفسه ميتاً ويرى الحق حياً.

الباب

(١٠)

في بيان الطهارة

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إذا أَرَدْتَ الطَّهارَةَ وَالْوُضُوءَ فَتَقَدَّمْ إِلَى الْماءِ تَقَدُّمَكَ إِلى رحمه الله، فَإِنَّ اللّه قَدْ جَعَلَ الْماءَ مِفْتاحَ قُرْبِهِ وَمُناجاتِهِ وَدَليلاً إلى بَساطِ خِدْمَتِهِ.

فَكَما أَنَّ رَحْمَتَهُ تُطَهِّرُ ذُنُوبَ الْعِبادِ كَذلِكَ نجاساتُ الظَّاهِرِ يُطَهِّرُهَا الْماءُ لا غَيْرُ قالَ اللّه تَعالى:﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزلْنَا مِنَ السَّماءِ مَاءً طَهُوراً﴾[1] وَقالَ اللّه تَعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[2].

فَكَما أَحْيا بِهِ كُلَّ شَىْءٍ مِنْ نَعيمِ الدُّنْيا كَذلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ جَعَلَهُ حَياةَ الْقُلُوبِ.

وَتَفَكَّرْ فى صَفاءِ الْماءِ وَرِقَّتِهِ وَطَهُورَتِهِ وَبَرَكَتِهِ وَلَطيفِ امْتِزاجِهِ بِكُلِّ شَىْءٍ وَفى كُلِّ شَىْءٍ.

وَاسْتَعْمِلْهُ فى تَطْهيرِ الأَعْضاءِ الَّتى أَمَرَكَ اللّه بِتَطْهيرِها، وَأْتِ بِأَدائِها فَرائِضَهُ وَسُنَنَهُ فَإِنَّ تَحْتَ كُلِّ واحِدٍ مِنْها فَوائِدَ كَثيرَةً إِذا اسْتَعْمَلْتَها بِالْحُرْمَةِ انْفَجَرَتْ لَكَ عَيْنُ فَوائِدِهِ عَنْ قَريبٍ.

ثُمَّ عاشِرْ خَلْقَ اللّه كَامْتِزاجِ الْماءِ بِالأَشْياءِ يُؤَدّى كُلَّ شَىءٍ حَقَّهُ وَلا يَتَغَيَّرْ عَنْ مَعْناهُ مُعْتَبِرا لِقَوْلِ رَسُولِ اللّه صلى الله عليه وآله: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الْخالِصِ كَمَثَلِ الْماءِ.

١ـ الاعراف ٧: ٥٧.

٢ـ الانبياء ٢١: ٣٠.

وَلْتَكُنْ صَفْوَتُكَ مَعَ اللّه تَعالى فى جَميعِ طاعاتِكَ كَصَفْوَةِ الْماءِ حينَ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّماءِ.

وَطَهِّرْ قَلْبَكَ بِالتَّقْوى وَالْيَقينِ عِنْدَ طَهارَةِ جَوارِحِكَ بِالْماءِ.

«قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إذا أَرَدْتَ الطَّهارَةَ وَالْوُضُوءَ فَتَقَدَّمْ إِلَى الْماءِ تَقَدُّمَكَ إِلى الله، فَإِنَّ اللّه قَدْ جَعَلَ الْماءَ مِفْتاحَ قُرْبِهِ وَمُناجاتِهِ وَدَليلاً إِلى بَساطِ خِدْمَتِهِ»

التطهير:

وترسم كلمات الامام في هذا المقطع لوحة رائعة في كيفية التطهر والوضوء فالماء هنا عزوجل لأنه سبحانه جعله مفتاحاً لقربه ومناجاته ودليلاً الى بساط خدمته عزوجل.

اننا نشاهد كيف يتأنق الانسان ويتزين في ظاهره قبل أن يتوجه للقاء كبير من عليه القوم والشخصية البارزة في المجمتع كذلك فان القرب الالهي والتوجه للقاء اللّه المعنوي يتوقف على طهارة ظاهر الانسان ومظهره من لوث النجاسات وكذلك طهارة الباطن ونقائه من لوث الذنوب والآثام.

وقد جاءت مفردة الوضوء بعد الطهارة ويبدو ان ذلك ذكر خاص بعد الذكر العام بمعنى انّ كلمة طهارة تشمل التيمم والوضوء والغسل فهذه المفردة لها معنى عام وفي نفس الوقت تستلزم معظم العبادات في الاسلام غير أن الوضوء قبل التيمم والغسل والمرء لا يمارس التيمم أو الغسل الاّ في بعض الحالات الخاصّة ولهذا فقد أورد الامام مفردة الوضوء بعد الطهارة من هنا نرى من اللازم

الحديث عن كلّ منها في اطار فقهي وعرفاني وبما تسمح به هذه الدراسة.

الوضو، التيمم والغسل:

الوضوء والتيمم والغسل موارد ثلاثة من موارد الطهارة وقد ورد ذكرها جميعاً في القرآن الكريم وأمر اللّه سبحانه الذين آمنوا بأدائها في حالة الصلاة وضمن ظروف خاصّة بكلّ منها، وهذه الموارد من الطهارة مقدمة للدخول الى أهمّ العبادات وأسماها يعني الصلاة كما انها مقدمة لكثير من العبادات الواجبة والامور المستحبة المندوبة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنكُم مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللّه لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِنْ حَرَجٍ وَلكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1].

الماء والتراب من نعم اللّه الكبرى:

الماء والتراب نعمتان غاية في العظمة ومن المؤسف ان أكثر الناس يجهل أهمية هاتين النعمتين.

١ـ المائده ٥: ٦.

لنتصور ولو لحظة واحدة فقط الحياة في دنيا ليس فيها ماء ولا تراب وحينئذٍ ندرك عظمة هاتين النعمتين.

عند ما يضرب الجفاف منطقة ما ويقل منسوب المياه يلوح في الافق البلاء على جميع المستويات وتحدث من الخسائر ما لا يمكن تعويضه.

الماء يواكب معنى الحياة ويعبر عنها ولا حياة بلا ماء فاين ما توجد حياة وجد الماء وأين ما وجد الماء توجد الحياة.

ان القسم الأعظم من حياتنا يتوقف على الماء وقد تصل نسبة الارتباط بالماء الى أكثر من تسعين بالمئة واذا ما واجهت الكائنات الحية خطر الشحة في المياه وانعدام الماء يعني انها على مشارف الموت والفناء.

الماء والتراب في القرآن الكريم:

أشار القرآن الكريم في العديد من آياته الى نعمتي الماء والتراب أو الأرض على انّهما مصدرين لأنواع البركات الالهية التي أنعم بها الخالق على عباده.

قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّماء مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِنَ السَّماء مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[2].

١ـ الانعام ٦: ٩٩.

٢ـ الانفال ٨: ١١.

والآية اعلاه تتحدّث عن جانب يتعلّق بمعركة بدر فقد كان المسلمون يعانون من شحة في المياه كما انهم كانوا يسيرون في أرض رملية وعندما هطلت الأمطار أصبحت الأرض الرملية أكثر تماسكاً بينما كان المشركون يسيرون في أرض ترابية ولما هطل المطر أصبحت طينية موحلة عرقلت من تقدمهم وسيرهم وقد ساعد هطول المطر في تلك الظروف المسلمين كثيراً وكان من عوامل انتصارهم.

﴿وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الَّثمَرَاتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

﴿اللّه الَّذِى خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الَّثـمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ﴾[2].

ان نعمة الماء غاية في الأهمية وقد تكرّرت الاشارة اليها في القرآن الكريم وكذلك ما ورد في الروايات أيضاً حول هذه النعمة ونعمة التراب والأرض وعند ما ينزل الماء من السماء ويغمر التراب تنبثق من قلب الأرض أنواع من البركات الربانيّة والماء زائداً التراب يؤدي الى التمتع بأنواع النعم الالهيّة الاخرى.

والماء هو الوسيلة العامة والجوهريّة في التطهّر والنظافة وضمان الصحة العامة

١ـ الاعراف ٧: ٥٧.

٢ـ ابراهيم ١٤: ٣٢.

ويؤلّف الماء القسم الأعظم من الحياة وهو النعمة العامة التي تغمر الحياة الانسانيّة وتضمن استمرارها.

ودور الماء في الحياة على سطح الأرض دور مصيري فقد تتوقف حياة الكائن الحي على قطرة واحدة من الماء.

ان الأرض والجبال والهواء والبحار والبيداء والنبات والحيوان والانسان انها جميعاً قائمة على وجود الماء.

طهارة وصحة الجسم والروح:

ان لفظ الطهارة الذي ورد في حديث الامام الصادق عليه السلام هو لفظ عام ويستفاد من أصل الرواية وما أشار اليه الامام عليه السلام في توضيح الموضوع هو ما يشير اليه القرآن الكريم في آياته وما ورد في الروايات يعني الطهارة بنوعيها الطهارة الظاهريّة والطهارة الباطنيّة، طهارة وصحة الجسم وطهارة وسلامة الروح والنفس ويبدو انه من الضروري التفصيل في هذا الموضوع أكثر وسيدرك الباحثون هذه الحقيقة وهي الى أي مدى يبلغ اهتمام الاسلام بالسلامة البدنية والسلامة النفسية.

والطهارة الجسمية والروحية لدى الاسلام تتم احياناً بالوضوء وأحياناً بالغسل واحياناً اخرى بالتيمم وفي مرحلة من المراحل بالتقوى وتحصل احياناً باجتناب الطعام واحياناً باجتناب المعاصي وَالآثام.

ومن خلال الالتزام بالارشادات الطبية بالنسبة للماء والغذاء وفي جانب بالصوم وفي جانب آخر بأداء الفرائض والتحلّي بالأخلاق الحسنة واجتناب الرذائل ان كلّ ذلك يسهم في سلامة الروح وتزكية النفس.

كتب أحد علماء السلف الصالح رسالة ما تزال مخطوطة في احدى المكتبات تتضمن هذه الرسالة عشرة اصول في السلامة الجسمية والصحة البدنية وعشرة اصول في السلامة الروحية والصحة النفسية ونحن نورد موجزاً عن كلّ فصل لكي نكوّن صورة في اذهاننا عن السلامة والصحة في صعيد الجسم والروح على أساس القرآن الكريم والروايات الواردة عن المعصومين والقضايا العلمية وحتّى تخرج هذه الوصايا من وادي النسيان ومن خلال الاطلاع عليها والعمل بها يثاب ذلك الانسان الذي ألّفها.

١ ـ سلامة ونظافة الغذاء:

يجهل معظم الناس كيفية وكمية وأسرار الغذاء حيث يتّجه الظن العام الى المائدة الحافلة بألوان الطعام والغذاء الملئ بالدسم والاكلات الشهية هي أفضل أنواع التغذية والغذاء في حين ان الموائد الملوّنة الحافلة بكل مالذ وطاب تزهق النفوس أكثر من ميادين الحروب.

ان الأغذية الفاسدة والتي تكون في متناول الحشرات كالذباب وغير ذلك تؤدي هي الاخرى إلى المرض والهلاك.

وما لم تشعر بالجوع لا تأكل أبداً وحاول ان تكف عن الأكل قبل الشعور والاحساس بالشبع أي توقف عن تناول الطعام وما تزال لك الشهية لأكله امضغ الطعام جيداً قبل بلعه.

انك لا تملك من الجهاز الهضمي ما يعمل بارادتك سوى الفم فقط واذن حاول أن تمضغ الطعام على مهل واجتنب التخمة وقد قيل قديماً ان الشره في التهام الطعام يحفر قبره بأسنانه.

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف ما يشير الى أن أبغض الأشياء الى الله المعدة الممتلئة[١].

ان الغذاء الطيب والمفيد ما كان صغيراً في حجمه غنياً بالفيتامينات والسلولوز والمواد السريعة الامتصاص أما ملء المعدة بالاكلات الثقيلة والتي لا تنطوي على السعرات الحرارية اللازمة لا يعود على الجسم الاّ بالأضرار.

اقتصر على تناول الطعام في ثلاث وجبات فقط واحرص على تناوُل طعامك وأنت مرتاح البال مبتهج الحال لأن الحالة الروحية الايجابية تؤثر في هضم الطعام وتجنب التفكير في الامور المحزنة اثناء الأكل وكل ما يهيج الاحزان وعند ما يجتاز المرء سن الأربعين فينبغي عليه الاّ يتناول اللحوم والبيض في الليل وعليه أن يجتنب تناول الأطعمة والأغذية المعلبة وأن تكون أكلاته من المواد الطازجة وأفضل الموائد ما كان فيها كرنب وخس وبصل وفواكه وسلاطة مع زيت الزيتون والخضار والجزر والجبنة والخل.

والخبز اذا كان جيد التخمير وكان دقيقه يحتوي على السبوس الذي يشتمل على مادة السليلوز وأنواع من فيتامين «ب».

وفي فصل القيظ من الأفضل الاقلال من اللحوم والدسم والسكريات وينبغي أن تتناسب السعرات الحرارية للغذاء مع العمر ونوع العمل ونسبته ومحيطه فاذا كان العمل سهلاً فالاقلال من الغذاء أفضل ويجب أن تكون آنية الطعام نظيفة واذا كانت الآنية من النحاس فيتوجب جلاؤها كل شهر مرّة وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله المعدة بيت الداء[٢].

١ـ مستدرك الوسائل: ٢١٢/١٦، حديث ١٩٦٢٩.

٢ـ مستدرك الوسائل: ٤٥٣/١٦، باب ١٠٩، باب الحمية للمريض.

والاكثار من تناول الطعام يؤدي الى الاصابة بأمراض الكبد والكلة وضغط الدم والأمراض المعدية والهضمية والشراهة والتهام الطعام يلحق الاضرار بالجسم ويفضل أن يصوم الانسان بين الحين والآخر ويمنح الجهاز الهضمي فرصة للاستراحة والتقاط الانفاس قبل أن يأخذ اجازة مرضية للعلاج.

٢ ـ سلامة الهواء:

الهواء غذاء الحياة وأكبر عامل في الصحة والسلامة البدنية وعليه يجب أن يكون الهواء الذي يتنفسه الانسان نظيفاً صافياً وقد جعله اللّه سبحانه أضعافاً مضاعفة أكثر من الماء وذلك لدوره في حياة الانسان وشدّة ضرورته فهو يغمر الوجود ومن المؤسف أن يقوم البعض جهلاً بتلويث الهواء ولا يولون أهمية لنظافته وخلوّه من كل اشكال التلوّث وهذا ما يؤدّي الى التأثير سلباً على صحته وصحة من يعيش في تلك البيئة وبالتالي فهو مسؤول أمام اللّه سبحانه عمّا قام به.

عندما يتنفس الانسان هواءً ملوّثاً فان ذلك يؤثّر على شهية الانسان ويصاب بسوء التغذية الأمر الذي يفضي الى ضعف عام في البدن ويصبح فريسة للاصابة بالأمراض وتلحق المدافئ النفطية ودخان الفوانيس اضراراً بالجسم بسبب قربها من الانسان وقرب الانسان منها واضطراره للاستنشاق الهواء المشبع بالغازات السامة.

وفي حالة عدم وصول الاوكسجين الى الجهاز التنفسي مدّة ثلاث دقائق فان الموت سيكون أمراً حتماً.

ويؤثر الهواء على الجسم فيزيائياً وكيميائياً وهو ينفذ من طريقين من الجلد ومن الرئتين ولأن الانسان يستنشق الهواء اثنتين وثلاثين مرّة ستة عشرة مرّة شهيقاً وستة عشرة مرّة زفيراً واذن فهو يؤدّي هذه العملية ما يناهز العشرين ألف مرّة في

كلّ أربع وعشرين ساعة وفي كلّ عملية شهيق يسحب نصف لتر من الهواء فهو اذن يسحب ما مجموعه يساوي عشرة أمتار مكعبة من الهواء يومياً ما يعادل عشرة آلاف ليتر من الهواء تتّحد مع عشرة آلاف ليتر من دماء الجسم.

ومن خلال الأرقام أعلاه يتضح دور الهواء الحيوي في تصفية الدم ومن هنا فان أي تغيير كيميائي لهذه المادة الحياتية تؤدّي الى إضعاف الجسم وفتور البدن.

وقد حرّم الاسلام تلويث الهواء وأوجب على كلّ مسلم مهمة الحفاظ على سلامة البيئة وأن يجتنب كلّ ما يلوّث الهواء لأن الهواء الملوّث يؤثّر بشكل واضح على صحّة الأطفال وخاصّة المرضى منهم.

من هنا فان المحافظة على سلامة البيئة من أهم الواجبات الاسلاميّة في حياة الانسان المؤمن.

٣ ـ سلامة الماء:

الماء نعمة كبرى من نعم اللّه عزوجل وقد جعله اللّه من الوفرة لأهمية دوره في حياة الانسان وكل الكائنات الحية.

والماء الذي يشربه الانسان يجب أن يكون شفافاً زلالاً بارداً عديم الرائحة والطعم وأن تتراوح درجة حرارته بين ثمانية الى خمسة عشر درجة مئوية واذن فانه ينبغي خض الماء الذي تعرض للغليان قبل شربه.

وعادة ما يكون المياه التي تنبت بالقرب منها بعض الخضار « الرشاد » وبعض أنواع السمك والحلازين مياه جيدة.

وماء البحر غير صالح للشرب وكذلك الأنهار التي يقل عرضها عن ثمانية أمتار وبعمق يقل عن المتر الواحد.

ويساعد الماء البارد على تحريك الجهاز الهضمي اذا ارتشفه الانسان ارتشافاً ويقوم بتخفيض درجة الحراة اما الاكثار من شرب الماء البارد فانه يؤدي الى الاصابة بالاسهال وبعض الأمراض المعوية ولا تصلح المياه المعدنية للشرب بسبب كثرة ما فيها من الأملاح أما الاستحمام فيها فينفع في معالجة بعض الأمراض وبخاصّة الجلديّة.

ويعدّ تلويث مياه الشرب العامّة من كبائر الذنوب وله عواقب وخيمة على مصير الانسان يوم القيامة فينبغي اجتناب كلّ ما يؤدي الى تلويث مياه الشرب.

٤ ـ سلامة النوم:

النوم من ضرورات الانسان وقد أشار اليه القرآن الكريم على انه من نعم اللّه سبحانه وتعالى على الناس.

وتأمّل ايها الانسان لو سلبت هذه النعمة أو تعرضت الى مشكلة تسلبك حلاوة النوم ماذا سيحلّ بك؟

والنوم حاجة حيوية للانسان ولكن بشرط أن يكون ضمن وقت محدد ومناسب ذلك ان النوم أكثر من الوقت المطلوب واللازم يضرّ بصحّة الانسان.

والاكثار من النوم كالاكثار في الأكل ضار بالانسان والاسلام يحذر الانسان المؤمن من كثرة النوم والانسان البالغ ينام ثمانية ساعات في اليوم.

وينبغي اجتناب عدم النوم طوال الليل وقد حرّم القرآن ذلك لأن عدم النوم يؤثر على الجهاز العصبي ويلقي بظلاله القاتمة على القلب وضغط الدم وأفضل وقت للاستيقاظ ليلاً هو وقت السحر وذلك للمناجاة والاستغفار.

وغرفة النوم يجب أن تكون هادئة بعيدة عن مصادر الازعاج والضوضاء

وينبغي أن تكون مفتوحة ساعتين يومياً لضمان دخول الهواء والنور.

ويقال ان عصارة المبادئ الصحية تكمن في ثلاثة أشياء: تنظيم الغذاء، تنظيم العمل وتنظيم النوم وهذه القواعد الصحيّة الثلاث هي الضمان لصحّة الانسان وسلامته.

٥ ـ سلامة الغريزة:

يؤدي الزواج دوراً بارزاً وحيوياً في سلامة الانسان وحياته الفردية والاجتماعيّة وقد حثّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله على الزواج قائلاً: «النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»[١].

ويتعين على الرجل والمرأة أن يكونا في أتم الصحّة والسلامة استعداداً للاقتران وتتوفر في الوقت الحاضر الطرق الطبية لتشخيص ذلك من خلال المراكز الصحيّة.

وينبغي أن يمارس الانسان نشاطه الجنسي في ضوء الضوابط الشرعية التي أشار اليها القرآن الكريم والسنّة الشريفة.

ولا يجوز الافراط في ممارسة الجنس لما في ذلك من دور مدمّر في اضعاف القوى البدنيّة وهو يضرّ بسلامة الانسان.

وينبغي للانسان أن يمارس الجنس باعتدال ولا يحرق عصارة حياته بنار الشهوة المتأججة من خلال الافراط في ذلك وقد قيل ان الافراط في كلّ لذة انتحار.

والزواج قبل بلوغ المرأة والرجل يشكل خطراً على السلامة البدنية والنفسية وينبغي للرجل من أجل اشباع غريزته الجنسية أن يكتفي بزوجته والاّ يمدّ عينيه

١ـ جامع الأخبار: ١٠١، الفصل الثامن والخمسون، فى التزويج؛ بحار الأنوار: ٢٢٠/١٠٠، باب ١، حديث ٢٣.

الى غيرها شهوة ولذا يحث الاسلام المؤمن على عدم المشاركة في مجلس المعصية حيث الممارسات التي تثير غريزة الجنس وتعد العين العضو الذي يفتح باب البلاء في هذا المضمار؛ فمن خلال مشاهدة ما يهيج هذه الغريزة يندفع الانسان الى ارتكاب الذنوب والمعاصي ثمّ ينزلق الانسان الى هاوية الهلاك حيث جهنم وعذابها الأليم والحرمان الأبدي من السعادة.

فطوبى للانسان الذي يجد لذته الحقيقية في العلاقة مع اللّه تبارك وتعالى مع انتهاله لذائذ الحياة من طريقها المشروع وفي حدود ما شرع اللّه سبحانه.

واني لأقسم انه لا توجد سعادة تبلغ سعادة الانسان وهو يناجي ربّه ومعبوده بقلب يموج بالحب الالهي.

وما ألذ كلمات الانسان وهو يناجي اللّه تبارك وتعالى.

دعني ابتهج ليلة يوما لك.

وما الذي يحصل لو روحي تحررت من ألم الهجران.

فؤادي لا يذكر غيرك فاحفظ لنفسي الثبات على الميثاق.

لا ينقص نور القمر اذا نظرت اليه فتجلّ لي ودعني اراك بقلبي.

الشكران على تلك الخطوة في زقاق المساكين.

لقد ابتليت بنفسي هذا العدو الجاني فما أفعل بهذا الخصم المتمرّد.

دعني الوذ بحدائق انسك واستضفني في خلوة وصلك.

واجعل الرقباء عطوفين بحكم الحب.

آلاف من يوسف المصري زبائنك.

فاحسبني من اولئك.

٦ ـ سلامة السكن:

وينبغي الاهتمام بهذا الجانب في تحديد المكان الذي يسكن فيه الانسان ويعيش فيه وذلك لما في محل السكن من دور حيوي في سلامة الجسم والروح.

وينبغي للانسان الاّ يسكن قرب المستنقعات والمزابل والمصانع والمراكز والمناطق المزدحمة الكثيفة السكان ويفضل السكن قرب البساتين والحدائق والمروج الخضراء لما لهذه البيئة من تأثير ايجابي في سلامة الانسان.

وينبغي ان تنظم درجة الحرارة في غرف النوم في أكثر ليالي الشتاء برودة لتتراوح بين الثانية عشرة والسادسة عشرة درجة مئوية كما ينبغي ألاّ يتجاوز عدد طوابق المنزل عن الثلاثة والاّ يحرم المنزل المجاوز نعمة الهواء وضوء الشمس.

وأن يكون المنزل جافاً لا رطوبة فيه وأن يتمتّع باضاءة جيّدة وأن تستخدم المصابيح الكهربائيّة في الاضاءة ليلاً لأن الفوانيس النفطيّة تسبّب في تلويث فضاء المنزل.

وينبغي فتح الأبواب والنوافذ يومياً أربع مرّات على الأقل لضمان دخول الهواء النقي.

وعند كنس البيت ينبغي ألاّ يتصاعد الغبار لأن بعض المكروبات تعلّق بذرّات الغبار وتدخل الى جسم الانسان عند الاستنشاق ويستحسن وضع منديل لتغطية الأنف عند القيام بتنظيف المنزل وينبغي عدم دخول غرف وممرّات المنزل بحذاء الطرق والشوارع ولا يجوز القاء المخاط والبصاق على الأرض وخاصّة أرضيّة المنازل.

ويجب على الانسان المؤمن التزام التعاليم والارشادات الاسلاميّة في مضمار النظافة المنزليّة ومحل السكن، انّ اللّه سبحانه خلق الانسان للعبادة ولا يستطيع

الانسان اداء ما افترض اللّه عليه من العبادات بجسم مريض وروح فاترة ان التزام شروط النظافة في جميع المجالات واجب شرعي وأخلاقي في الاسلام.

وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

«النِّظافَةُ مِنَ الإيمانِ»[١].

وهذا ما يعكس أهميّة النظافة في حياة الانسان.

انّ الفرد القذر الذي لا يولي أهميّة للنظافة في حياته الفرديّة والاجتماعيّة عادة ما يكون مهملاً في كلّ شؤون الحياة وهكذا انسان كيف يزعم بأنّه مسلم لأنّ المسلم هو من يلتزم بتعاليم القرآن الكريم والسنّة الشريفة ويسير على خط أهل البيت عليهم السلام وأن ينظّم حياته في ضوء الضوابط الالهيّة من حلال وحرام.

٧ ـ نور الشمس:

ينبغي أن يكون السكن في مكان يكون في معرض نور الشمس وضوئها؛ فالشمس هي مصدر النور والدفء ولها دور في حياة الكائنات والكائن الذي يعيش في الظلام ينشأ ضعيفاً وهزيلاً وضامراً ويكون في الغالب كئيباً وحتى لون دمه يكون رقيقاً ويعاني من الغثيان والكسل والخمول.

ويؤثر النور مباشرة على الجلد ثمّ الجهاز العصبي والبيت الذي ينفذ في انحائه ضوء الشمس لا يزوره الطبيب.

وينبغي أن توضع أبواب عريضة ونوافذ واسعة حتّى يمكن لضوء الشمس أن ينفذ الى جميع غرف المنزل وحجراته ويستحسن للمرء أن يتمشى قليلاً تحت ضوء الشمس وبخاصّة في الصباح لما في ضوء الشمس من فوائد وخاصّة في القضاء على الجراثيم.

١ـ طب النبيّ: ٢١؛ مستدرك الوسائل: ٣١٩/١٦، باب ٩٢، حديث ٢٠٠١٦.

٨ ـ الصحّة العامّة للبدن:

للجلد ثلاث وظائف في جسم الانسان:

الاولى: أن توازن سلامة الأعصاب وجميع الأجهزة الحيويّة في الجسم ترتبط بسلامة الجلد وعند ما يحدث خلل في الجلد فان ذلك يؤثر على جميع أجهزة البدن سلبيّاً.

الثانية: يقوم الجلد بالتنفس ويسدّ الوسخ مسام الجلد ما يعرقل عملية التنفس الأمر الذي يؤثر على سلامة البدن من الداخل.

الثالثة: تنظيم درجة حرارة الجسم والمحافظة على استقرارها حيث يتبخر ما يقارب لتر واحد من الماء عبر الجلد ما يؤدّي الى تلطيف حرارة الجسم.

وينبغي المحافظة على مسام الجلد لتبقى مفتوحة فمن خلال التعرق يطرد الجسم السموم عبر الجلد وغسل الجسم يعني ازالة ما يترسّب من مواد يلفظها الجسم تخرج مع عرق الانسان وما تفرزه الغدد وما يتراكم على الجلد من ذرّات الغبار حيث تتحد كل هذه العناصر لتؤلّف جميعاً ما يدعى بـ« الوسخ ».

وعادة ما يقوم الجسم بنبذ الخلايا الميتة عبر الجلد وانتاج خلايا جلديّة جديدة وتختلط الافرازات مع بعضها البعض تزيد من سماكة الجلد ما يعرقل من عمله ويربك وظائفه ومن هنا نفهم دعوة الاسلام المؤمن الى أداء بعض الأغسال المستحبّة.

ونظافة البدن هي أولى شروط السلامة وتشير بعض الاحصاءات الى انحسار الوفيات في المجتمعات التي تلتزم بالنظافة البدنيّة مما عليه لدى المجتمعات التي تهمل مسألة النظافة وينبغي أن يتنفس الانسان ويستنشق الهواء من خلال الأنف كما ينبغي له أن يغسل يديه وينظف أظافره قبل تناول الطعام وكذلك يتوجب

على الانسان غسل يديه بعد قضاء الحاجة والخروج من المرافق الصحيّة.

وتقليم الأظافر مهم لأن طول الأظافر يحولها الى مراكز لتجمع الجراثيم.

والانسان الذي ينتهك الاصول والقواعد والارشادات الصحيّة انما يقوم بعمليّة انتحار والالتزام بالنظافة يؤخر من الشيخوخة ويمد في طول العمر.

الرياضة:

تؤدّي الرياضة الى التسريع في تدفق الدم في ما يدعى بالدورة الدمويّة داخل الجسم وبالتالي ضمان وصول الدم الى جميع انحاء البدن وتغذية أجهزته وأعضائه المختلفة.

والرياضة أفضل وسيلة للقضاء على الكسل والخمول وينبغي ممارسة الرياضة في الهواء الطلق والفضاء النقي وأفضل أنواع الرياضة وأيسرها هو التنفس العميق واستنشاق الهواء من الأنف وسدّ الفم وفتحه للزفير فقط.

والملابس الرياضية ينبغي أن تكون فضفاطة لكي يكون الجسم حرّاً في أداء الحركات الرياضة والرياضة المفضلة في الاسلام المشي وركوب الخيل والرمي، والسباحة والصيد، ويستحسن للمرء أن يقوم بأعمال البستنة والفلاحة وخلاصة القول أن يؤدّي بعض النشاطات والأعمال المنزليّة على نحو خاص ومساعدة من يقوم بهذه الأعمال.

ويستحب للمرء في أيّام العطلة أن ينطلق الى البراري وسفوح الجبال لما في هذا من تأثير ايجابي في سلامة الجسم والروح من خلال مشاهدة الطبيعة والتمتع بمناظرها الجميلة التي تؤلّف كتاباً معرفياً حيّاً يعكس قدرة الخالق سبحانه وجماله المطلق.

كما انّ المشي في ضوء الشمس ضمن برنامج معتدل يعد اسلوباً جيداً مؤثّراً في صحّة الجسم ويتوجب على المرء اجتناب الافراط في اداء ضروب الرياضة المتنوعة لأن الهدف من ممارسة الرياضة هو تنشيط الجسم والروح لكي يتوفّر الانسان على القدرة في أداء الفرائض والطاعات والعبادات الالهيّة وكلّ هذه الامور تعدّ مقدمة ومدخلاً الى شؤون الباطن وفي ضوء الأحكام الالهيّة فان حركة الانسان تبدأ دائماً من الظاهر الى الباطن والاهتمام بأحدهما واهمال الآخر خطأ كبير وخطيئة.

وقد ورد في الحديث: ليس منّا من ترك دنياه لآخرته أو ترك آخرته لدنياه؛ إذ يتوجب على المؤمن حقاً التزام العدالة والاعتدال في حياته وأن الاقتصار في ممارسة الرياضة لغرض تعزيز القدرات البدنيّة وابراز القوّة الجسمانيّة يعني تنمية الجانب الحيواني في الانسان واهمال الجانب المعنوي.

السلامة النفسيّة:

تشغل السلامة النفسية موقعاً يوازي في أهميته السلامة البدنيّة.

انّ الجسم والروح يرتبطان مع بعضهما البعض بوشائج وثيقة ويؤثر أحدهما في الآخر على نحو مباشر وعميق فالألم الروحي يتسبب في اصابة بعض أجهزة الجسم بأعراض مرضية والعكس صحيح أيضاً وقد قيل؛ العقل السليم في الجسم السليم.

ويؤدّي التشاؤم والكآبة والاحساس العميق بالحزن والتذمر من ظروف الحياة الى اصابة المرء بـ«الماليخوليا»[1].

وكلما تقدم الانسان في السن وهو يعاني من هذه الحالات النفسيّة زادت

١ـ مرض عصبي يظهر على شكل اختلال في العضلات والأعصاب وينجم في الغالب عن الاصابة بالشلل أو التعرّض للتعذيب الروحي والجسدي الشديد أو أثر مرض الصرع أو الولادة.

احتمالات اصابته بالأمراض العصبيّة والجسميّة.

ولهذا نرى في الاسلام من خلال القرآن الكريم في العديد من الآيات والسنّة الشريفة في الكثير من الروايات حثّاً للانسان على الصبر والاستقامة والحلم وضبط الأعصاب وعدم الانهيار أمام المشكلات وتحديات الحياة.

وتنهى تعاليم الاسلام الفرد المسلم عن المشاركة في مجالس اللهو واللعب وكل ما يثير الغرائز الحيوانيّة ومعاشرة الناس الذين تلوّثوا بالذنوب والمعاصي والآثام.

وتحثّ الشريعة على اليقظة وتحذّر من غفلة الانسان عن ذكر الله ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾.

انّ ذكر الله تبارك وتعالى يحمي الانسان من القلق ويمنحه الشعور بالطمأنينة والسكينة والسلام.

اصول السلامة النفسيّة:

وأصول السلامة النفسيّة كما هي في السلامة الجسميّة عشرة اصول وقواعد وقد ورد تفصيلها في الكتاب الشريف «**مصباح الشريعة**» حيث فصّل الكتاب في كلّ أصل منها وهي عبارة عن:

١ـ الايمان بالحق ويوم القيامة.

٢ـ الصبر أمام نوائب الدهر.

٣ـ الابتعاد عن الخوف والهلع.

٤ـ اجتناب جميع الرذائل.

٥ـ التفاؤل في الحياة.

٦ـ الشعور بالحب ازاء الناس.

٧ـ تنمية الارادة.

٨ـ القيام بالنشاط الدائم والفعاليات.

٩ـ مراقبة النفس ومحاسبتها.

١٠ـ ذكر الموت باستمرار.

ان رجال الحق يتمتعون دائماً بسلامة في الروح والبدن ولسلامة أنفسهم فانهم يتوفرون على قدرات بدنية ولهذا فهم يؤدون طاعة العبوديّة على نحو يرضى اللّه تبارك وتعالى ويكون وجودهم مصدر بركة على غيرهم وشموعاً تضيء الدرب للآخرين.

يقول الفروغي البسطامي:

ان رجال اللّه ازاحوا حجب الظن وهم لا يرون شيئاً سوى اللّه.

يأخذون بنفس اليد التي يعطون بها ويقولون الحكمة التي سمعوها.

وللطهارة في الاسلام شروح مفصلة ألّف فيها الفقهاء الكبار العديد من الكتب ومراجعة تلك الكتب تكشف عن هذه الحقيقة وهي انه لا يوجد دين ولا عقيدة في تاريخ البشريّة يضاهي الاسلام باهتمامه بجانب الطهارة والسلامة على صعيدي الجسم والروح ونتجاوز في هذا الكتاب الحديث عن مسألة الطهارة الجسمية لبيان الجانب المعنوي من هذا الموضوع.

التيمم المعنوي:

عند ما يتعذّر على الانسان المسلم وجود الماء للغسل والوضوء أو انّ الماء يلحق ببدن الانسان ضرراً ما فانه يتوجب عليه أن يتيمّم حيث تتحقّق الطهارة بالتراب.

ويتوجب في البدء أن ينظر الانسان الى التراب نظر عبرة فهو مصدر أنواع

البركات الالهيّة لجميع الكائنات الحيّة وعلى المسلم أن يستلهم من التراب دروساً وليكن كالتراب مصدر خير لجميع الناس.

فمن التراب تنبثق الورود والازهار والمروج والأشجار فكن ايها المسلم كذلك لينعم الآخرون بظلالك وليكن وجهك طلقاً بشوشاً باسماً كما الورد وكن كالنهر الذي تنبت على ضفافة الأعشاب الخضراء والحدائق الغناء.

والتراب على قدر اهميته ودوره في حياة الناس بساط تمشي عليه الكائنات بسهولة ويسر فكن كالتراب سهلاً في تعاملك مع الناس وفي هذا كمال التواضع.

وبعد أن نظرت الى التراب نظرة عبرة استلهمت منه الدروس فانو نيتك وبعد ذلك اضرب بباطن كفيك على التراب ثمّ امسح بهما جبهتك ثمّ امسح بباطن كفيك على ظاهرهما وفي هذه الحالة أنت الآن بظاهر طاهر لكنك لست جديراً أن تمثل في حضرته لأن ما هو مطلوب أكثر طهارة الباطن.

يقول المرحوم الفيسلوف الكبير الحاج ملاّ هادي السبزواري في الجزء الثاني من «اسرار الحكم» في باب الوضوء والغسل والتيمم.

مثلما لا يمكنك بالاحداث الظاهرة ان تدخل في الصلاة كذلك بوجود الشوائب في الباطن لا يمكنك ادعاء المحبة الاغتسال بالدموع شأن أهل الطريقة.

فتطهر أولاً ثمّ امتثل في رحاب الطهور.

مراتب الطهارة:

الطهارة على نحو عام أربع مراتب:

الاولى: تطهير الظاهر من الأحداث والأخباث.

الثانية: تطهير الجوارح والهندام من الذنوب والآثام.

الثالثة: تطهير القلب من رذائل الأخلاق.

الرابعة: تطهير السر من التعلّق بما سوى اللّه تعالى.

وهذه طهارة الأنبياء والصديقين ولا يمكن بلوغ المرتبة العليا الاّ ببلوغ ما قبلها.

واذن لا يبلغ المرتبة الرابعة واضاءة السر بنور معرفة اللّه الاّ بعد تطهير القلب من الرذائل ولا يطهر القلب من الرذائل ما لم يفرغ من طهارة الجوارح من المثالب والتبعات وتنقيته بالمناقب والطاعات واذن فان أمر التطهير خطير ولا يتيسر بتطهير الظاهر فقط.

اسرار التيمّم:

قسّم العارف الفريد المرحوم السيّد حيدر الآملي وهو من كبار علماء الشيعة ومفاخر الانسانيّة وله كتب عرفانية هامة جميع المسائل الالهية العالية الى ثلاث درجات:

١ ـ العمل بالمسائل وفقاً لظاهر الأحكام تحت عنوان عمل أهل الشريعة.

٢ ـ العمل بالمسائل وفقاً لباطن الأحكام تحت عنوان أهل الطريقة «سلاك الباطن».

٣ ـ العمل بالمسائل وفقاً لباطن الأحكام تحت عنوان أهل الحقيقة.

وهنا حديث موجز ممّا أورده العارف رحمه الله في كتابه «**اسرار الشريعه و اطوار الطريقه و انوار الحقيقه**»[1]:

التيمّم عند أهل الشريعة الطهارة الترابيّة وهو عمل ينوب عن الوضوء والغسل وذلك عند ما يكون معذوراً من الماء والعذر يحصل في ثلاث صور:

١ـ اسرار الشريعة: ١٤٦.

أوّلاً: تعذر وجود الماء بعد البحث بالقدر اللازم، ثانياً: عدم وجود وسيلة للحصول على الماء مثل عدم امتلاك المال أو الدلو والحبل وأمثال ذلك، ثالثاً الخوف على النفس والمال في حالة استعمال الماء فاذا توفرت هذه الشروط لا يصح التيمم الاّ على صعيد الأرض أو يطلق عليه الأرض مثل التراب، أو الطين أو الحجر والصخر ذلك ان الحجارة والطين هما في الحقيقة نفس التراب وقد أصبح جامداً بفعل عوامل طبيعية.

وشكل التيمّم وكيفيته معروف للجميع اذا كان بدل الوضوء فضربة بالكفين على وجه الأرض ثمّ نفضهما وبعد ذلك مسح الجبهة بهما ثم المسح بباطن الكف اليسرى على ظاهر اليمنى وبباطن اليمنى على ظاهر اليسرى واذا كان التيمّم بدل الغسل فضربة اخرى على الأرض باليدين والمسح على ظاهرهما[1] وما يباح في الوضوء فهو مباح في التيمّم أيضاً.

أمّا التيمّم عند أهل الطريقة فيحتاج فهمه الى مقدمتين مقدمة في بحث في الماء الحقيقي ومقدمة في بحث التراب الحقيقي.

الماء الحقيقي بحكم العقل والنقل هو عبارة عن العلوم والمعارف الالهيّة ويطلق عليها عنوان الحياة الحقيقية.

ومثلما تختلف المياه في عذوبتها ومرارتها فان العلوم كذلك فيها ما هو خسيس وشريف ولا تتساوى العلوم في الشرف فأين العلوم الظاهريّة من العلوم الالهيّة؟! ولهذا يعبر العقل والنقل عن المعارف الالهيّة بالحياة الحقيقيّة، ولا يخلو

١ـ يرى مراجع التقليد «دام ظلّهم» ان التيمّم بدل الغسل وبدل الوضوء لا فرق فيه ويمكن مراجعة رسالة توضيح المسائل في هذا الموضوع.

مخلوق في هذا العالم بحسب قابليته واستحقاقه من هذا العلم الذي في الحقيقة حياته ولا يمكن أن يخلو منه لأنه في حالة خلوه سيصير عدماً ووجودية الوجود في كلّ شأن من الوجود مرتبط بهذا العلم وحياة كلّ ذي حياة رهن بهذا العلم كما ورد في الآية الكريمة:

﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١].

ولا تسبيح الاّ بعد المعرفة والاقرار بالذات المقدّسة للمولى ولا تصدر المعرفة والاقرار الاّ من المخلوق الحي بالحياة الصورية أو الحياة المعنويّة واذن من الصواب ان نقول كل شيء في الوجود ثلاثة أشياء: العلم، المعرفة، الحياة.

وفي قوله تعالى في الآية الشريفة:

﴿أَنزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾[٢].

ذهب أكثر المفسّرين الى ان «الماء» هو بمعنى العلم وأن «الأودية» بمعنى القلوب و «بقدرها» بمعنى استعدادها وقابليتها.

وقوله تعالى:

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[٣].

وفي هذا دلالة على هذا المعنى الحقيقي؛ ذلك انه لا علاقة بين العرش الصوري والماء الصوري على طريق الشرع ولا على تسلسل الكائنات ولا على طريق العقل وتحقيق المخلوقات فالمراد من الماء في الآية العلم والحياة

١ـ الاسراء ١٧: ٤٤.

٢ـ الرعد ١٣: ١٧.

٣ـ هود ١١: ٧.

الحقيقية والمعرفة وعلى كل فان الماء في مثل هذه الآيات بمعنى تلك الحقيقة السارية في كل شيء بما له من السعة والقابلية والاستعداد.

﴿وَذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١].

وهذا التعبير في الحقيقة أفضل تعبير ذلك لأن العرش وغير العرش لا قيام له الاّ بالحقيقة والحياة الحقيقية لا شيء سوى العلم واذن فالحياة الحقيقية لكلّ شيء هي بالعلم ومعنى الآية معنى مطابق وذكر العرش بالخصوص في الآية هو لأنه أعظم الأجسام وأقرب الأشياء الى المقامات العلوية المجردة.

وعند ما يكون أعظم الأشياء المخصوصة بشيء من الأوصاف المشتركة بين الكل فلا غرو أن يكون أحقر الأشياء أيضاً متمتعاً بهذا الوصف.

وفي قوله تعالى:

﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[٢].

يجب أن نقول له نفس المعنى لأن « استوى » تعني الاستيلاء وذكر العرش خصوصاً لأنه أعظم الأشياء وأعظم الأجسام والاستيلاء على أعظم الأشياء يستلزم الاستيلاء على أحقر الأشياء بطريق الاولى وهنا بحوث من معقول الوجود ليس محله هنا هذه مسألة الماء الحقيقي.

وأمّا مسألة التراب الحقيقي التي هي بحكم العقل ازاء الماء الحقيقي والتراب الحقيقي عبارة عن العلوم الظاهريّة التي هي بمنزلة التراب الصوري في مقابل الماء الصوري وبمنزلة القشور في مقابل اللب.

١ـ الانعام ٦: ٩٦، يس ٣٦: ٣٨، فصلت ٤١: ١٢.

٢ـ طه ٢٠: ٥.

وكذلك فان المراد من الماء الحقيقي العلوم الروحانية والمعارف القدسيّة والمراد من التراب الحقيقي العلوم الحسيّة الكسبية والمعارف الفكريّة الحدسيّة.

وجميع التراب لا يأتي بمعنى التراب الصوري فهناك في قول اللّه في القرآن: مثل عيسى مثل آدم خلقه من تراب فهل ان كل وجود عيسى مخلوق من التراب أو من التراب وعناصر اخرى في حدود ان التراب جزء من أجزاء جسمه؟ طبعاً هو مخلوق من التراب وغير التراب ولكن على أساس الاشارة الى أغلبية التراب واذن في هذه الآية فان التراب يأتي بمعنى الحقائق الاخرى أيضاً.

واذن فمن بيان هذا الموضوع يتوجب القول: ان كلّ علم منبعه ومنشأه يكون الحواس الظاهريّة والباطنية من قبيل العلوم الكسبيّة التي ذكرت سابقاً فان نسبة هذه العلوم الى التراب أولى وأنسب.

وكلّ علم منبعه ومنشأه الكشف والفيض فهو عبارة عن العلوم الالهية والمعارف الربانية ويطلق على تلك العلوم بأنها الوحي والالهام والعلم اللدني فنسبتها الى الماء أولى وأنسب.

وقد أشار قوله تعالى إلى هاتين المرحلتين في الآية الكريمة:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِن رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[1].

فالمراد من فوق العالم الروحاني والعلوم النازلة منه والمراد من تحت العالم الجسماني والعلوم الحاصلة منه.

وقول المفسرين: بأن المراد من فوق المطر ومن تحت النبات لا ينهض على

١ـ المائدة ٥: ٦٦.

أصل صحيح ذلك ان المطر والنبات يصل الى القائم بالتوراة والانجيل والقرآن ومن لا يقوم بذلك من الناس الذين لا دين لهم وكذلك الحيوانات أيضاً واذن فان هذا المعنى ليس بمعنى عادي والظاهر انه ليس بصحيح ان الآية الشريفة تعدّ حصول هذا النوع من الأكل موقوفاً بالقيام بالتوراة والانجيل والقرآن الكريم وطبعاً فان وجود الموجود بدون الشرط محال ولا يخفى المعنى على الفطن.

اما نتيجة البحث والتحقيق في الماء والتراب الحقيقيين:

ان أهل الطريقة اذا لم يكن بوسعهم تطهير الباطن بالماء الحقيقي يعني العلوم الالهيّة والفيوضات الربانية لموانع تحول دون ذلك توجب عليهم ان يطهروا باطنهم بالتراب الحقيقي الذي هو القواعد الظاهريّة لتصفية الباطن وصفاؤه بقدر استعداده لأن القواعد والمسائل الظاهريّة شريعة والعلوم الباطنية طريقة وما يفوق ويعلو على هذين المعنيين حقيقة.

ان الرجوع الى التراب الحقيقي للطهارة مقدمة من أجل الوصول الى طهارة الباطن.

واذا تعذر عليك تصفية باطن ذاتك بالماء الحقيقي فارجع الى القواعد والعلوم.

انّ اللّه أمر عبده أن يطهر روحه بمعونة بدنه الذي تراب طاهر، والاستعانة بالبدن بأن يقوم الجسم بالوظائف الشرعيّة في جميع الشؤون عند ما تتعذّر القدرة على تطهير الروح بالماء الحقيقي لأن الاستمرار في طهارة الظاهر يوفر الارضية شيئاً فشيئاً لطهارة الباطن ووظيفتك فعلاً التيمم بالتراب الحقيقي يعني لمس ومس العلوم الظاهريّة والقواعد الشرعية وباستخدام تلك العلوم والقواعد ولأنك زينت ظاهرك بالتراب الحقيقي فقد وجدت اللياقة والاستحقاق لتطهير الباطن بالماء الحقيقي هنا ـ لك تتنور بأنوار الحق والفيوضات الالهيّة وتضع قدمك

وتخطو في العالم الآخر وتجد الجدارة في حضورك في بساط القرب.

والسالك اذا تعذر عليه استعمال الماء الحقيقي ولم يمكنه تحصيل الطهارة للباطن نهض وبادر للتأمّل والنظر الى خلقته الترابيّة، التراب الذي هو من قلب الأشياء وأخسّها لكي يبلغ بالنظر الى تراب الوجود مقام كسر ضم الذات واذلالها التي هي خصيصة وجوده ويصل الى مقام الفقر والانكسار وهما السبيان للولوج والدخول الى حضرة العزة والمقام الذي يعبر عنه بجنة الذات في قوله الحق:

«أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ لأجلى»[1].

وهكذا يكون التيمم بهذا الشكل واجب على السالك عند فقدان الماء الحقيقي فهو يتطهر على هذا النحو حتّى يجد الماء الحقيقي ويتطهر به.

وطريقة هذا التيمم على هذا النحو ان يطهر سرّه وحقيقته من لوث كلّ تعلّق وكلّ محبوب سوى الحق ويزين ظاهره بالأعمال الشرعية والقوانين النبوية ثمّ يقطع طرفه الحقيقي الأيمن لوجوده يعني القلب من كلّ علقة بالآخرة ونعيمها ومن الحور والقصور ثم يفصل طرفه الأيسر الحقيقي يعني النفس من كل تعلّق بالدنيا والمال والجاه ومن مدح الناس وثنائهم عليه حيث طهارة القلب والنفس لا تحصل الاّ بذلك.

وبعد أن يتيمم على هذا النحو التحق بصفوف الاحرار وعبادتهم الى حد أن يجد القيمة وهذا هو التيمم الواجب على أهل الطريقة.

أما تيمم أهل الحقيقة فهو عبارة عن الفناء المحض من كلّ العالم الظاهر ذلك انّ هذا الفناء هو الذي يطهرهم من الأنية والغيريّة اللتين هما اللازمة في التعلّق بالدنيا وما فيها.

١ـ منية المريد: ١٢٣، فصل فى فضل العلم؛ بحار الأنوار: ١٥٧/٧٠، باب ١٢٥.

بعبارة أُخرى ان العالم الظاهر الذي يعبر عن كلّ انحائه بالملك هو بمنزلة التراب والعالم الباطن الذي يعبر عنه بالملكوت هو بمنزلة الماء.

وقد عبّر الحق تعالى عن عالم الملك بالأرض وعن عالم الملكوت بالسماء والأرض تناسب التراب لثقلها وكثافتها بل انّ الأرض في الحقيقة هي التراب والسماء تناسب الماء للطافته وخفته بل الماء في الحقيقة هو السماء وأهل الحقيقة انسلّوا من الملك بكلّ معناه وغرقوا في الملكوت حتّى انصرفوا عنه لا يهمهم الاّ المحبوب وهؤلاء قد فرغوا من طهارة الباطن بفناء روحانيات الباطن الذي هو من قبيل النية في الطهارة ومثل استعمال الماء في التطهر وشرعوا في التطهر بفناء الجسمانيات التي من قبيل الفعل في الطهارة ومثل التراب في التيمم وهذا هو ما يعبّر عنه أهل اللّه بفناء الفناء وفي الحقيقة انّ تيمّم أهل الحقيقة هو فناء الجسم والروح وفناء الروح بمنزلة النية واستعمال الماء في الطهارة وفناء الجسم بمنزلة العمل في الطهارة.

وفي كلّ الأحوال الطهارة المائيّة والطهارة الترابيّة التي يعبّر عنهما بافناء عالم الملكوت وافناء عالم الملك وضرب اليدين هو اشارة الى الانفعال عن كلا العالمين والاتصال الصرف بالمولى هو كيفية التيمّم عند أهل الحقيقة.

وترتيب هذه الطهارة على هذا النحو: ضرب اليدين وهما عبارة عن العقل والنفس بتراب العالم الظاهر والعالم الباطن ونفي الاثنين عن النظر ثمّ ضرب اليدين يعني النفس والعقل عن النظر ورؤية هذا النفي والفناء ثمّ مسح الوجه الحقيقي الذي هو عبارة عن السر والروح بالعقل والنفس الى أن يفهم ويدرك انه لم يبق من محبة العالمين والظاهر والباطن شيء ثمّ مسح العقل بباطن النفس

ومسح النفس بباطن العقل الى يتضح له انه لم تبق ذرة له من التعلّق بالعالم كلّه لأن التعلّق بالغير قلّ أو كثر يمنع الطهارة الحقيقية سواء كانت طهارة مائيّة أو ترابيّة.

ويتوجب على السالك أن يدقّق مرّة اخرى بعد افنائه الظاهر والباطن فيما اذا كانت هناك ثمّة علقة يتعلّق بها بهذين العالمين أوّلاً وقد قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

«الدُّنْيا حَرامٌ عَلى أَهْلِ الآخِرَةِ، والآخِرَةُ حَرامٌ عَلى أَهْلِ الدُّنْيا وَهُما حَرامانِ عَلى أَهْلِ اللّه»[1].

انّ حبّ الدنيا والآخرة لدى أهل الحقيقة حجاب وشرك ومن المحال حصول الطهارة بحجاب الشرك وقد قال القرآن الكريم انّ الشرك نجس والطهارة ضدّ النجاسة وهما لا يجتمعان أبداً فالواجب أوّلاً رفع النجاسة ثمّ وضع القدم في ميدان الطهارة ومن هناك التوجّه نحو بساط القرب وطلب التوفيق لهذا النوع من الطهارة منه سبحانه.

الغسل المعنوي:

الغسل من المسائل الالهيّة والشرعيّة المهمّة ويتوجب غسل الجسم كلّه لأنّ الجسم كلّه يشترك في أمر الشهوة.

وعادة ما يكون الغسل في الحمام ولذا ينبغي للانسان اذا دخل الحمام أن ينظر نظرة اعتبار فيعتبر.

يروي الفيض في «**الحقايق**» عن أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

«نعم البيت الحمام، يذكّر بالنار ويذهب بالدرن»[2].

١ـ عوالى اللآلى: ١١٩/٤، حديث ١٩٠.

٢ـ الكافي: ٤٩٦/٦، باب الحمام، حديث ١.

والانسان العاقل لا ينسى الآخرة أبداً فهو يفكّر في ذلك العالم ودخوله ولذا فانه برؤيته الماء والنار والظلمة يجعل من ذلك مرآة للعبرة ويتّخذ من ذلك الدرس فانّ رأى الظلام تذكّر ظلمة القبر وان سمع صوتاً مخيفاً تذكر نفخة الصور وان رأى شيئاً جميلاً تذكّر النعيم الالهي في الجنّة.

انّ الحمام أكثر الأماكن شبهاً بجهنم فأسفله نار مضطرمة ولذا يجدر بمن يدخل الحمام أن يتذكّر نيران جهنّم وحاله وقد دخل الحمام بارادته فيمكث ساعة في بيت حار قد حبس نفسه بين أربعة جدران فيتذكّر قعر جهنّم وبئس القرار وقد حبس فيها من غير اختيار.

فاذا دخلت صحن الحمام فقل:

«نَعُوذُ بِاللّه مِنَ النَّارِ وَنَسْأَلُهُ الْجَنَّةَ»[1].

أسرار الغسل:

يقول الحاج ملاّ هادي السبزواري في أسرار الغسل: انّ الغسل الترتيبي سلوك وانّ الارتماس جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين.

ويقول الفيض الكاشاني في الغسل وجوب غسل كلّ البدن ذلك ان أقرب الحالات الانسانيّة وأرسخها في الملكات الشهوانيّة حالة الاقتراب من النساء وتوفير أسباب الغسل ولا شكّ في انّ جميع أعضاء البدن تدخل في هذا العمل وقد روي عن النبيصلى الله عليه وآله قوله انه تحت كلّ شعرة موجب للجنابة ولأنّ الجسم في حالة مضاجعة مع النساء فانه يخرج كلّه من درجة الروحانيّة متجهاً إلى لذّة

١ـ من لا يحضره الفقيه: ١١٢/١، باب غسل يوم الجمعة، حديث ٢٣٢؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٣٦٣، المجلس الثامن والخمسون، حديث ٤.

دنيويّة يسيرة فانه يجب غسل البدن كلّه وهذه المهمّة الشرعيّة عمل شاق لكي يتوجّه الى عبادة حضرة الحق.

ونظراً إلى ان القلب ينعم بالعبادة أكثر من سائر أعضاء البدن فانه يتوجب غسله بتمامه وهذا يعني تطهيره من كلّ الرذائل والامور التي تحول دون وصوله الى الحقيقة واذا لم نتمكن من منعه من الأخلاق السيئة لمناه واستهزئنا به وعاتبناه وادّبناه ذلك انه من الممكن أن يلتفت إلينا المولى الرحيم والسيد الكريم ونحن في كمال الانكسار والتواضع فيفيض علينا النور المتألق.

وقد جاء في الأخبار انّ الفيض ينال القلوب المنكسرة.

ومن خلال ما سلف ذكره فاطو مدارج الرقي والكمال وحصل موجبات السعادة واجبر ما قد سلف منك من الأعمال.

يقول العارف باللّه المرحوم الحاج ميرزا جواد الملكي في «**اسرار الصلاة**» في باب الغسل: انّ الانسان من خلال غسل بدنه كلّه ينبغي أن يصل الى هذه الحقيقة وهي أن التطهير بقدر النجاسة ومن هنا يأتي تكليفه في تطهير القلب والروح والباطن من كلّ ما يبعث على تلويثه.

ويستحب في الغسل الابتداء ببسم اللّه وأن يقرأ هذا الدعاء أثناء الغسل:

«اللّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي وَاشْرَحْ لِي صَدْرِي وَأَجْرِ عَلَى لِسانِي مِدْحَتَكَ وَالثَّناءَ عَلَيْكَ اللّهُمَّ اجْعَلْهُ لِي طَهُوراً وَشِفاءً وَنُوراً إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[1].

ودقق النظر في هذا الدعاء ترى الفلسفة والحكمة من وراء الغسل فالمكلّف

١ـ مستدرك الوسائل: ٤٧٨/١، باب ٢٨، حديث ١٢٠٨.

بتوجهه الكامل الى عمل الغسل وحقيقة الغسل يتوجب عليه أن يصل الى واقع هذا العمل والانتقال من غسل البدن الى طهارة القلب وانشراح الصدر والمدح والثناء على الحق وطهارة النفس وشفائها من الأمراض الروحيّة وتنوّرها بالنور الالهي.

وبعد فراغك من الغسل قل:

«اللّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي وَزَكِّ عَمَلِي وَتَقَبَّلْ سَعْيِي وَاجْعَلْ ما عِنْدَكَ خَيْرا لِي اللّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ»[1].

وهناك أدعية أُخرى في هذا المضمار وكلّها تشير الى حقيقة طهارة القلب وشرح الصدر الذي قال عنه رسول اللّه بأنه نور يقذفه اللّه في قلب من يشاء من عباده وان شرح الصدر ثمرة ذلك وعلامة ذلك النور؛ الاعراض عن دار الغرور والاستعداد للعودة الى دار الخلود.

قال بعض أهل المعرفة: المراد من ذلك النور هو نور معرفة النفس وادراك ابن آدم حقيقة نفسه المجرّدة من الصورة والمادّة والنور الذي له حياة وعلم وهو النور الذي أشارت إليه المناجاة الشعبانيّة:

«وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ فَأَكُونَ لَكَ عارِفا»[2].

وعند ما يحصل العبد على نور معرفة النفس وُهب امكان الوصول الى معرفة الذات المقدّسة للحق.

وبهذا النور يمكنه رؤية جميع العوالم ويصبح انساناً ملكوتيّاً وبسبب غلبة

١ـ مستدرك الوسائل: ٤٧٨/١، باب ٢٨، حديث ١٢٠٨.

٢ـ الاقبال: ٦٨٧.

الروحانية عليه فانه سيدخل دار الخلود والمراد من الانابة والعودة الى دار الخلود هو هذا.

ومثلما انّ لطهارة الأعضاء والجوارح موانع في طريق الانسان تمنعه من دخول المسجد والصلاة فكذلك طهارة السرّ والباطن لها موانع في العالم المحسوس الذي هو عالم الطبيعة والعالم الظلماني حيث يقتضي رفعها لعودة الانسان الى دار الخلود التي هي دار السلام وبدخول العبد إلى تلك الدار يقترب العبد من ربّه وتحصل له المعرفة عن طريق الكشف والشهود ويرى ان ما عند اللّه خير له ممّا عنده وعند الآخرين ويجد انّ هذا العالم وهذه الدار الدنيا التي يعيش فيها ويتعلّق بها هي دار الغرور.

يقول الفيض الكاشاني:

ما أسعدني اذا مت وأنا أسير حبك صاحياً في هذا المنزل مصاص الدماء.

وأخرج من بين منام الغافلين حياً واقفاً على حجب الأسرار.

اعمل في خدمة المعشوقة ولا خمرة عندي أكن الساقي وأموت في هذا العمل.

بادر وناولني اقداح الشراب ليس صواباً أن أموت في الحانة صاحياً.

تمزق كبدي، وفؤادي تعبٌمن محنة الهجران اترضى ايها الحبيب أن أموت؟ ما الذي أفعل المحبوب لا يسفر وجهاً دعني اموت في حسرة اللقاء.

اقسام الغسل في رؤى العارفين:

يحدّد العارف المرحوم السيّد حيدر الآملي الغسل على ثلاث كيفيّات: الغسل على طريقة الذين لا يرون الاّ ظاهر قواعد الشريعة (أهل الشريعة) والغسل على طريقة أهل الادراك (أهل الطريقة) والغسل على طريقة أهل الحقيقة.

فأمّا غسل أهل الشريعة فيشتمل على الواجبات والمستحبّات والمحرّمات والمكروهات وشرح كلّ منها فيه تفصيل.

والمقصود الأصلي من الغسل هو الغسل الواجب على الانسان لايجاد الطهارة من أجل أداء الفرائض ففي مثل هذا الغسل تجب النية ثمّ القيام بالغسل حسب ترتيبه الفقهي ويبدأ بغسل الرأس ثمّ الرقبة ثمّ الجانب الأيمن ثمّ الجانب الأيسر.

وأمّا غسل أهل الطريقة فهم ينظرون الى جوانبه المعنويّة والطهارة عندهم بعد أداء غسل الظاهر من رأس ورقبة وغير ذلك هي الطهارة من الجنابة الحقيقيّة وهذه الجنابة هي نتيجة العشق الخاطئ للدنيا؛ فالدنيا في حقيقتها المرأة التي تضاجع كلّ ساعة زوجاً وهذه الدنيا لدى علي عليه السلام هي المرأة اللعوب ولهذا خاطبها علي عليه السلام قائلاً:

«قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلاثا لا رَجْعَةَ فيها»[1].

ولو لم تكن الدنيا كالمرأة أو في حكم المرأة لما خاطبها علي مولى الموحدين بهذا الخطاب!

وعلى أساس هذه الحقيقة فان كلّ من اجتمع مع الدنيا بنفسه أو روحه فان الجنب الحقيقي هو الابتعاد عن حضرته.

أجل انّ عاشق الدنيا بعيد عن اللّه لأنه لا يجتمع حب الدنيا وحب الآخرة.

قال سبحانه في الكتاب العزيز:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الأخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ﴾[2].

١ـ نهج البلاغة: حكمت ٧٧؛ غرر الحكم: ١٤٤، فى ذم الدنيا، حديث ٢٥٨٧.

٢ـ الشورى ٤٢: ٢٠.

وقال امام العارفين وسيّد العاشقين أمير المؤمنين عليه السلام:

«إنَّ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ عَدُوّانِ مُتَفاوِتانِ وَسَبيلانِ مُخْتَلِفانِ، فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنْيا وَتَوَلاّها أَبْغَضَ الآخِرَةَ وَعاداها وَهُما بِمَنْزِلَةِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَماشٍ بَيْنَهُما كُلَّما قَرُبَ مِنْ واحِدٍ بَعُدَ مِنَ الآخَرِ وَهُما بَعْدُ ضَرَّتانِ»[1].

انّ الغسل والطهارة من هذه الجنابة هو بترك الدنيا وما فيها بحيث لا تبقى من العلاقة بها قدر شعره.

الا تعلم انّ بقاء مانع قدر الشعرة من البدن يحول دون غسل في الغسل الظاهري فان الغسل ليس بصحيح وان صاحبه لم يخرج من حالة الجنابة وهكذا حكم من بقي له قدر الشعرة من التعلّق بالدنيا فانه يبقى بعيداً عن اللّه فالتعلّق هو تعلّق كثر أو قلّ فالمحجوب محجوب سواء كان الحجاب واحداً أو ألف حجاب.

ترتيب الغسل المعنوي

أمّا ترتيب هذا الغسل: فعلى السالك أن يغسل قلبه من حبّ الدنيا ومن الادران والأهواء بالماء الحقيقي النازل من بحر القدس ان حب الدنيا يوجب الوقوع في الهاوية.

انّ الهوى اذا غلب على القلب جرّ صاحبه الى عبادة الأصنام في داخله وخارجه فالأصنام في الخارج من قبيل عبادة الظالمين وعبادة المال والجاه والأصنام في الداخل من قبيل الغرائز والرغبات والشهوات كما قال تعالى:

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ﴾[2].

١ـ نهج البلاغة: حكمت ١٠٣؛ بحار الأنوار: ١٢٩/٧٠، باب ١٢٢، حديث ١٣٤.

٢ـ الفرقان ٢٥: ٤٣.

أجل انّ عاقبة عبادة الهوى الدخول الى النار كما قال تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[١].

وأهل اللّه هم أهل الحقيقة والعمل الصالح ويتمتعون بالعقل السليم الالهي وهم دائماً موصوفون بالوقار والطمأنينة.

قال سبحانه:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[٢].

أما أهل الهوى والبدع فهم موسومون بالخفة ونقصان العقل وعدم السكينة والوقار وهذه الحالات في الانسان من أخبث الخبائث وأقذر القاذورات ومن فيه هذه الحالات أكثر جنابة من الجنب.

انّ القرآن الكريم يدلّ عباداللّه على الطريق المستقيم وطريق العمل الصالح يرشدهم الى طريق الجنة.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[٣].

ويعظ اللّه سبحانه الانسان ويحثّه الى منع النفس عن الهوى ويقدّم له الطريق الذي يقوده إلى الجنّة التي هي الوطن الحقيقي للانسان والجنّة التي أرض الأطهار.

يقول الامام علي عليه السلام:

١ـ القارعة ١٠١: ٨ ـ ٩.

٢ـ القارعة ١٠١: ٦ ـ ٧.

٣ـ النازعات ٧٩: ٤٠ ـ ٤١.

«تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا»[١].

ثمّ تغسل جانبك الأيمن يعني انّ الروح نفخت في جانبه الأيمن ويعبر عن الروحانيات في الروايات باليمين كما يعبّر عنها بالآخرة والجنة.

ثمّ يغسل الجانب الأيسر حيث يعبر عن الجسمانيات والسفليات والنفسانيات أو التعبير عنها بالدنيا.

وفي هذين الغسلين يلزم وجود ماء الترك والتجريد حيث يطهّر من علقة الدنيا والآخرة ويجد الاتصال بالمولى فقط لأنّ الدنيا خاصّة بأهل الشمال والآخرة خاصّة بأهل اليمين اما اللّه فخاص بالسابقين والمقربين.

أما غسل أهل الحقيقة: فانه الطهارة من الجنابة الحقيقيّة وهي عبارة عن مشاهدة الغير (غير الحق).

وفي القسم الماضي الجنابة بمعنى البعد عن الحق وأي بعد أسوأ من مشاهدة غير الحق ولا يمكن ازالة هذا البعد الاّ بالقرب وهو قرب الى التوحيد الحقيقي الذي هو مشاهدة الحق بالبصيرة من حيث هو هو ألم نقرأ في القرآن الكريم:

﴿شَهِدَ اللّه أَنَّهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٢].

وترتيب هذا الغسل على هذا النحو:

غسل الرأس والسر الحقيقي الذي هو الروح المجرّدة بماء التوحيد الذاتي من لوث مشاهدة الغير، لأنّ عشق الحق وظيفة الباطن الذي يعبّر عنه بالنفس

١ـ نهج البلاغة: خطبه ١٦٦؛ غرر الحكم: ١٤٥، حديث ٢٦٣٣؛ بحار الأنوار: ١٣٥/١، باب ٤، حديث ٣٦.

٢ـ آل عمران ٣: ١٨.

المطمئنّة ومعرفة هذا العشق والمحبّة والتوحيد وظيفة القلب ومشاهدته وظيفة الروح كما انّ الوصول وظيفة السرّ الذي هو الباطن والروح.

وقد أشار الامام الصادق عليه السلام الى ذلك في أحد ادعيته:

«اللّهُمَّ نَوِّرْ ظَاهِرِى بِطاعَتِكَ وَبَاطِنِى بِمَحَبَّتِكَ وَقَلْبِى بِمَعْرِفَتِكَ وَرُوحِى بِمُشاهَدَتِكَ وَسِرّى بِاسْتِقْلالِ إتِّصالِ حَضْرَتِكَ».

وهذا الغسل لا يتحقّق الاّ بفناء العارف في المعروف والشاهد في المشهود والذي يعبّر عنه بالفناء في التوحيد وذلك في مشاهدة الحق من حيث هو هو يعني المشاهدة على نحو أن لا يرى الغير يعني لا يرى في الوجود سوى وجود الواحد والذات الواحدة التي هي مجرّدة من جميع الاعتبارات والتعينات والى هذا المعنى أشار القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

وقوله في آية اخرى:

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإكْرَامِ﴾[2].

والتوحيد في الحقيقة هو الصراط المستقيم الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله بالوقوف والاستقامة فيه وهو الحد الوسط الذي يدعو اليه القرآن الكريم والتوحيد اجمالي طرف التفريط وتفصيلي طرف الافراط والطهارة هنا البعد عن الجانبين جانب الافراط وجانب التفريط حيث الافراط الجانب الأيمن والتفريط الجانب الأيسر ويتوجب الخلاص منها من الافراط والتفريط والاستقرار في الوسط

١ـ القصص ٢٨: ٨٨

٢ـ الرحمن ٥٥: ٢٦ ـ ٢٧.

والتزين بالطهارة الكبرى.

الوضوء المعنوي:

الوضوء من أعظم المسائل الشرعية وأهم المسائل الالهيّة؛ الوضوء يوجب الطهارة ويوجد النورانيّة وهو مقدّمة للدخول في العبادات وعامل معنوي للياقة الانسان ووجوده في بساط القرب الالهي.

هناك ثلاثة أنواع للطهارة حيث الى جانب الوضوء يوجد نوعان آخران ولذا يجدر بالمكلّف أن يكون دائماً على وضوء وعند الوضوء وبعد التأكّد من اباحة الماء وامتلاك النية الخالصة يتوجب عليه الاهتمام ببعض المسائل لكي يوفق الانسان الى ما عبّر عنه النبي صلى الله عليه وآله بـ«اسباغ الوضوء»[1].

آداب الوضوء:

جاء في الرسائل العملية انه يستحب لمن يريد الوضوء أن يقول أثناء النظر إلى الماء:

«بِسْمِ اللّه وباللّه وَالْحَمْدُ للّه الَّذى جَعَلَ الْماءَ طَهُورا وَلَمْ يَجْعَلْهُ نَجِسا».

وقبل أن يبدأ الوضوء بغسل اليدين يقول:

«اللّهُمَّ اجْعَلنى مِنَ التَّوّابينَ واجْعَلنى مِنَ المُتطهّرينَ».

ويقول أثناء المضمضة:

«اللّهُمَّ لَقِّنى حُجَّتى يَومَ القاكَ واَطْلِقْ لِسانى بِذِكْرِكَ».

ويقول عند استنشاق الماء:

«اللّهُمَّ لا تُحَرِّمْ علىَّ رِيحَ الجَنَّةِ واجْعَلنى مِمَّنْ يَشُمُّ ريحَها وَرَوْحَها وَطِيبَهَا».

١ـ الاسباغ: اتمام الوضوء الكامل والجامع.

ويقول عند غسل الوجه:

«اللّهُمَّ بَيّضْ وجْهى يَومَ تَسْوَدُّ فِيهِ الوُجُوهُ ولا تُسَوِّدْ وجْهى يومَ تَبْيَضُّ فِيهِ الوُجُوهُ».

وعند غسل اليد اليمنى:

«اللّهُمَّ اَعْطِنى كِتابى بِيَمينى والخُلْدَ فى الجِنانِ بِيَسارى وحاسِبْنى حِسابا يَسيرا».

ويقول عند غسل اليد اليسرى:

«اللّهُمَّ لا تُعْطِنى كِتابى بِشِمالى ولا مِنْ وَرآء ظَهرى ولا تَجْعَلْها مَغْلُولةً اِلى عُنُقى وَاَعُوذُ بِكَ مِنْ مُقَطَّعاتِ النّيرانِ».

وعند المسح على الرأس يقول:

«اللّهُمَّ غَشِّنى بِرَحْمَتِكَ وبَرَكاتِكَ وعَفْوِكَ».

ويقول عند المسح على ظاهر القدمين:

«اللّهُمّ ثَبِّتْنى عَلى الصِّراطِ يَومَ تَزِلُّ فيهِ الأقدامُ واجْعَلْ سَعْيى فيما يُرضِيكَ عَنّى يا ذا الجلالِ والإكرامِ»[1].

أسرار الوضوء:

يقول الحاج السبزواري في «**اسرار الحكم**» في باب أسرار الوضوء:

اغسل قلبك من لوث الدنيا ولوث الأخلاق الرذيلة.

لتحصل لدى الحبيب على الجداره وتفطن الى ان تطهير الجوارح لازم للقلب

١ـ من لا يحضره الفقيه: ٤١/١، باب صفة وضوء، حديث ٨٤؛ ثواب الاعمال: ١٦.

في حضوره عند السلطان واذن التطهير سيكون مجنّاً وانه أقبح شيء أن يحضر كبير الى حضرة سلطان عظيم في حين ان خدم السلطان وحشمه انظف منه وأطهر وهو ملوّث!!

والتفت أيضاً الى انه من كان القشر الأقرب الذي هو البدن والقشر الأبعد الذي هو الثوب واجب التطهير فان اللب الذي هو القلب سيكون الأوجب في التطهير من الهواجس والوساوس.

يقول الامام علي عليه السلام في هذا الموضوع انه كيف ترضى ان تدنس دينك بكل رجس وتحفظ لباس دنياك نظيفاً؟!

ومن المعلوم ان محل الايمان هو القلب والفؤاد.

جاء في الحديث:

«إنَّ اللّه لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَلا أموالُكُمْ وَلكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ ونِيَاتِكُمْ»[1].

سرّ المضمضة والاستنشاق:

المضمضة تذوق حلاوة ذكره والاستنشاق استشمام شذى وعبير نسيم حديقته.

وقد جاء في الحديث:

«إنَّ للّه فى أيّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحاتٌ ألا فَتَرصَّدُوا لَها»[2].

الأنف الذي يشم ذلك الشذى والعبير

١ـ جامع الأخبار: ١٠٠، الفصل السادس والخمسون فى الإخلاص؛ بحار الأنوار: ٢٤٨/٦٧، باب ٥٤، حديث ٢١.

٢ـ عوالى اللآلى: ٢٩٦/١، الفصل العاشر، حديث ١٩٥؛ بحار الأنوار: ١٦٨/٧٤، باب ٧، حديث ٢.

ويأخذ به الى الدرب[١]

وكما تنسد الانوف الصورية تنسد كذلك الانوف المعنويّة واعلم انه كما ان القالب ظاهر وصور جميع حواسه الخمس فيه واضحة وانه يتوجب غسلها عند الحضور في محضر نور النور تعالى الذي الاهتمام بالغير كذلك القلب وجه يكون مقاطعاً حروفاً وكلمات تعرب عما في الضمير بمقاطع ومخارج تؤدي القبول وحروف فوق معاني القلب وزينة للمقاطع والمقاطع منابع الحياة الجارية وهي حروف وكلمات على وجه منازل ثمانية وعشرين منزل للقمر النفس المكرمة لبني آدم حيث مادة الحروف:﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾[٢].

وللكلمة من الكلم أي الجرح والتأثير ومظهر القدرة وهي في امور السياسة والافادة والاستفادة في كشف الضمائر بهذه الثمانية والعشرين حرفاً والتركيب منها بل هي في الفرس مستحدثة تبلغ اثنين وثلاثين حرفاً.

واذن يجب غسل المقاطع التي فوق القلب ومؤدية الحروف من ذكر غيره.

* * *

وكذلك الانف أيضاً بالاستنشاق سواء الانف الذي هو كالفم مجرى الهواء حيث مادة النفس التي هي نفس تحمل الحروف اللفظية أو الموجود المنسبط الذي هو نفس الرحمن وحامل الحروف التكوينيّة التي هي عقول كلية غير مستقلة علوية وحاملة كلمات اسمية التي هي نفوس وحاملة كلمات فعلية الكائنات المتجددة الزمانية وبعد ذلك اغسل يدك اليمنى واليسرى من التصرّف

١ـ المولوي.

٢ـ يس ٣٦: ٣٩.

في الدنيا بل ان أهل اللّه وطلاب القرب المحض يغسلون اليدين كلتيهما من مطلوبات أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

سرّ مسح الرأس:

مسح الرأس اشارة الى أن ترطيب الرأس والدماغ وجعله غضاً في طلب الحبيب والمسح على القدم لطلب الاستقامة في طي الطريق لأنّ التلوّث مرفوض والاستقامةوالتمكين مقبول وفي كلّ مقام اخطار والحال والملكة والاستقامة هو القول في المسح على القدم: «**اللّهُمَّ ثَبِّتْ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّراطِ**».

وترطيب القدم بالمسح اشارة الى طلب اللين والسرعة في طي طريق الحبيب لأن الليونة في الأعضاء توجب السهولة في الحركة والارسال والانثناء فـ «**الْمُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ**[1] **وَالْمُؤْمِنُ لَيِّنُ الْعَريكَةِ**»[2].

وغسل اليد اليمنى الى المرفق فهو آلة الرفق والمداراة اشارة الى الوسطية في شؤون الدنيا وكف اليد بالمرّة عن امور الدنيا فالضرر ليس جيداً.

اسرار أُخرى في الوضوء:

يقول السيّد حيدر الآملي بعد بيانه الوضوء طبق المسائل الشرعية والفقهية انّ الوضوء عند أهل الطريقة بعد الوضوء الفقهي عبارة عن تطهير النفس من الرذائل الأخلاقيّة ومن الانحطاط وتطهير العقل من الأفكار المهلكة ومن كلّ ما يبعث على الضلال وهو أيضاً عبارة عن تطهير السرّ والباطن من النظر الى الأغيار

١ـ الكافي: ٢٣٤/٢، باب المؤمن وعلاماته، حديث ١٤؛ بحار الأنوار: ٣٥٥/٦٤، باب ١٤، حديث ٥٨.

٢ـ غرر الحكم: ٨٩، الفصل السابع في المؤمن صفاته، حديث ١٥١٦.

وتطهير جميع الأعضاء من الأعمال السيئة عقلاً وشرعاً.

أمّا أفعال هذا الوضوء:

في المرحلة الاولى يجب على المكلّف أن ينوي بقلبه وسرّه في الآ يفعل فعلاً أو يقوم بعمل مخالف لرضا الحبيب وأن تكون عباداته كلّها خالصة له كما ورد في القرآن الكريم:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للّه رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[1].

سرّ غسل الوجه:

ثمّ يغسل قلبه من كلّ ما لوّثه من تعلّقات الدنيا حيث الدنيا جيفة وطالبها كلب والطالب والمطلوب نجس ولهذا جاء في الحديث عن الصادق عليه السلام:

«حُبُّ الدُّنْيا رَأْسُ كُلِّ خَطيئَةٍ»[2].

وقال الامام علي عليه السلام:

«يا دُنْيا... غُرّى غَيْرى لا حاجة لى فيك قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلاثا لا رَجْعَةَ فيها»[3].

سرّ غسل اليدين:

وغسل اليدين لأن اليد من نقود الدنيا والجنس المربوط بالدنيا والآخرة ولا

١ـ الانعام ٦: ١٦٢ ـ ١٦٣.

٢ـ وسائل الشيعة: ٩/١٦، باب ٦١، حديث ٤.

٣ـ نهج البلاغة، حكمة ٧٧.

تطهر اليدان الاّ على هذا النحو.

ومعنى غسل اليد عن الدنيا والجنس والنقد هو الفراق المحض عن حرام الدنيا والاكتفاء بالضرورة ومعنى غسل اليد عن الآخرة وهو قطع الطمع عن نعيمها حيث العبد الحقيقي لا يفكّر بشيء الاّ برضا الحبيب.

يقول نظام وفا:

استفتحت باسمك دفتر الفؤاد.

لنقيم محفلنا بنور الحب.

ومن دموع العين ففي كلّ فصل يمكن أن تكون لدينا حديقة.

استعذ من بريق نظراته انها تحرق البيدر وتذري المحصول ادراج الريح.

لم يبق الاّ هواك منقوشاً في فؤادي فلقد محوت كلّ الأباطيل.

يا نظام يبلغ شاطئ البحر من وضع قدميه فوق الأمواج التي تحول.

سرّ مسح الرأس:

ومسح الرأس في الحقيقة مسح الرأس الحقيقي الذي يعبّر عنه بالعقل أو النفس وعند ما يتم المسح الحقيقي عن حب الدنيا والمال والجاه فلن يبقى في البساط شيء.

سرّ مسح القدم:

والمسح على القدمين يعني منعهما عن الحركة في طريق غير اللّه ظاهراً وباطناً طبعاً المراد من قدمي الظاهر معلوم وواضح والمراد من قدمي الباطن فهو في رأي البعض عبارة عن القوّة النظريّة والقوّة العمليّة وفي رأي بعض آخر عبارة عن قوّة الشهوة وقوّة الغضب.

أجل عند ما تتوضّأ الوضوء الفقهي وضممت له هذا الوضوء تصبح مصداق تلك الرواية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله:

«الْوُضُوءُ عَلَى الْوُضُوءِ نُورٌ عَلى نُورٍ»[١].

يعني عند ما يجتمع صفاء الظاهر مع صفاء الباطن فانه يكون نور على نور وبعبارة أُخرى انه عند ما يحصل نور الشريعة من الوضوء الفقهي ونور البصيرة الذي يحصل من التوحيد والتوجه والعمل الخالص فانه يكون نور على نور وسبباً للثبات واستقامة السالك في الطريق المستقيم للدنيا والآخرة كما ورد ذلك في القرآن الكريم:

﴿يُثَبِّتُ اللّه الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ﴾[٢].

بيان أسرار أُخرى:

أمّا الوضوء لدى أهل الحقيقة والذي يعبّر عنه على نحو مطلق بالطهارة فهو عبارة عن طهارة السر عن مشاهدة الغير.

والنية في ذلك ان السالك ينوي في سرّه ألاّ غيره الى الأبد ولا يتوجّه إلى غيره؛ لأن كلّ من يتوجّه في باطنه إلى غيره فهو مشرك بالشرك الخفي والمشرك كما ورد في القرآن الكريم نجس والطهارة التي هي عبارة عن تحقّق التوحيد الحقيقي لا تتيسّر الاّ بهذه النيّة والعمل بها والتوحيد بكلّ قوته يدفع ويرفع

١ـ من لا يحضره الفقيه: ٤١/١، باب صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله، حديث ٨٢؛ وسائل الشيعة: ٣٧٧/١، باب ٨، حديث ٩٩٧.

٢ـ ابراهيم ١٤: ٢٧.

الشرك في وجوده من جميع نواهيه امّا غسل الوجه في الحقيقة فهو غسل الوجه الحقيقي للوجود يعني سرّ الباطن من لوث التوجّه الى الغير.

وكذا عدم مشاهدة غير وجهه الكريم.

يقول القرآن:

﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه﴾[١].

ولا يعرف غير ذاته المحيطة الذات التي أشار اليها القرآن في قوله تعالى:

﴿أَلاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾[٢].

وهذا هو التوحيد الذي جرى على لسان ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى:

﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

وغسل اليدين عبارة عن عدم الاهتمام بمتاع الدنيا والآخرة ومتاع الدنيا من قبيل المال والجاه والأهل والولد ومتاع الآخرة مثل العلم والزهد والطاعة طبعاً الاهتمام المقصود الذي يبعد العبد عن مولاه.

ذلك انّ الالتفات الى الطاعة واعتبار نفسه مستحقاً للتعظيم عند أهل اللّه معصية وقد جاء في الروايات انّ الذنب الذي يؤلمك أفضل من العبادة التي تدخل العجب في نفسك؛ ولو كانت لك توبة بعد المعصية كان لك أفضل الأعمال والدنيا حرام على أهل الآخرة والآخرة حرام على أهل الدنيا والدنيا والآخرة على أهل اللّه[٤].

١ـ البقرة ٢: ١١٥.

٢ـ فصلت ٤١: ٥٤.

٣ـ الانعام ٦: ٧٩.

٤ـ عوالى اللآلى: ١١٩/٤، الجملة الثانية فى الاحاديث المتعلقة، حديث ١٩٠.

ومسح الرأس عبارة عن تنزيه السر وتقديس الباطن من الانانية وحدث الغيرية، الغيرية التي تحجز بين الانسان والمحبوب.

كما جاء عن بعض العارفين:

«بَيْنى وَبَيْنَكَ إِنّيى يُنازِعُنى فَارْفَعْ بِلُطْفِكَ إِنّيى مِنَ الْبَيْنِ»[١]

وقد قيل:

«وُجُودُكَ ذَنْبٌ لا يُقاسُ بِهِ ذَنْبٌ»[٢].

وبهذه التلوّثات وخاصّة لوث الانيّة أو الانانيّة فلا وجود لطريق الى حرم عالم القدس.

ومسح القدمين عبارة عن تنزيه القوّة العمليّة والقوّة العمليّة عن السير في غير الطريق الى اللّه وباللّه وفي اللّه حيث يسعى الانسان بهاتين القوتين في طلب الحق وبهما يصلْ الى مقام وصل المحبوب فاذا تعرّض للتلوّث فكيف ينهض الى الطلب وكيف يصل الى مقام الوصل؟ وبرؤية التحقيق عليه القول:﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾[٣].

وهذه اشارة الى القوتين بمعنى انه أفرغ من هاتين القوتين عند ما وصلت بواسطتها الينا ذلك انه بوصولك الى مقام الوصل فلا حاجة لأن تتوجه الى الغير وفي حالة التوجه الى الغير دون حاجة لذلك فهذا عين الشرك!!

ولدى البعض انّ المراد من النعلين الدنيا والآخرة ولدى البعض الآخر عالم الظاهر وعالم الباطن ولدى آخرين النفس والبدن وكلّ هذه النظريات صحيحة

١ـ شرح الاسماء الحسنى: ٣/١؛ ١٤/٢، شعر از محى الدين.

٢ـ شرح الاسماء الحسنى: ٣/١؛ ١٤/٢ و٥٩.

٣ـ طه ٢٠: ١٢.

دون شك لأنّها جميعاً تعبر عن مراحل التقرّب كما ورد في الحديث القدسي:

«لا يَزالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ وَالْعِباداتِ حَتّى أُحِبَّهُ فَإِذا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذى يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذى يَبْصُرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتى يَبْطشُ بِها وَرِجْلَهُ الَّتى يمشى بها»[1]؛

يقول العارف المؤمن علاء الدولة السمناني:

الذي لا يبتلى بعشقه سيكون نديمه الندم.

ومن لا يعالج همّه فوجوده والعدم سواء.

والفؤاد الذي ينطوي على سرّه يكون مكاناً للسرور لا للحزن.

لقد أضاء العالم بنور وجهه ولا بأس اذا لم يره الابله.

حجابك هذا لوجود الموهوم ولا يجتمع النور والظلام أبداً.

---

١ ـ عوالى اللآلى: ١٠٣/٤.

«فَكَما أَنَّ رَحْمَتَهُ تُطَهِّرُ ذُنُوبَ الْعِبادِ كَذلِكَ نجاساتُ الظَّاهِرِ يُطَهِّرُهَا الْماءُ لا غَيْرُ. قالَ اللّه تَعالى:﴿وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّماء مَاءً طَهُوراً﴾[1]﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَىْء حَىٍّ﴾[2]. فَكَما أَحْيا بِهِ كُلَّ شَىْءٍ مِنْ نَعيمِ الدُّنْيا كَذلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ جَعَلَهُ حَياةَ الْقُلُوبِ»

وكما جعل اللّه الماء حياة لكلّ شيء في الدنيا كذلك جعله حياة للقلوب بفضله ورحمته سبحانه.

أوصاف الماء:

يقول الحكيم الكبير الملا عبدالرزاق اللاهيجي في شرح هذا المقطع:

وفكر في خلق الماء الذي خلقه الحكيم على الاطلاق بحكمته وجعله موصوفاً بالصفات ولكلّ صفة فائدة عظيمة.

الاولى: صفاؤه ولو خلقه اللّه قذراً لتنفرت منه الطباع ولما كان أهلاً لحياة القلب الذي هو جوهر لطيف للتناسب بين السبب والمسبب.

١ـ الفرقان ٢٥: ٤٨.

٢ـ الانبياء ٢١: ٣٠.

الثانية: رقته ولو كان غليظ القوام كالعسل لما أمكن تطهير الأشياء به وخاصّة اللزجة ولاحتاج الماء الى ماء آخر، كما ان الغلظة تحول دون نفوذه في الأجسام الجافّة مع الحاجة لنفوذه ولما أمكن نقله بل ولعسر لاستعمال ذلك.

الثالثة: وفرته ولو صعب الحصول عليه والعياذ باللّه مع حاجة عموم الخلائق له لشق ذلك على الفقراء والأغنياء.

الرابعة: نظافته ولو لم يكن في أصل خلقته طاهراً لما أمكن تطهير النجاسات به ولم تترتب على وجوده كلّ هذه الفوائد.

«وَتَفَكَّرْ فى صَفاءِ الْماءِ وَرِقَّتِهِ وَطَهُورَتِهِ وَبَرَكَتِهِ وَلَطيفِ امْتِزاجِهِ بِكُلِّ شَىءٍ وَفى كُلِّ شَىءٍ»

أجل ينبغي للمرء أن يفكّر في مواصفات الماء من صفاء ورقة ونظافة وطهر ولطافة في امتزاجه بالأشياء.

والتأمّل في هذه النعمة له من التأثير العميق في صفاء الباطن ورقة القلب وامتزاج الانسان مع غيره من المؤمنين والا بعد من كلّ ذلك انه ينبغي له أن يعمل عمل الماء في التطهير فيكون عاملاً من عوامل اشاعة الطهر في المجتمع من خلال تطهير نفسه والتأثير على الآخرين في هذا الاتجاه فعلى المؤمن أن يكون مواطناً صالحاً وان يعمل على اصلاح المجتمع من خلال ترشيد حركة وسلوك الآخرين.

يقول المولوي:

وقال الماء للنجس هيّا لتمخر في...

فقال النجس أنا خجل من الماء

فقال وكيف للخجل ان ينزاح عنك بدوني... وكيف يزول؟

كل نجس يخفى عن الماء كالحياء يمنع الايمان يصبح

والفؤاد الذي يتلطخ بوحل الجسد جسد خاو من الفؤاد

وانآى بحوض القلوب عن حوض الاجساد واحذر

واضرب بحر الجسد ببحر القلب ليمتزجا

فاذا بين البحرين برزخ لا يبغيان

«وَاسْتَعْمِلْهُ فى تَطْهيرِ الأَعْضاء الَّتى أَمَرَكَ اللّه بِتَطْهيرِهَا وَأْتِ بِأَدائِها فَرائِضَهُ وَسُنَنَهُ فَإِنَّ تَحْتَ كُلِّ واحِدٍ مِنْها فَوائِدَ كَثيرَةً إِذا اسْتَعْمَلْتَها بِالْحُرْمَةِ انْفَجَرَتْ لَكَ عَيْنُ فَوائِدِهِ عَنْ قَريبٍ»

ويتضمن هذا هذا المقطع دعوة الى تطهير الأعضاء التي أمر اللّه بتطهيرها وأداء الفرائض بها ففي كلّ صفت من صفات الماء فوائد جمّة كثيرة ومن خلال التأمّل ومن خلال صفاء القلب الذي يتلقى الاشراق والوعي سوف تتفجر ينابيع هذه الفوائد وتظهر للانسان.

«ثُمَّ عاشِرْ خَلْقَ اللّه كَامْتِزاجِ الْماءِ بِالأَشْياءِ يُؤَدّى كُلَّ شَيْءٍ حَقَّهُ وَلا يَتَغَيَّرْ عَنْ مَعْناهُ مُعْتَبِرا لِقَوْلِ رَسُولِ اللّهﷺ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الْخالِصِ كَمَثَلِ الْماءِ»

فوائد الماء لأهل البصيرة:

وفي هذا المقطع اشارة الى بعض الفوائد التي تظهر لأهل البصيرة من جوهر الماء؛ حيث يذكر الامام ظاهرة امتزاج الماء بالأشياء وهو امتزاج يدخل في عمق الأشياء من دون أن يتغير جوهره ومعناه والانسان السالك ينبغي أن يكون مثل الماء حيث ينفذ في أعماق المجتمع الذي يعيش فيه من دون أن يحصل تغيير في جوهره الانساني كما ان اختلاطه بالناس يكون على قدر قابلياتهم فاختلاط الماء بالطين يختلف عن اختلاطه بالصخور وهكذا اختلاط الانسان المؤمن صاحب البصيرة بالناس فهو مع المؤمنين امتزاج كامل قلباً وقالباً ومع غيرهم اختلاط ظاهري الى أن ينفذ في أعماقهم ويغير من باطنهم.

والخلاصة ان الانسان المؤمن كالماء الخالص في ذاته طاهر ولغيره مطهر والى هذا أشار الامام في ذكره الحديث النبوي الشريف مثل المؤمن الخالص كمثل الماء، فهو يغير الناس ويطهرهم ويقودهم الى ما فيه خير الدنيا والآخرة.

ان اللّه سبحانه خلق الانسان طاهراً بآية الفطرة وحمّله مسؤولية الحفاظ على طهره ونقائه في ظل التوحيد والعمل بتعاليم الخالق سبحانه وأن يعمل على تطهير

الآخرين أيضاً والويل لمن يحشر يوم القيامة في حضرة المحبوب وقد نجّس نفسه ولوّث غيره!!

ان التنجس والتنجيس لا يتناسب مع شأن الانسان الذي هو خليفة اللّه في الأرض وعليه أن ينصهر في بوتقة الطهارة وعليه أن يقوم بتطهير غيره من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن يترك وراءه اثراً طيباً وذكراً عطراً من خلال تربية الناس وتزكيتهم.

يقوال الشاعر عباس شهري:

سمعت حكاية عن رجل حلّ في بيت سقراط وقال.

ايها الفطن ما هذا البيت الذي تسكن فيه ضيق ومظلم.

أي بيت هذا ايها الحكيم انه أضيق من عين اللئيم.

قال سقراط لا تنظر الى البيت ان البيت ان كان ضيقاً فليس بعيب.

ان ظلام البيت فيّ أنا غير انّ قلبي وله الحمد مضيء.

ومع كلّ ذلك هذا البيت قبة من تراب مليئة بالعجزة خالية من الاخوان.

فابحث عما يبقي لك الأثر في الزمان والدهر.

ليس فناً امتلاك الذهب والفضة بل بناء الصرح يبقى أثره.

وسلطان الملوك والسلاطين ذوي الاقتدار.

يبقى مجرّد أيام لكن حكمة سقراط ومجده باقى ما بقي الفلك الدوار.

«وَلْتَكُنْ صَفْوَتُكَ مَعَ اللّه تَعالى فى جَميعِ طاعاتِكَ كَصَفْوَةِ الْماءِ حينَ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّماءِ. وَطَهِّرْ قَلْبَكَ بِالتَّقْوى وَالْيَقينِ عِنْدَ طَهارَةِ جَوارِحِكَ بِالْماءِ»

ولتكن حالة الصفاء في أعماقك مع اللّه تعالى كصفاء الماء وهو ينزل من علياء السماء ولتطهير قلبك بالتقوى واليقين وأنت تقوم بتطهير جسمك بالماء.

ان طاعة الانسان لربه وقيامه بالعمل الصالح يجب أن يكون خالصاً صافياً لأنّ اللّه سبحانه لا يقبل العمل المغشوش والعبادة المشوبة بما ينكر صفاءها.

وقد جاء في الأثر انه يقال المرائي يوم القيامة خذ أجر عملك ممّن عملت له.

وكما ان الانسان يدخل الحمام فيطهر بدنه وينظف جسمه من الوسخ والدرن ويرتدي ثياباً نظيفة ويغسل ثيابه الوسخة كذلك عليه أن يقوم بتطهير قلبه ممّا علق به من الشوائب وتصفية نفسه ممّا نفذ اليها من اللوث.

نسأله تعالى أن يوفقنا الى العمل بما وصل الينا من معارف الامام والاّ نتوقف عند حدود العلم بها.

ان الذين يتعلمون من أجل أن يقوموا بتعليم الآخرين ما تعلموه وينقلوا اليهم ما قرأوه هم في واقع الأمر بؤساء مساكين انهم في الحقيقة حمّالون فقط ربما

كانوا يحملون كنوزاً لغيرهم لكنهم بؤساء لأنهم لا ينعمون بما كانوا يعملون لأنهم لا يعملون بما كانوا يعلمون.

قالَ الْخِضرُ لِمُوسى صلى الله عليه وآله: «يا مُوسى تَعَلَّمِ الْعِلْمَ لِتَعْمَلَ بِهِ ولا تُعَلِّمْهُ لِتُعَلِّمَهُ فَيَكُونُ عَلَيْكَ بُورُهُ وَلِغَيْرِكَ نُورُهُ ثُمَّ تُوارِى الْخِضْرُ وَبَقِىَ مُوسى يَبْكي»[1].

١ـ مخلاة: ٥.

الباب

(١١)

في آداب الخروج

من المنزل

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إذا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَاخْرُجْ خُرُوجَ مَنْ لا يَعُودُ، وَلا يَكُنْ خُرُوجُكَ إلاّ بِطاعَةٍ أَوْ في سَبَبٍ مِنْ أَسْبابِ الدّينِ.

وَأَلْزِمِ السَّكينَةَ وَالْوِقارَ وَاذْكُرِ اللّه سِرّا وَجَهْرا، سَأَلَ بَعْضُ أَصْحابِ أَبي الدَّرْداءِ أَهْلَ دارِهِ عَنْهُ فَقالَتْ: خَرَجَ، فَقالَ: مَتى يَعُودُ؟ قالَتْ مَتى يَرْجِعُ مَنْ رُوحُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ؟! وَلا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعا وَلا ضَرّا؟!

وَاعْتَبِرْ بِخَلْقِ اللّه تَعالى بَرّهِمْ وَفاجِرِهِمْ أَيْنَما مَضَيْتَ وَاسْئَلِ اللّه تَعالى أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ خاصِّ عِبادِهِ وَأَنْ يَلْحَقَكَ بِالْماضينَ مِنْهُمْ وَيَحْشُرَكَ في زُمْرَتِهِمْ وَاحْمَدْهُ وَاشْكُرْهُ عَلى ما عَصَمَكَ عَنِ الشَّهَواتِ وَجَنَّبَكَ عَنْ قُبْحِ أَفْعالِ الْمُجْرِمينَ. وَغُضَّ بَصَرَكَ عَنِ الشَّهَواتِ وَمَواضِعِ النَّهْيِ « وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ [1] » وَراقِبِ اللّه في كُلِّ خُطْوَةٍ كَأَنَّكَ عَلَى الصِّراطِ جائِزٌ وَلا تَكُنْ لَفّاتا وَافْشِ السَّلامَ لِأَهْلِهِ مُبْتَدِئا وَمُجيبا وَأَعِنْ مَنِ اسْتَعانَ بِكَ في حَقٍّ وَارْشِدِ الضّالَّ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلينَ.

وَإِذا رَجَعْتَ وَدَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَادْخُلْ دُخُولَ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ حَيْثُ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إلاّ رَحْمَةُ اللّه تَعالى وَعَفْوُهُ.

١ـ هذه الجملة غير موجودة في نسخة عبدالرزاق اللاهيجي.

«قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إِذا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَاخْرُجْ خُرُوجَ مَنْ لا يَعُودُ»

الخروج من المنزل من دون أمل في العودة:

ويعظ الامام الصادق الانسان حين خروجه من المنزل في ان يفكر لحظة انه قد لا يعود مرّة اخرى، وهذه المسألة في الواقع ظاهرة يجب أن يفكّر فيها المرء، هناك آلاف الناس الذين عند ما غادروا منازلهم كانت اذهانهم تموج بالخطط التجارية والأحلام الوردية لكنهم لم يعودوا أبداً الى بيوتهم.

آلاف السياسيّين غادروا منازلهم في الصباح وفي أذهانهم خطط وبرامج لكنهم لم يعودوا، كم عريس غادر منزله مع عروسه والأحلام الورديّة تداعب خيالاته لكنه لم يعد الى عش الزواج؟ كم هم العلماء أيضاً التحقوا بهذه القافلة الطويلة التي لها أول ولكن ليس لها آخر.

فكر ايها الانسان فقد تكون أنت الآخر قد غادرت منزلك ولعلك تضمر في أعماقك أشياءً تريد القيام بها بعد أن تعود ولكن...

هل تعرف ساعة موتك؟ هل تعلم متى يحين أجلك؟ هل ضمن لك أحد العودة عند ما خرجت من منزلك صباح هذا اليوم؟

وما تدري نفس ما ذا تكسب غداً وما تدري بأي أرض تموت؟!

ذات صباح غادر عمرو بن الليث الصفار عاصمة حكمه وهو يقود عشرات

الالوف من جنوده لاخضاع الدولة السامانية بقيادة الأمير اسماعيل الساماني وقبل أن تبدأ المعركة اذا بفرس عمرو بن الليث الصفار تجمح به وتلقيه بالقرب من معسكر عدوه الذي أوثقه كتافاً وقاده أسيراً الى الأمير اسماعيل.

طلب الأمير من جنوده أن يفردوا للقائد الأسير خيمة وعند ما حان وقت الغداء جاءوا له بدلو مليء بالحساء الساخن ووضعوه أمامه كان البخار ما يزال يتصاعد من الدلو.

وفي الاثناء دخل كلب ومدّه بوزه داخل الدلو فلما أحس بسخونة الطعام، رفع رأسه فعلق الدلو في رقبته وفرّ هارباً من الخيمة؛ فانفجر الأسير ضاحكاً بمرارة، سأله السجان عن سرّ ضحكته هذه؟! فقال بالأمس اشتكى رئيس الطباخين من قلّة الدواب التي تحمل الطعام فأمرت أن تضاف الى مراكبه مئة بعير ليله أمس عجز مئتا بعير عن حمل وسائل الطبخ والطعام وهذه الليلة سلبني كلب طعامي.

وكان الأمير الأسير قد لبث مدّة في الحبس ثمّ قتل؛ لكنه كان عند ما غادر قصره كانت أحلام النصر تتراءى أمامه وأماني المجد تداعب خياله سوف يعود الى قصره وعاصمة ملكه مكلّلاً بأكاليل الفتح والظفر لكنه لم يعد الى الأبد!!

يقول فروغ الدين الاصفهاني:

انظر الى فلك الزمان ودولاب الدهر.

لا تغترّ بهدوء السحر، غافلاً عن الغارة.

الدنيا متاع وملعب الأطفال فابصق على هكذا متاع وعلى المفتون به.

لو فكر الانسان انه عند ما يغادر منزله فانه في الواقع سيذهب الى سفر لا عودة فيه فانه سوف يستعد لذلك السفر الطويل الذي لا عودة فيه وذلك بكتابة

وصيته وتحصيل براءة الذمة من حقوق اللّه وحقوق الناس، ذلك ان احتمال الموت وارد في كل نفس يتنفسه وعلى الانسان أن يتطهر من كلّ ما بذمته ممّا هو للّه وللناس وحينئذٍ اذا أدركه الأجل فلن يشعر بالندم والحسرة على ما فرّط في جنب اللّه وعلى ما بدر منه من اساءة إلى الآخرين.

ان ملكيتنا للأشياء من منزل وغيره انما هي ملكية اعتباريّة فلا تلوّث نفسك ايها الانسان من أجل ملك اعتباري ان البيت الذي تمتلكه الآن كان في أيدي الآخرين وكانوا هم أيضاً يقبضون على ما كانوا يملكون بقوّة ثمّ جاء الأجل فارتخت قبضاتهم وتسربت املاكهم من بين اصابعهم وعمّا قريب سوف ترتخي قبضتك عما تملك وتخرج من الدنيا لا تحمل معك سوى كفن.

ينبغي على الانسان أن يستخدم كلّ بحوزته من نعم في عبادة اللّه سبحانه فكل ما لدينا الآن انما هو أمانة.

فانفق من عمرك ومالك على ما هو لازم وضروري ولا تسرف ان اللّه لا يحب المسرفين.

طوبى لمن جعل من بيته والزقاق الذي يمرّ فيه والسوق الذي يرتاده والشارع الذي يمشي فيه وكلّ مكان يتواجد فيه مسجداً ومحلاً لذكر اللّه تبارك وتعالى فهو في ارتباط دائم باللّه في كلّ ما يقوم به من عمل وكلّ ما يلفظ به من قول.

وما أشقى الانسان الذي يجعل من بيته والمكان الذي يتواجد فيه محلاً لمعصية اللّه ومركزاً للفساد والافساد ان كلّ نقطة من نقاط الأرض التي يتواجد فيها تبغضهم وتكاد تميّز من الغيظ ازاء ما يفعلون وما يفسدون وعما قليل سيصبحن نادمين!!

انّ الانسان مسؤول أمام اللّه عن كلّ ما يملك والذي وضع تحت تصرّفه للامتحان والاختبار.

فالبيت الذي يسكنه المرء يجب أن ينعم في ظلاله الأطفال في حياة مفعمة بالفضيلة ودفء الحياة الانسانيّة.

اسع الى أن يخرج من بيتك أبناء صالحون طيبون يحبون الناس حتّى يحبهم اللّه والناس.

اجعل من بيتك مسجداً يذكر فيه اسم اللّه كثيراً وتطوف في فضائه آيات القرآن ومنطلقاً للمناجاة حينئذٍ تغمره الملائكة بالسلام.

ان الذين يمارسون الرذيلة في بيوتهم والذين تنكروا لفطرتهم وانسانيتهم سوف تصاعد من تلك البيوت أنات تسمعها الآذان الوداعية ولسان حالها يقول: الهنا وربنا اننا من نعمك التي أنعمت بها على عبادك فاشهد على أنّ أهل هذه المنازل وسكانها بما يرتكبون من عصيانك.

وقد ورد في الأثر ان البيوت التي تتلى فيها آيات القرآن ويذكر فيها اسم اللّه تشع لأهل السماء كالنجوم التي تومض لأهل الأرض؛ فانهض في كلّ ليلة وأنت ترى أهل بيتك قد ناموا وتوضأ لتعبد ربك ولو ساعة واحدة تناجي فيها الحبيب، سوف يرق قلبك وتدمع عيناك وثق ان روحك سوف تستحم في هذه الدموع فتعود طاهرة بيضاء، وسوف يستحيل البيت الذي تسكن فيه الى نجم متألق يومض لأهل السماء بالنور وفي يوم القيامة سيشهد لك.

انك عند ما تغادر منزلك وتنظر الى كلّ ما حولك على انه وسيلة وامانة وانها عمّا قريب ستخرج من يديك فان ذلك سيترك آثاراً طيبة في نفسك وسوف يخفض من تعلّق قلبك بالدنيا ويزهدك فيها وسيتراجع حب الدنيا في قلبك ليضيء مكانه حب اللّه وحده.

وسوف تستحيل روحك الى فراشة تطوف حول شموع الحب الالهي.

سوف تكتشف الحقيقة ما أنت الاّ فقير بائس في حضرة الغني المطلق وحينئذٍ سوف تصل الى مقام من القرب الالهي يعجز عن الوصول اليه الملائكة المقرّبون.

في قلنسوة (قبعة) الفقير ثلاثة أشياء للترك، ترك الدنيا وترك العقبى وترك الترك، هذه القبعة للذي لا رأس له ايها الفتى كيف اعطيكها وأنت تباهي براسك؟! الشعر والعرش والشرع لها منشأ واحد والعالمين يتزينان لهذه الكلمات الثلاث.

العمر يخطف كالبرق سواء ضحكت أم بكيت الحقيقة خارجة عن صورتك، وهي تريد الخلاص من القيود.

ان أردت ان الكلام فكن كاملاً وخذ بالعلم والحكمة كي تصبح من ذوي الحظوة والاّ كن من ذوي العقل الواسع فتسكت كالحكماء.

أجل كلّ شيء سيؤخذ منك كلّ ما في هذه الدنيا حتّى لو كنت تملك الدنيا كلّها فانك ستفقدها في لحظة الموت، فهل من المعقول أن ترتكب الحرام وان تعتدي على الغير من أجل الحصول على شيء سوف ينتزع منك بعد حين؟! لن يبقى لك شيء سوى ما كان خالصاً للمحبوب الحقيقي.

«الدُّنيا كُلُّها جَهْلٌ إلاّ الْعِلْمِ وَالْعِلْمُ كُلُّهُ حُجَّةٌ إلاّ مَوْضِعُ الْعَمَلِ، وَالْعَمَلُ كُلُّهُ هَباءٌ إلاّ مَوْضِعُ الإِخْلاصِ»[1].

وجاء في الأخبار:

لَمّا ماتَ مُوسى عليه السلام «قالَتِ الْمَلائِكَةُ: لَمّا ماتَ مُوسى كَليمُ اللّه فَأَيُّ الْخَلْقِ لا يَمُوتُ؟ إخْواني لابُدَّ مِنَ الْمَوْتِ وَإِنْ طالَ الْعُمُرُ لِأَنَّ حَياتَنا عارِيَةٌ فَلابُدَّ أَنْ تُؤْخَذَ مِنّا الْعارِيَةُ كَما قالَتِ

١ـ مخلاة: ٥.

الْحُكَماءَ الْعيشُ عارِيَةٌ وَالرُّوحُ عارِيَةٌ وَالدُّنْيا عارِيَةٌ وَالْمالُ عارِيَةٌ وَسَتُؤْخَذُ الْعارِيَةَ»[1].

أجل كما قال الصادق عليه السلام:

«إِذا خَرَجْتَ مِنْ مَنْزِلِكَ فَاخْرُجْ خُرُوجَ مَنْ لا يَعُودُ».

انّ هذه الحياة انّما تنهض على نفس واحد على شهيق وزفير ربما يتوقف في أية لحظة فاذا أنت في عالم الأموات وقد كنت قبل لحظة من بين الأحياء فاذا كان المآل كذلك خروج من الدنيا فاخرج منها قبل أن يحين خروجك، خروج من لا أمل له في العودة.

الرؤية البيت في الرؤية الاسلامية:

للاسلام نظرياته ورؤيته في كلّ مجالات الحياة الانسانيّة والحياة بأسرها وهي نظريات من الضروري التعمّق فيها، ولقد شرع الاسلام قوانين شاملة للحياة من أجل تحقيق السعادة للانسان، فلا يوجد شيء في حياة البشريّة الاّ وللاسلام فيه رؤية ونظرية وخطّة عمل.

ربما لا تشغل مسألة البيت والمنزل والمسكن لدى الناس مساحة من الاهتمام غير ان الاسلام قد حدد بعض الامور فيما يخص البيت ومن يعيش تحت سقفه وتحت ظلاله ومجموعة من المسؤوليات تجاه البيت والاسلام يتطلع الى أن يعيش الزوجان مع أبنائهما في بيت واسع وانه لمن السعادة أن يعيش المرء في بيت على قدر ما يحقق له احتياجاته ويؤمن له الشعور بالراحة والسعادة.

١ـ مخلاة: ٢٠.

وقد حدّدت الشريعة الاسلاميّة بعض الشروط في بناء البيت وفي كيفية دخوله والخروج منه وفيما يلي بعض الأحاديث في هذا المضمار:

فيما أَوْصى بِهِ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله عَلِيّا عليه السلام: «يا عَلِيُّ الْعيشُ في ثَلاثَةٍ: دارٍ قَوْراء، وَجارِيَةٍ حَسْناء وَفَرَسٍ قَبّاء»[1].

عَنْ أبي عَبْدِاللّه عليه السلام قالَ:

«ثَلاثَةٌ لِلْمُؤْمِنِ فيهِنَّ راحَةٌ: دارٌ واسِعَةٌ تُواري عَوْرَتُهُ وَسُوء حالِهِ مِنَ النّاسِ، وَامْرَأَةٌ صالِحَةٌ تُعينُهُ عَلى أَمْرِ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ، وَابْنَةٌ أَوْ أُخْتٌ يَخْرُجُها مِنْ مَنْزِلِهِ بِمَوْتٍ أَوْ بِتَزْويجٍ»[2].

قالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله:

«مَنْ بَنى بُنْيانا رياءً وَسُمْعَةً حَمَلَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ مِنَ الأَرْضِ السّابِعَةِ وَهُوَ نارٌ تَشْتَعِلُ، ثُمَّ يُطَوَّقُ في عُنُقِهِ وَيُلْقى فِي النّارِ، فَلا يُحْبِسُهُ شَيْءٌ مِنْها دُونَ قَعْرِها إلاّ أَنْ يَتُوبَ قيلَ: يا رَسُولَ اللّه كَيْفَ يَبْني رِياءً وَسُمْعَةً؟ قالَ: يَبْني فَضْلاً عَلى ما يَكْفيهِ إسْتِطالَةً مِنْهُ عَلى جيرانِهِ وَمُباهاةً لِإِخْوانِهِ»[3].

وجاء في الروايات ان عدّة من أصحاب الامام الصادق عليه السلام تذكروا في حضرته الشؤم فقال: الشؤم في ثلاثة: في المرأة والدابّة والدار فأمّا شؤم المرأة

١ـ من لا يحضره الفقيه: ٣٥٨/٤، باب النوادر، حديث ٥٧٦٢؛ بحار الأنوار: ١٤٨/٧٣، باب ٢٦، حديث ١.

٢ـ الكافي: ٥٢٥/٦، باب سعة المنزل، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٤٨/٧٣، باب ٢٦،حديث ٢.

٣ـ من لا يحضره الفقيه: ١١/٤، باب ذكر جمل من مناهي النبي صلى الله عليه وآله، حديث ٤٩٦٨؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٤٢٦، المجلس السادس والستون، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٤٩/٧٣، باب ٢٦، حديث ٤.

فكثرة مهرها وعقوق زوجها وأمّا الدابّة فسوء خلقها ومنعها ظهرها وأمّا الدار فضيق ساحتها وشرّ جيرانها وكثرة عيوبها[١].

عَنْ أَبي عَبْدِاللّه عليه السلام قالَ: «مِنَ السَّعادَةِ سِعَةُ الْمَنْزِل»[٢].

إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام «سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ عيشِ الدُّنْيا فَقالَ: سِعَةُ الْمَنْزِلِ وَكَثْرَةُ الْمُحِبّينَ»[٣].

قالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله:

«مِنْ سَعادَةِ الْمَرْءِ الْمَرْءةُ الصّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْواسِعُ، وَالْمَرْكَبُ الْبَهِيُّ، وَالْوَلَدُ الصّالِحُ»[٤].

وجاء في سيرة الامام علي عليه السلام انه لما كان في البصرة دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده وهو من أصحابه، فلما رأى سعة داره قال: ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا أما انت اليها في الآخرة أحوج؟ بلى ان شئت بلغت بها الآخرة، تقري فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا أنت بلغت بها الآخرة[٥].

وعن أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام قال: كتب اليّ أبو عبدالله (الصادق عليه السلام) اني احبّ لك أن تتّخذ في دارك مسجداً في بعض بيوتك ثمّ تلبس ثوبين طمرين غليظين ثمّ تسأل الله أن يعتقك من النار وأن يدخلك الجنّة

١ـ بحار الأنوار: ١٤٩/٧٣، باب ٢٦، حديث ٦؛ الخصال: ١٠٠/١؛ معاني الأخبار: ١٥٢.

٢ـ الكافي: ٥٢٥/٦، باب سعة المنزل، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٩٩/٥، باب ١،حديث ٦٥٩٢.

٣ـ المحاسن: ٦١١/٢، باب سعة المنزل، حديث ٢٤؛ بحار الأنوار: ١٥٢/٧٣، باب ٢٦، حديث ٢٧

٤ـ مكارم الأخلاق: ١٢٥، في مسكن الواسع؛ بحار الأنوار: ١٥٣/٧٣، باب ٢٦، حديث ٣٤.

٥ـ بحار الأنوار: ١٥٥/٧٣، باب ٢٦، حديث ٣٦.

ولا تتكلّم بكلمة باطل ولا بكلمة بغي[١].

آداب الدخول الى المنزل والخروج منه:

قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: اذا دخل أحدكم منزله فليسلّم على أهله يقول السلام عليكم فان لم يكن له أهل فليقل السلام علينا من ربّنا وليقرأ قل هو اللّه أحد حين يدخل منزله فانه ينفي الفقر[٢].

وجاء في رواية اخرى عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

من قال اذا خرج من بيته:

«بِسْمِ اللّه وَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاّ بِاللّه تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّه»[٣].

فاذا قال بسم اللّه قال الملكان: هديت، فان قال لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه، قال الملكان: وقيت، فان قال: توكلت على اللّه قالا: كفيت، فيقول الشيطان: كيف لي بعبد هدي ووقي وكفي؟

ولدى دخول المنزل فسلّم على أهلك وإن لم يكن لك أهل فقل:

«بِسْمِ اللّه وَباللّه وَالسَّلامُ عَلى رَسُولِ اللّه وَالسَّلامُ عَلَيْنا وَعَلى عِبادِ اللّه الصَّالِحينَ»[٤].

وتزود في أعمالك كلّها بزاد التقوى واحسن معاشرتك للناس كبيرهم وصغيرهم والتزم جانب الاعتدال وتواضع لأهل العلم والدين.

١ـ بحار الأنوار: ١٦٢/٧٣، باب ٣١، حديث ٣.

٢ـ بحار الأنوار: ١٧٠/٧٣، باب ٣٤، حديث ١٥.

٣ـ مستدرك الوسائل: ٤٦٠/٣، باب ١٣، حديث ٣٩٩٤.

٤ـ مستدرك الوسائل: ٣٧٧/٨، باب ٤٤، حديث ٩٧٢٠.

وسارع الى قضاء حوائج اخوانك واجتنب الغيبة والنميمة وعاشر زوجك وابناءك بالحسنى واحسن جوارك فان اللّه سائلك عن كلّ ذلك.

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال:

«انّ اللّه تبارك وتعالى أوصاني في الجار حتّى ظننت أنه يرثني»[1].

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام عن آبائه انّ النبي صلى الله عليه وآله قال:

«اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم اللّه قالت له الملائكة سلمت فاذا قال: لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه قال الملائكة كفيت فاذا قال توكّلت على اللّه قالت الملائكة وقيت».

وعن الامام الصادق عليه السلام قال:

«من قرأ قل هو اللّه أحد حيث خرج من منزله عشر مرّات أمن اللّه وكان في حفظه وكلائه حتّى يرجع الى منزله»[2].

وعن الامام الرضا عليه السلام قال:

«كان أبي اذا خرج من منزله قال: بِسْمِ اللّه الرَّحْمنِ الرَّحيمِ خَرَجْتُ بِحَوْلِ اللّه وَقُوَّتِهِ لا بِحَوْلٍ مِنّى وَلاَ قُوَّتي بَلْ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ يا رَبِّ مُتَعَرَّضا لِرِزْقِكَ فَأْتِني بِهِ في عافِيَةٍ»[3].

١ـ بحار الأنوار: ١٦٧/٧٣، باب ٣٤، حديث ٦.

٢ـ عدة الداعي: ٣٠٠، حديث ١٦؛ بحار الأنوار: ١٦٨/٧٣، باب ٣٤، حديث ٩.

٣ـ الكافي: ٥٤٢/٢، باب الدعاء اذا خرج الانسان من منزله، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ١٦٩/٧٣، باب ٣٤، حديث ١٣.

وروى الامام الرضا عن جدّه الامام الصادق عليه السلام قال: «اذا خرجت من منزلك فقل:

بِسْمِ اللّه تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّه ما شاءَ اللّه لا قُوَّةَ إلاّ بِاللّه اللّهُمَّ إنّي أَسْئَلُكَ خَيْرَ ما خَرَجْتُ لَهُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ما خَرَجْتُ إلَيْهِ، اللّهُمَّ وَسِّعْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَأَتِمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ وَاسْتَعْمِلْني في طاعَتِكَ وَاجْعَلْني راغِبا فيما عِنْدَكَ وَتَوَفَّني في سَبيلِكَ وَعَلى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ رَسُولِك»[1].

وجاء عن الامام الباقر عليه السلام انه قال: اذا خرجت من منزلة فقل:

«أَعُوذُ بِمَا عاذَتْ بِهِ مَلائِكَةُ اللّه وَرسُولِهِ مِنْ شَرِّ هذَا الْيَوْمِ الْجَديدِ الَّذي إذا غابَتْ شَمْسُهُ لَمْ تَعُدْ، مِنْ شَرِّ نَفْسي وَمِنْ شَرِّ غَيْري وَمِنْ شَرِّ الشَّياطينِ وَمِنْ شَرِّ مَنْ نَصَبَ لِأَوْلِياء اللّه وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَمِنْ شَرِّ السَّباعِ وَالْهَوامِ وَمِنْ شَرِّ رُكُوبِ الْمَحارِمِ كُلِّها، أُجيرُ نَفْسي مِنَ اللّه مِنْ كُلِّ سُوء»[2].

الجار في الاسلام:

للجوار والجيران أهميّة فائقة في الدين الاسلامي الحنيف ولذا يتوجب عن المسلم الالتزام بالضوابط الاخلاقيّة والاجتماعيّة مع الجيران والالتزام بقواعد حسن الجوار التي حدّدتها الشريعة.

١ـ الأمالي، الشيخ الطوسي: ٣٧١، المجلس الثالث عشر، حديث ٧٩٩؛ بحار الأنوار: ١٧٠/٧٣، باب ٣٤، حديث ١٦.

٢ـ المحاسن: ٣٥٠/٢، باب ٩، حديث ٣٤؛ بحار الأنوار: ١٧٠/٧٣، باب ٣٤، حديث ١٧.

وفي مضمار ما ورد في الأحاديث والروايات حول الجوار والجيران.

جاء عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «من خان جاره شبراً من الأرض جعلها الله طوقاً في عنقه من تخوم الأرض السابعة حتّى يلقى الله يوم القيامة الأ ان يتوب ويرجع».

وقال صلى الله عليه وآله: «من آذى جاره حرّم الله عليه ريح الجنّة ومأواه جهنّم وبئس المصير ومن ضيّع حقّ جاره فليس منا وما زال جبرئيل يوصيني بالجار حتّى ظننت انه سيورثه»[١].

عَنْ أَبي بَصيرٍ قالَ: سَمِعْتُ أَباعَبْدِاللّه عليه السلام يَقُولُ: «مَنْ كَفَّ أَذاهُ عَنْ جارِهِ أَقالَهُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَمَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ كانَ فِى الْجَنَّةِ مَلِكا مَحْبُورا وَمَنْ أَعْتَقَ نَسَمَةً مُؤْمِنَةً بَنَى اللّه لَهُ بَيْتا فِى الْجَنَّةِ»[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله لوصيه علي عليه السلام: «يا علي أربعة من قواصم الظهر امام يعصي الله ويطاع أمره وزوجة يحفظها زوجها وهي تخونه وفقر لا يجد صاحبه له مداوياً وجار سوء في دار مقام»[٣].

وجاء عن الامام علي عليه السلام انه قال: «حريم المسجد أربعون ذراعاً والجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها»[٤].

١ـ الأمالي، شيخ صدوق: ٤٢٧، المجلس السادس والستون، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٥٠/٧١، باب ٩، حديث ٢.

٢ـ الأمالي، شيخ صدوق: ٥٥٢، المجلس الثاني والثمانون، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ١٥٠/٧١، باب ٩، حديث ٣.

٣ـ الخصال: ٢٠٦/١، حديث ٢٤؛ بحار الأنوار: ١٥٠/٧١، باب ٩، حديث ٥.

٤ـ الخصال: ٥٤٤/٢، حديث ٢٠؛ وسائل الشيعة: ٢٠٢/٥، باب ٦، حديث ٦٣٣١.

قالَ الرِّضا عليه السلام: «لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جارَهُ بَوائِقَهُ»[١].

وقيل للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله: يا نبي اللّه أفي المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم برّ الرحم اذا ادبرت وصلة الجار المسلم فما آمن بي من بات شبعان وجاره المسلم جائع.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتّى ظننت انّه سيورّثه»[٢].

وروى الامام الصادق عليه السلام: «انّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله أتاه رجل من الأنصار فقال: يا رسول اللّه اني اشتريت داراً في بين فلان وان أقرب جيراني مني جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شرّه فأمر رسول اللّه صلى الله عليه وآله علياً وسلمان وأباذر والمقداد أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم: انه لا ايمان لمن لم يأمن جاره بوائقه. فنادوا ثلاثاً، ثمّ أمر فنودي أن كلّ أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله يكون ساكنها جاراً له»[٣].

وجاء في كتب الحديث:

قالَ اميرُالْمُؤْمِنين عليه السلام: «في وَصِيَّتِهِ عِنْدَ وَفاتِهِ اللّه اللّه في جيرانِكُمْ فَإِنَّهُ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مازالَ يُوصي بِهِمْ حَتّىَ ظَنَنّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ»[٤].

وهذا جانب من القضايا العامّة حول المنزل ودخوله والخروج منه وحقوق الجار في الاسلام.

١ـ عيون اخبار الرضا: ٢٤/٢، باب ٣١، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ١٥١/٧١، باب ٩،حديث ٧.

٢ـ الأمالي، شيخ طوسي: ٥٢٠، المجلس الثامن عشر، حديث ١١٦٥، بحار الأنوار: ١٥١/٧١، باب ٩، حديث ٨

٣ـ الكافي: ٦٦٦/٢، باب حق الجوار، حديث ١؛ بحار الأنوار: ١٥٢/٧١، باب ٩،حديث ١٢.

٤ـ نهج البلاغة: نامه ٤٧؛ تحف العقول: ١٩٧؛ بحار الأنوار: ١٥٣/٧١، باب ٩، حديث ١٦.

نسأل اللّه سبحانه أن تكون بيوتنا بيوت عباده ومدارس يتربى فيها الأبناء الفضيلة والكرامة والأخلاق الحسنة وأن نلتزم بآداب الدخول والخروج من المنازل وألا ننسى كلمات الامام الصادق عليه السلام وهو يوصينا عند ما نخرج من منازلنا فعلينا أن نتذكر اننا قد لا نعود اليها وألاّ ننسى ان كلّ ما هو بحوزتنا وفي أيدينا إنّما هو أمانة وأنّنا عمّا قريب راحلون.

فلنجمل في الطلب وأن تقنع بما رزقنا ربنا وأن نؤدي بما أنعم اللّه علينا ما فرض علينا.

ليس غير الصحراء والجبال وبضعة بيوت وفي تلك الدور يعيش مجانين.

لا رجلاً ترى ولا حقيقة... مليئة بالصبيان والأساطير الذين يسكنون الاطلال والخراب فازوا... اولئك الدراويش بشرب بعض الكؤوس... والسالكون عليهم أن يبتعدوا عن عيون الحساد فما هم الاّ بضعة من مسّهم طائف من الجن فلا كنز ولا من يبحث عن الكنز... الجميع ينبش في الانقاض ليست دار المجانين هذه تصبح خلوة لذوي العقول.

«وَلا يَكُنْ خُرُوجُكَ إلاّ بِطاعَةٍ أَوْ في سَبَبٍ مِنْ أَسْبابِ الدّينِ»

الخروج من المنزل:

وفي هذا المقطع يشير الامام الصادق إلى أن يكون الخروج من المنزل هادفاً ينطوي على غاية تنضوي تحت طاعة اللّه سبحانه ولغاية دينية ومفهوم الطاعة والعبادة في الاسلام يتسع كثيراً ليشمل أعمال الخير والاحسان.

ولذا فان الخروج من المنزل لقضاء حاجة انسان أو تقديم العون لمن يستحق أو لحل مشكلة من مشكلات المسلمين فان كلّ هذا وغيره من أعمال البرّ والخير والاحسان ينضوي تحت طاعة اللّه سبحانه والعمل الصالح.

نيّات الخروج في الروايات:

وفي مضمار النيات لأيٍّ عمل من أعمال الخير والاحسان التي يضمرها من يخرج من منزله روايات عديدة وفيما يلي طائفة منها:

قالَ رَسُولُ اللّه: «مَنْ أَصْبَحَ لا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»[1].

١ـ الكافي: ١٦٣/٢، باب الإهتمام بأمور المسلمين، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٣٧/٧١، باب ٢٠، حديث ١١٦.

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«أَنْسَكُ النّاسِ نُسُكا أَنْصَحُهُمْ جَيْبا وَأَسلَمُهُمْ قَلْبا لِجَميعِ الْمُسْلِمينَ»[١].

قالَ: «سَمِعْتُ أَباعَبْدِاللّه عليه السلام يَقُولُ: عَلَيْكَ بِالنُّصْحِ للّه في خَلْقِهِ فَلَنْ تَلْقاهُ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْهُ»[٢].

عَنْ أبي عَبْدِاللّه عليه السلام قالَ: قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«الْخَلْقُ عِيالُ اللّه فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللّه مَنْ نَفَعَ عِيالَ اللّه وَأَدْخَلَ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ سُرُورا»[٣].

سُئِلَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«مَنْ أَحَبُّ النّاسِ إِلَى اللّه؟ قَالَ أَنْفَعُ النّاسِ لِلنّاسِ»[٤].

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«مَنْ رَدَّ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْمُسْلِمينَ عادِيَةَ ماءٍ أَوْ نارٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّة».

أجل انّ كلّ من يخرج من منزله ينوي القيام بعمل من أعمال الخير فان

١ـ الكافي: ١٦٣/٢، باب الإهتمام بأمور المسلمين، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٣٣٨/٧١، باب ٢٠، حديث ١١٧.

٢ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الإهتمام بأمور المسلمين، حديث ٣؛ بحار الأنوار: ٣٣٨/٧١، باب ٢٠، حديث ١١٨.

٣ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الإهتمام بأمور المسلمين، حديث ٦؛ بحار الأنوار: ٣٣٩/٧١، باب ٢٠، حديث ١٢١.

٤ـ الكافي: ١٦٤/٢، باب الإهتمام بأمور المسلمين، حديث ٧؛ بحار الأنوار: ٣٣٩/٧١، باب ٢٠، حديث ١٢٢.

خروجه هو في طاعة اللّه ويعدّ عبادة ولو ان افراد المجتمع نساءً ورجالاً يخرجون من منازلهم وهم يقصدون من خروجهم القيام بأعمال الخير فان معظم مشكلات المجتمع سوف توضع على طريق الحل ولأصبحت الحياة سهلة يسيرة وطيبة.

وقد جاء في الروايات ان مغادرة المنزل بقصد زيارة الأقرباء وصلة الأرحام فان لكلّ خطوة في الطريق ثواباً عظيماً.

في مَناهِي النَّبيِّ قالَ: «مَنْ مَشى إلى ذي قَرابَةٍ بِنَفْسِهِ وَمالِهِ لِيَصِلَ رَحِمَهُ أَعْطاهُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَ مِأَةِ شَهيدٍ وَلَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَرْبَعُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ وَيَمْحى عَنْهُ أَرْبَعُونَ أَلْفَ سَيِّئَةٍ وَيَرْفَعُ لَهُ مِنَ الدَّرَجاتِ مِثْلُ ذلِكَ وَكَأَنَّما عَبَدَ اللّه مِأَةَ سَنَةٍ صابِرا مُحْتَسِبا»[1].

وروى الامام السجاد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال:

«من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رحمه أعطاه اللّه عزّوجلّ أجر مائة شهيد وله بكلّ خطوة أربعون ألف حسنة ويمحى عنه أربعون ألف سيئة ويرفع له من الدرجات مثل ذلك وكأنّما عبد اللّه مائة سنة صابراً محتسباً»[2].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «انّ صلة الرحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب فصلوا أرحامكم وبرّوا باخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب»[3].

عن الامام الباقر عليه السلام قال: كان علي عليه السلام يقول:

١ـ من لا يحضره الفقيه: ١٥/٤، باب ذكر جمل من مناهي النبي، حديث ٤٩٦٨؛ الأمالي، شيخ صدوق: ٤٣١، المجلس السادس والستون، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٨٩/٧١، باب ٣، حديث ٦.

٢ـ الأمالي، شيخ مفيد: ١١، المجلس الأول، حديث ٨؛ مستدرك الوسائل: ٢٥٢/١٥، باب ١٢، حديث ١٨١٤٨.

٣ـ الكافي: ١٥٧/٢، باب صلة الرحم، حديث ٣١؛ بحار الأنوار: ١٣١/٧١، باب ٣،حديث ٩٨.

«إنّا أهل بيت أمرنا أن نطعم الطعام وأن نؤدّي في النائبة ونصلّي اذا نام الناس»[١].

وقال الامام الصادق عليه السلام: عليكم بالصلاة في المسجد وحسن الجوار للناس واقامة الشهادة وحضور الجنائز انه لابدّ لكم من الناس؟ إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته فأما نحن نأتي جنائزهم وانّما ينبغي لكم أن تصنعوا مثلما يصنع من تأتمّون به والناس لابدّ لبعضهم من بعض ماداموا على هذه الحال حتّى يكون ذلك ثمّ ينقطع كلّ قوم إلى أهل أهوائهم ثمّ قال: عليكم بحسن الصلاة واعملوا لآخرتكم واختاروا لأنفسكم، فانّ الرجل قد يكون كيّساً في أمر الدنيا فيقال ما أكيس فلاناً وانّما الكيّس كيّس الآخرة[٢].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «اجيبوا الداعي وعودوا المريض وأقبلوا الهدية ولا تظلموا المسلمين»[٣].

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«سائِلُوا الْعُلَماءَ، وَخالِطُوا الْحُكَماءَ، وَجالِسُوا الْفُقَراءَ»[٤].

حقوق المؤمن:

سأل المعلّى ابن خنيس (أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام) قال: ما حقّ المسلم على المسلم؟ فقال الامام الصادق عليه السلام: له سبع حقوق واجبات ما منهن حق الاّ وهو عليه

١ـ الكافي: ٥٠/٤، باب فضل اطعام الطعام، حديث ٤؛ بحار الأنوار: ٣٦٠/٧١، باب ٢٣، حديث ٦.

٢ـ مستدرك الوسائل: ٣١٣/٨، باب ١، حديث ٩٥٢٩؛ بحار الأنوار: ١٦٢/٧١، باب ١٠، حديث ٢٤.

٣ـ الأمالي، شيخ طوسي: ٦٣٨، حديث ١٣١٧؛ بحار الأنوار: ١٦٣/٧١، باب ١٠، حديث ٢٧.

٤ـ تحف العقول: ٤١؛ مشكاة الأنوار: ١٣٤، الفصل الثامن في العلم؛ بحار الأنوار: ١٨٨/٧١، باب ١٣، حديث ١٤.

واجب إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية اللّه وطاعته ولم يكن للّه فيه من نصيب.

قال (المعلّى): جعلت فداك وما هي؟

قال الامام عليه السلام: يا معلّى اني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل.

قال المعلّى: قلت له: «**لا قوّة إلاّ باللّه**».

قال عليه السلام:

١ـ أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك.

٢ـ الحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره.

٣ـ والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

٤ـ والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

٥ـ والحق الخامس: لا تشبع ويجوع ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى.

٦ـ والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه.

٧ـ والحق السابع: أن تبرّ قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته وإذا علمت أن له حاجة تبادره الى قضائها ولا تلجئه أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك[1].

وقال:

قالَ أَبُوعَبْدِاللّه عليه السلام: «أَحْسِنْ يا إسحاقَ إلى أَوْلِيائي ما اسْتَطَعْتَ فَما أَحْسَنَ مُؤْمِنٌ إلى مُؤْمِنٍ وَلا أَعانَهُ إلاّ خَمَسَ وَجْهُ إبليسَ وَقَرَّحَ قَلْبُهُ»[2].

١ـ الكافي: ١٦٩/٢، باب حق المؤمن على اخيه، حديث ٢؛ بحار الأنوار: ٢٣٨/٧١، باب ١٥، حديث ٤٠.

٢ـ الكافي: ٢٠٧/٢، باب في الطاف المؤمن وإكرامه، حديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٣٧٧/١٦، باب ٣٢، حديث ٢١٨٠٧.

وقال عليه السلام أيضاً: المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله ولا يخونه ولا يخذله والمؤمن على المؤمن بركة وما من مؤمن يدخل بيته مؤمنين فيطعمهما شبعهما الاّ كان ذلك أفضل من عتق نسمة وما من مؤمن يقرض مؤمناً يلتمس به وجه اللّه الاّ حسب اللّه أجره بحساب الصدقة وما من مؤمن يمشي لأخيه في حاجة الاّ كتب اللّه له بكلّ خطوة حسنة وحطّ عنه سيّئة ورفع له بها درجة وزيد بعد ذلك عشر حسنات وشُفّع في عشر حاجات وما من مؤمن يدعو لأخيه بظهر الغيب الاّ وكّل اللّه به ملكاً يقول: ولك مثل ذلك وما من مؤمن يفرّج عن أخيه كربة الاّ فرّج اللّه عنه كربة من كرب الآخرة وما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً الاّ كان له أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته الاّ نصره اللّه في الدنيا والآخرة[1].

وهناك روايات اخرى كثيرة في هذا المضمار فعند ما يخرج الانسان من بيته في طاعة اللّه فانه يكون في حالة عبادة إذا كان خروجه في شأن من الشؤون التي أشارت إليها الرواية أعلاه.

وما أسمى الانسان وهو يخرج من بيته ومن أجل هدف سامي سواء على صعيد الثقافة أو على صعيد الحياة الاجتماعية وخدمة المجتمع الذي يعيش فيه.

في طريق الخدمة:

نقل لي أحد المحترمين قصة وقعت في طهران في بداية الحرب العالميّة الاولى وهي تنطوي عبر ودروس.

كان لرجل تقي من أهل الصلاح دكاناً في السوق وكان يقسم ما يحصل عليه

١ـ الاختصاص: ٢٧، حديث الغار؛ بحار الأنوار: ٣١١/٧١، باب ٢٠، حديث ٦٧.

من رزق قسمين قسم لعياله وقسم للمحتاجين وكان لا يقرّ له قرار حتّى يعمل عمل الخير قلبه يموج بالرأفة على المسلمين فلا تجد عمل خير الاّ له فيه نصيب ولم يكن يذهب هنا وهناك الاّ لقضاء حاجة أو لعمل من أعمال الخير وهكذا كان ديدنه فان لم يوفق لعمل من هذه الأعمال عاد الى منزله حزيناً وهذا ما حصل ذات يوم اذ عاد إلى الدار حزيناً وعزفت نفسه عن الطعام بل وألم به الأرق، فاذا هو ساهر والناس نيام، فارتدى ملابسه وقال لزوجته اني خارج لقضاء حاجة مسلم.

وراجح الرجل يدور في الأزقة والشوارع وكان يسأل اللّه أن يهديه لعمل من أعمال الخير.

فجأة سمع أنّة فاتّجه نحو الصوت فاذا بشاب قد وضع جبهته على جدار وهو يبكي.

حيّاه وسأله عمّا ألم به وقال ان كانت لك حاجة قضيتها أو مشكلة أعنتك في حلّها.

لكن الشاب كان يأبى أن يقول له شيئاً فقال الرجل: يا هذا اني لم أخرج من بيتي في هذه الساعة الاّ لقضاء حاجة محتاج ورفع كربة مكروب فأخبرني عن الذي يبكيك.

حينئذ قال الشاب: بالقرب منّا محلّة فيها بيت للدعارة فرأيت اليوم قد جاءوا بفتاة غاية في الحسن والجمال الى هذا البيت وقد عرفت ان الفقر والحاجة والاقدار قد دفعت بها الى هذا المكان فدخل هواها في قلبي وودت لو اتزوّجها فلمّا أردت مقابلتها اغلقت المرأة العجوز الباب دوني.

فقال الرجل: ان كنت تهواها حقاً وتريد الزواج بها فاني سأعمل على ذلك الساعة.

فبهت الشاب ولم يحر الجواب وأراد تقبيل يد الرجل الصالح فلما وصلا

طرق الرجل الصالح الباب ففتحت المرأة العجوز الباب ولما وقعت عيناها على الرجل الصالح ورأت في وجهه من علامات الصلاح قالت: يا شيخ أتدري أي باب طرقت؟ وبيت من قصدت؟!

قال الرجل: انما جئت من أجل تلك الفتاة وأريدها لهذا الشاب فان جئت بالفتاة الى هذا الفتى نقدتك الذي تريدين.

قالت العجوز: إن دفعت لي خمسين تومانا حصلت على مرادك.

قال الرجل: وهو كذلك.

وكان المبلغ الذي أرادت يومئذٍ مبلغ كبير لا يملكه الاّ التجّار ولكن الرجل الصالح كان يريد من وراء ذلك رضوان اللّه وعمل الخير.

وأخذ الرجل الفتاة ومعه الشاب وانطلق بهما إلى منزله وبعد أيّام من الضيافة زفّت الفتاة الى الشاب وشكر الشاب الرجل الصالح على ما قام به وقال له: انك نعم الأب فقد دللتني على الطريق القويم وأنا أرجو أن تأذن لي بالسفر الى أهلي في منجيل (شمال ايران) فاذن له.

وكان الشاب لا يمرّ شهر أو شهران حتّى يرسل الى الرجل الصالح رسالة.

ومضت أعوام ثمّ ان الرجل الصالح عرضت له حاجة من حاجات التجارة والسوق فسافر الى ميناء انزلي في بحر الخزر ومرّ في طريقه بمدينة منجيل فرأى الناس مزدحمين على الخباز وكان الخبز قليلاً والناس يعانون من ضائقة الحرب وكثير من الناس هاجروا من العاصمة ومدن اخرى الى الشمال بسبب الضائقة الاقتصاديّة.

فسأل الرجل الصالح من يملك الدقيق في هذه المدينة؟ فقيل له فلان فلما سمع بالاسم عرف انه ذلك الشاب فسأل عن بيته ومنزله فارشدوه.

فلما طرق الباب قيل: من الطارق؟ فجاء الجواب اريد صاحب الدار فلمّا التقاه لم يصدق الشاب عينيه ورمى بنفسه عند قدميه ثمّ دعاه الى الدخول فقال الرجل الصالح لا أدخل حتّى تبذل الدقيق للخبازين وتشبع الجياع من نعمة الخبز.

فأمر الشاب بفتح أبواب المخازن ومدّ الخبازين بكميات كبيرة من الدقيق وطلب منهم أن يستمروا في عملهم حتّى يحصل الناس على ما يحتاجون وكان يوماً مشهوداً.

حقاً ان حياة بعض الناس بركة على الآخرين فأينما يذهبون تجد البركة في المكان الذي يحلّون فيه.

الفكر قبل العمل:

تعالوا لنفكر في تعاليم القرآن تعالوا لنتدبّر في آياته ان نور الفكر يصون حياتنا من أن تذهب عبثاً، تعالوا نفكر حتّى لا يفوتنا عمل الخير ان نور الفكر كالشمس تمدّ معارفنا بالمزيد من النمو والاشراق، ان الفكر جذور لشجرة الحياة انه ارقى بكثير من العمل، لأن كلّ عمل من أعمال الخير هو حصيلة فكرة تشعّ بالنور وتسطع في النفس الانسانيّة.

يقول سلطان ولد في كتابه «**رباب نامه**»[1]:

الفكر اسمى من العمل لأن العمل من فعل الجوارح والفكر عمل الباطن العمل في مقدور الانسان وبارادته والفكر خارج ليس بمقدوره الاّ ان يهبه اللّه.

«**تَفَكُّرُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سَبْعينَ سَنَةٍ**»[2].

والعمل كالشجرة والفكر ثمرة الشجرة وقد جاء في الحديث:

١ـ رباب نامه: ٣٢.

٢ـ جامع الأخبار: ٩٤، الفصل الثانى والخمسون فى اللسان.

«مَنْ أَخْلَصَ للّه أَرْبَعينَ صَباحا ظَهَرَتْ يَنابيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلى لِسانِهِ»[١].

ومن هنا يتّضح ان الحكمة ثمرة العمل فاذا كان عمل ولا ثمر فانه من الواضح ليس بعمل كما يبدو الدرهم المزيف درهماً وهو ليس بدرهم.

أجل ان الفكر علّة العمل والعمل علّة الحكمة والحكمة علّة الحلّ لجميع المشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والماديّة والمعنويّة.

انّ اللّه عزّوجلّ وهو الحكيم المطلق أنزل القرآن من أجل تربية الفرد والمجتمع وان الذي لا ينعم بالفكر والعمل والحكمة فانه قد حرم الفيض الالهي وهكذا انسان لن يصيب خيراً في الدنيا ولا في الآخرة.

انّ السعادة في الدنيا والآخرة هي من نصيب من ينعم بالفكر الالهي والعمل الاسلامي والحكمة الربانية.

ومن دون فكر مشرق يتخبط الانسان في الظلام وتحجب عن ادراكه جميع حقائق المعرفة ويسقط في هاوية الشقاء.

ان تجربة الانسان في حياته اذا لم ترتقي به الى الكمال وتسمو به الى سماء الانسانيّة والنبل واذا لم تدفع به الى أن يطوف حول الحق كما تطوف الفراشة حول الشمعة فلا قيمة لهذه الحياة انها لن تساوي جناح ذبابة.

يروي انّ سلمة الأحمر دخل على هارون الرشيد فرآها جالساً في حديقة من حدائق قصوره وقد القت بظلالها على الورد والزهور فانشد قائلاً:

اما بيوتك فى الدنيا فواسعة فليت قبرك بعد الموت يتسع

١ـ جامع الأخبار: ٩٤، الفصل الثانى والخمسون فى اللسان.

فبكى هارون وقال: وعظت فأوجزت.

فقال سلمة: يا هارون لو قدر لك أن تكون وحيداً في صحراء جرداء لا كلأ ولا ماء وقد أصابك من الظمأ ما أشرقت به على الهلاك فكم تدفع لمن يعطيك جرعة ماء تنجيك من الموت؟

فقال هارون: نصف ما املك.

فقال سلمة: فان شربت الماء ثم احتبس بولك فكم تدفع لمن يدفع عنك ألم الاحتباس؟

فقال هارون: النصف الآخر !

فقال سلمة: بؤساً لهذه الدنيا اذا كانت قيمتها جرعة ماء وبولة.

تعالوا لنجعل كلّ ما نملك في مرضاة اللّه عزّوجلّ تعالوا لنعيش في طريق اللّه ونموت في سبيله وليكن دخولنا الى منازلنا وخروجنا من دورنا كلّه في رضا اللّه.

وتعالوا نناجي ربّنا ونقول:

لا هوى الاّ هواك.

وما لنا يا ربنا أحد سواك.

وليس سوى حبّك من أمنية أيها الحبيب.

فك قيدي عن قدمي فلن ابرح زقاقك الى أي مكان قد يغادر زقاقك لكن ليس قلبي ولا قدماي... كل ليلة تعدني بالوصل تقول غداً فاذا جاء الغد أصبح الوعد غداً.

ولقد همت بزلفك يا مؤنس الروح أينما أنظر أصبح ولهان وهائماً.

انا ما زلت واقفاً في رأس الزقاق ليس لي منزل ولا مأوى ولا بيت ودار.

«وَأَلْزِمِ السَّكِينَةَ وَالْوَقارَ وَاذْكُرِ اللّه سِرّا وَجَهْرا»

آداب الخروج من المنزل:

بهذه المهابة من الوقار والسكينة يرسم الامام الصادق الصورة التي ينبغي أن يكون عليها الانسان وهو يغادر منزله في وقار يجلله وكلمات اللّه تملأ قلبه وتجري على لسانه.

مشي في قصد فلا سرعة تخلّ بالوقار ولا تباطؤ في السير كمن يتسكع في مشيه دون هدف.

تستقر عيناه في نظرات ثابتة تدلّ على استقرار في النفس ورسوخ في الفكر لأن الذين يمشون ونظراتهم زائغة انما يعكسون ما في أعماقهم من اضطراب وقلق وانعدام للتوازن الروحي.

انه يسير وهو يدرك بأنّ كلّ خطوة تقترب به الى النهاية التي يسير اليها كلّ البشر انه يسير وهو يعي تماماً أنه في حركة مستمرة وعليه أن ينتخب الطريق الذي يقوده الى السعادة لا الى الشقاء الى قمم الكمال لا الى هاوية السقوط والانحطاط.

ومن هنا جاء في الروايات انه يأتي على الناس زمان يخرج الانسان من بيته مؤمناً ولكنه يعود الى داره كافراً.

فلذلك اذكره سبحانه سرّاً وجهراً فان ذكره يطرد الشياطين عن أن تنفذ في

نفسك وتوسوس لك.

وإن أردت أن يكون ذكرك له سبحانه في خروجك ودخولك منزلك ملكة فاقصد كلّ يوم رجلاً من رجال اللّه لأن النظر في وجه العالم الربّاني يطهر نفسك ويملأ قلبك خشوعاً للّه سبحانه لأنه انما يخشى اللّه من عباده العلماء.

وقد قيل ان أصل العبادة الاقبال على رجال الحق لأنّك لو أديت العبادات وتحلّيت برفيع الصفات وأنكرت حقوقهم ما نفعك من عبادتك شيء ودليل ذلك ما صار من مصير الذين أنكروا نبوّة المصطفى وقد كان لهم قبل ذلك دين يدينون به وعبادة فسلكوا سبيل الغصيان واعرضوا عن رسول الرحمن فآل مصيرهم الى العذاب في النيران[1].

انك بحاجة الى الذكرى في كلّ يوم وفي كلّ ساعة لأنّك في كلّ لحظة في مهب الاخطار وما أحوجك لأن تذكر ربك وأن تخرج من منزلك وترى الخضر أمامك ثمّ تعود فترة في طريقك فينصحك ويعظك ويحول بينك وبين التردّي في مزالق الهوى وخطر الشيطان ويصونك من عمل الحرام ويقودك الى منابع الرزق الحلال فاقنع بما رزقك اللّه واشكره على ما حباك.

وهذه طائفة من الأحاديث الشريفة في ان الرزق قد قدّره اللّه لعباده.

انّ روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا اللّه واجملوا في الطلب ولا يحملنّ أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية اللّه فان اللّه تعالى لا ينال ما عنده الاّ بطاعته[2].

ايّها الناس اتّقوا اللّه وأجملوا في الطلب فان نفساً لن تموت حتّى تستوفي

١ـ رباب نامه: ٤٣٠.

٢ـ الكافي: ٧٤/٢.

رزقها وان أبطأ عنها فاتّقوا اللّه وأجملوا في الطلب[١].

لو انّ ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت[٢].

لا تستبطئوا الرزق فانه لم يكن يموت عبد حتّى يبلغه آخر رزق هو له فاتقوا اللّه وأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام[٣].

وما أحرى بالانسان أن يصرف بوجهه عن المال الحرام وإن كثر واستقام في طريقه ولا يلوّث نفسه بارتكاب الآثام وصبر حتّى يأتيه الرزق الحلال.

يقول الامام علي عليه السلام:

«لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرٌ وَجَوْهَرُ الإِنْسانِ العَقْلُ وَجَوْهَرُ العَقْلِ الصَّبْرُ»[٤].

ومن صبر عن الحرام ولم يدنس نفسه به أضاء في قلبه نور المعرفة الساطعة فينجذب الى الحق ولجرت السكينة في روحه وغمره حب المحبوب وشوق الوصال.

وهذا قلبي الكسير يناجي المحبوب الحقيقي.

يا نور الفؤاد وأشعّة الروح اسفر فديتك روحي.

في نار هجرانك اصطلي يا سكينة القلب جالس في التراب انتظر طلوع حسنك.

وكيف أصبر عن هجرك وكيف أبقى حياً.

فخذ بيدي بقوة الحب أنا العاجز المسكين ارحم آهتي.

١ـ سنن ابن ماجة: ٧٢٥/٢، بحار الأنوار: ١٩٨/٥٣.

٢ـ حلية الأولياء: ٩٠/٧.

٣ـ السنن الكبرى: ٢٦٥/٥.

٤ـ شرح نهج البلاغة، ابن ابى الحديد: ٣٢٢/١، فصل فى مدح الصبر وانتظار الفرج.

«سَئَلَ بَعْضُ أصْحابِ أَبي الدرداء أَهْلَ دارِهِ عَنْهُ فَقالَتْ: خَرَجَ، فَقالَ: مَتى يَعُودُ؟ قَالَتْ: مَتى يَرْجِعُ مَنْ رُوحُهُ بِيَدِ غَيْرِهِ؟! وَلا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعا وَلا ضَرّا»[1]

يا لهذه المرأة العاملة قد تفجّرت الحكمة في قلبها وجرت على لسانها أجل واللّه متى يرجع من روحه بيد غيره.

يقول الفيض الكاشاني: اعرف امرأة تودع زوجها في صباح كلّ يوم وتتبعه الى باب المنزل وتقول له: يا سيّد المنزل انني قانعة وأبنائي برزق اللّه قانعون بما رزقنا اللّه من اللباس والطعام وبهذا البيت الذي نحيا فيه فلا تنظر الى ما حرّم اللّه من الكسب تريد أن توسع على عيالك فتخالف حدود اللّه فان عيالك لا يحملون عنك وزرك يوم القيامة فاتّق اللّه ولا تمدنّ يدك الى ما حرّم اللّه فاشهد يا ربّ اني قانعة بما رزقت راضية بما وهبت فان أخطأ زوجي فلا تؤاخذني.

أجل هكذا ينبغي أن تكون المرأة فانها نعم المرأة التي تعين زوجها على الاجمال في طلب المعيشة فليس أكثر بركة من الرزق الحلال وإن قلّ وما أشدّ شواً المال الذي يأتي من الكسب الحرام وان كثر لأنّه لا بركة فيه ولا خير.

١ـ بحار الأنوار: ١٦٧/٧٣.

طوبى لمن يذكر اللّه على كلّ حال ينبض قلبه بالذكر وتجري على لسانه كلمات الحمد والثناء والشكر للّه سبحانه فما أسعد هؤلاء وقد أضاء الحب الالهي قلوبهم وسطع في نفوسهم وأرواحهم.

يقول سعدي الشيرازي:

سيكون صبحي بهيجاً عند ما تنظر الي.

تنكسر قيودي في رحابك وما أزهى المكان الذي تأخذني اليه... لن اشتري بعد اليوم سكراً... بسمة منك كالسكر لي... ايها الشمس الساطعة... ويا ظلال الكون نظرة منك امنيتي... سألقي وجودي على قدميك محتضراً لفتة منك أُريد.

أنت تدري بأنني ولّيت من دون العالم وجهي شطرك... عهد اذا الوجه ولّى شطر غيرك.

«وَاعْتَبِرْ بِخَلْقِ اللّه تَعالى بَرِّهِمْ وَفاجِرِهِمْ أَيْنَما مَضَوْا وَاسْئَلِ اللّه تَعالى أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ خاصِّ عِبادِهِ وَأَنْ يُلْحِقَكَ بِالْماضينَ مِنْهُمْ وَيَحْشُرَكَ في زُمْرَتِهِمْ»

لتكن نظرتك عبرة:

وفي هذا المقطع دعوة للتأمّل في الحياة ومصائر البشر بعض يسير نحو قمم الجبال والكمال حيث مشرق شمس الحب وبعض ينزلق في مهاوي الضياع حيث تتراكم الظلمات بعضها فوق بعض.

فادع اللّه أن يجعلك من السائرين في طريقه الماضين قدماً في سبيله.

ولقد أورد القرآن ذكر من مضوا اخياراً وأشراراً للعبرة ولهذا كثيراً ما ورد أمره سبحانه قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

أجل هذه هي حركة التاريخ ومسير البشر، لقد كان يوسف النبي مثلاً أعلى في التقوى والعدالة والمحبّة كان حاكماً كبيراً حكم بلاداً عظيمة فسار في الناس سيرة العدل ودعاهم الى عبادة اللّه وحده لا شريك له.

١ـ يوسف ١٢: ١١١.

وكان فرعون مثالاً للحاكم الطاغية الضال حكم بلاد مصر وساسها بالظلم والقهر والعدوان يقتل الأبرياء ويقهر الأحياء وكان يدعو الناس الى عبادته من دون اللّه بل قال أنا ربّكم الأعلى!

وأصبح فرعون عبرة لاولي الألباب أخذه اللّه أخذ عزيز مقتدر فقذفه في البحر ولفظه جثة هامدة دون حراك ليكون لمن خلفه آية.

وهذا يوسف النبي اسمه يتألق في دنيا الانسانيّة شاباً طاهراً قال للشيطان: لا وقال لغرائزه كلاّ وظلّ انساناً كما خلقه اللّه ولم يتحول الى شيء آخر، فهو مثال للشباب المؤمن وهو مثال ودرس للنساء اللائي يلهثن وراء الشهوات ويتبعن خطوات الشيطان ثمّ يخذلهن بعد حين؛ فاذا هن وحيدات يعانين من خجل الفضيحة والعار فهذا يوسف دعوة لهن جميعاً الى أن يرتدين حلل العفاف وابراد الفضيلة والطهر والنقاء.

وهذا يوسف الحاكم قدوة للحاكمين أحب الناس وعمل من أجل سعادتهم وكان لا يقرّ له قرار ويصل عمل الليل بالنهار ابتغاء رحمة من ربه الواحد القهار.

أجل هذا نداء القرآن يدعو:

﴿أَ فَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللّه عَلَيْهِمْ وَلِلْكافِرينَ أَمْثالُها﴾[1].

﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رِجالاً نُوحي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرى أَفَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[2].

١ـ محمد ٤٧: ١٠.

٢ـ يوسف ١٢: ١٠٩.

﴿أَ وَلَمْ يَسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوها أَكْثَرَ مِمّا عَمَرُوها وَجاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَما كانَ اللّه لِيَظْلِمَهُمْ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

وآيات اخرى تدعوا الانسان الى التأمّل في حركة التاريخ ومسيرة الزمن وتعاقب الأجيال.

فأسأل اللّه سبحانه الرحمة واطلب منه حسن العاقبة ونهاية مفعمة برضا اللّه سبحانه ولنتضرّع اللّه تبارك وتعالى أن يحشرنا يوم القيامة مع الذين قالوا ربّنا اللّه ثمّ استقاموا.

فلنبك في حضرته ولتدمع العيون في الحب له والشوق اليه ولنردد كلمات أميرالمؤمنين إمام العاشقين وتاج العارفين وهو يناجي ربّ العالمين.

يقول الشاعر رهي معيري.

كشمعة واهنة احترقت في هواك.

افناني البكاء واحترق القمر من أجلك.

والدموع التي ذرفت كانت بذكراك وسنوات العمر التي احترقت كانت من أجلك.

الليلة الفائتة المحفل أضاء يا شمعة حتّى الفجر احترقت... مكانك أوجز حكاية ليالي الحزن «رهي» فلقد احترقت ببرق الآهات ولهيب الأنين.

وما أعظمها من نعمة أنعم بها اللّه عزّوجلّ بعد أن رزقه الايمان الراسخ ووفقه للقيام بالعمل الصالح والتحلّي بالأخلاق الحسنة وزوّده بالفكر الثاقب يضيء له معالم الطريق ويهديه الى سواء السبيل حتّى اذا حان أجله وزاره الموت الذي لابدّ منه رحل الى لقاء الحبيب وحشره مع الأولياء والصديقين وحسن اولئك رفيقاً.

١ـ الروم ٣٠: ٩.

«وَاحْمَدْهُ وَاشْكُرْهُ عَلى ما عَصَمَكَ عَنِ الشَّهَواتِ وَجَنَّبَكَ عَنْ قُبْحِ أَفْعالِ الْمُجْرِمينَ وَغُضَّ بَصَرَكَ عَنِ الشَّهَواتِ وَمَواضِعِ النَّهْيِ»

ولنشكر اللّه عزّوجل ان حفظك من الوقوع في الخطيئة وصانك من اقتراف الأفعال المشينة وما يقوم به المجرمون ولتحمده سبحانه على أن وفقك لذلك فغض بصرك عن النظر الى الشهوات والمغريات وعن كل ما نهاك ربك عن النظر اليه.

وعند ما تفعل ذلك سوف تجد نفسك قد استقرّت وارادتك قد قويت وشخصيتك الانسانية قد نمت وكبرت.

وأنت تخترق الأزقة والشوارع ركّز بصرك ونظراتك الى الامام ولا تتلفت الى بيوت الناس فقد يكون باب من أبوابها مفتوحاً فتقع عيناك على ما لا يحمد النظر اليه؛ فامض في طريقك. وقد جاء في الأخبار ان رسول اللّه مرّ في زقاق فرأى رجلاً ينظر من شقّ الباب الى ما بداخله فلما رأى النبي فرّ هارباً استحياءً وكان الاولى به أن يستحي من اللّه.

«وَاقْصِدْ في مَشْيِكَ[1] وَراقِبِ اللّه في كُلِّ خُطْوَةٍ كَأَنَّكَ عَلَى الصِّراطِ جائِزٌ ووَلا تَكُنْ لَفّاتا وَأَفْشِ السَّلامَ لِأَهْلِهِ مُبْتَدِئا وَمُجيبا»

وليكن مشيك معتدلاً لا بالسريع المضطرب ولا بالبطيء المتسكع وكأنك تمشي على غير هدى ان مشي الانسان يدل على شخصيته وما يموج في أعماقه فان كان قلقاً مشوشاً ظهر ذلك في مشيه وتلفته وإن كان متزناً في نظرات ثابتة وخطوات معتدلة فان داخله ينعم بحاله من الطمأنينة والسلام.

فليكن مشيك هادئاً ولتتذكر مرورك في الصراط حيث أنت أحوج ما تكون الى الثبات والطمأنينة.

وبادر الناس بالسلام والتحية ومن حيّاك فردّ عليه تحيته بأحسن منها ان ذلك يزيد من محبوبيتك بين الناس ويعزز من العلاقات الاجتماعيّة.

وان من خصائص المؤمن نشر السلام أو ما يعبّر عنه بالقول المأثور افشاء السلام.

جاء في الحديث:

عَن ابى جعفر عليه السلام: «ثلاث درجات: إِفْشاءُ السَّلامِ وَإِطْعامُ الطَّعامِ وَالصَّلاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ»[2].

١ـ اين جمله در نسخه عبدالرزاق لاهيجى نمى‌باشد.

٢ـ بحار الأنوار: ٣٨٢/٧١، باب ٢٣، حديث ٩١.

وأمّا الصلاة حيث جميع الخلق قد ناموا فهذا من أعظم اللذائذ الاخلاقيّة فبينما الناس قد أغمضوا عيونهم وناموا اذا بعباد اللّه المؤمنين قد نهضوا للصلاة وقاموا.

منحنا رؤوسنا للذي وهبنا تلك الرؤوس... البدن منه والروح وكل هذا العالم ان نثر علينا ورداً أو قذفنا بالحجارة... ما الذي يمكن قوله فالمجلس والمحفل له والساقي والخمرة منه.

ان عصفت بنا الريح أو أسلمتنا الأمواج الى الساحل... فهو الربان والسفينة للّه وصارية الشراع.

كل ما في القلب والشموع والفراشات التي احترقت كلّها منه.

ماذا اكتب في شكرانه والمعاني والكلمات ويراعي والدواة وحتّى دفتري ملك له[1].

ويؤدّي افشاء السلام دوراً في نفي التكبر وتنمية التواضع في شخصية الانسان وقد جاء في الحديث:

«ابخل الناس من بخل بالسلام»[2].

١ـ نشاط اصفهانى.

٢ـ وسائل الشيعة: ٢٧/٧، باب ٢، حديث ٨٦١٦.

«وَأَعِنْ مَنِ اسْتَعانَ بِكَ في حَقٍّ وَارْشِدِ الضّالَّ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلينَ»

وأنت في طريقك ربما يصادفك من يحتاج الى أن تساعده وتعينه فبادر الى نجدته أو يصادفك من يحتاج الى أن تقف الى جانبه في قضية قد ظلم فيها فسانده وكن الى جانبه.

وقد يصادفك انسان يبحث عن عنوان فلا يجده فهو حائر فلا تتركه في حيرته ودلّه ولا تكثرت للجهلة من الناس انهم يتخبطون في ظلمات الجهل فامض في طريقك المضيء ودع الجهال ولا تكثرت لما يقولون أو يفعلون.

وفي هذا المقطع نجد ثلاثة محاور:

١ـ نجده من يطلب نجدتك.

٢ـ ارشاد الحيارى.

٣ـ الاعراض عن الجاهل.

قضاء حوائج المؤمنين:

وقضاء حاجة الانسان المؤمن من أعظم الأعمال ثواباً وقد ورد في هذا المضمار لكثير من الأحاديث والأخبار:

جاء في الروايات ان أبان بن تغلب كان يطوف حول الكعبة فجاءه صديق له

في حاجة فلم يقطع أبان طوافه وانتبه الامام الصادق عليه السلام إلى ذلك المشهد ونصحه بقطع طوافه والمضي لقضاء حاجة ذلك الانسان المؤمن قائلاً:

لثواب قضاء حاجة أخيك المؤمن أفضل من ثواب سبعين طواف[1].

وروى أحدهم قال: خرجت ذات سنة حاجاً فانصرفت الى أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله فقال من أين بك يا مشمعل (الراوي)؟

فقلت: جعلت فداك كنت حاجاً.

فقال أوتدري ما للحاج من الثواب؟

فقلت: ما أدري حتّى تعلّمني.

فقال: ان العبد اذا طاف بهذا البيت اسبوعاً (سبع مرّات) وصلّى ركعتيه وسعى بين الصفا والمروة كتب الله له ستة آلاف حسنة وحطّ عنه ستّة آلاف سيئة ورفع له ستة آلاف درجة وقضى له ستة آلاف حاجة للدنيا كذا وادخر له للآخرة كذا.

فقلت: جعلت فداك ان هذا لكثير!

فقال عليه السلام: أفلا أخبرك بما هو أكثر من ذلك؟ قلت: بلى، فقال لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجة وحجة وحجة، حتّى عدّ عشرة حجج[2].

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«مَنْ سَرَّ مُؤْمِنا سَرَّني وَمَنْ سَرَّني فَقَدْ سَرَّ اللّه»[3].

١ـ وسائل الشيعة: ١٣/٣٨٠ ـ ٣٨١، باب ٤١، حديث ٧.

٢ـ الأمالي، صدوق: ٤٩٣، مجلس فى ذكر فضائل الحج، حديث ١١؛ بحار الأنوار: ٣/٩٦، باب ٢، حديث ١.

٣ـ الكافي: ٢/١٨٨، باب ادخال السرور على المؤمنين، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٧١/٢٨٧، باب ٢٠، حديث ١٤.

وجاء عن الامام الصادق عليه السلام انه قال: «من أدخل على مؤمن سروراً، خلق اللّه عزّوجلّ من ذلك السرور خلقاً فيلقاه عند موته فيقول له ابشر يا ولي اللّه بكرامة من اللّه ورضوان»[١].

عَنْ أبي عَبْدِاللّه عليه السلام قالَ: «مِنْ أَحَبِّ الأَعْمالِ إلَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ إدْخالُ السُّرُورِ عَلَى الْمُؤْمِنِ: إشْباعُ جَوْعَتِهِ أَوْ تَنْفيسُ كُرْبَتِهِ أَوْ قَضاءُ دَيْنِه»[٢].

وهذا هو خلق الأنبياء والرسل والأولياء كان ديدنهم قضاء حوائج المحتاجين واغاثة المكروبين وكم ضحّوا وجاهدوا وقدّموا في هذه الطريق.

وجاء في الروايات:

عن جابر بن عبداللّه الأنصاري قال:

صلّى بنا رسول اللّه صلى الله عليه وآله صلاة العصر فلمّا انفتل جلس في قبلته والناس حوله فبيناهم كذلك إذ أقبل إليه شيخ من مهاجرة العرب عليه سمل قد تهلّل وأخلق وهو لا يكاد يتمالك كبراً وضعفاً، فأقبل عليه رسول اللّه صلى الله عليه وآله يستحثّه الخبر فقال الشيخ: يا نبيّ اللّه أنا جائع الكبد فأطعمني، وعاري الجسد فاكسني، وفقير فارشني.

فقال صلى الله عليه وآله: ما أجد لك شيئاً ولكنّ الدالّ على الخير كفاعله، انطلق إلى منزل من يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله، يؤثر اللّه على نفسه، انطلق إلى حجرة فاطمة، وكان بيتها ملاصق بيت رسول اللّه صلى الله عليه وآله الذي ينفرد به لنفسه من

١ـ الكافي: ١٩١/٢، باب ادخال السرور على المؤمنين، حديث ١٢؛ وسائل الشيعة: ٣٥١/١٦، باب ٢٤، حديث ٢١٧٤١.

٢ـ الكافي: ١٩٢/٢، باب ادخال السرور على المؤمنين، حديث ١٦؛ بحار الأنوار: ٢٩٧/٧١، باب ٢٠، حديث ٢٩.

أزواجه، وقال: يا بلال قم فقف به على منزل فاطمة، فانطلق الأعرابي مع بلال، فلمّا وقف على باب فاطمة نادى بأعلى صوته: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ومختلف الملائكة ومهبط جبرئيل الروح الأمين بالتنزيل من عند ربّ العالمين فقالت فاطمة: وعليك السلام فمن أنت يا هذا؟ قال: شيخ من العرب أقبلت على أبيك سيّد البشر مهاجراً من شقّة وأنا يا بنت محمّد عاري الجسد، جائع الكبد فواسيني يرحمك اللّه، وكان لفاطمة وعليّ في تلك الحال ورسول اللّه صلى الله عليه وآله ثلاثاً ما طعموا فيها طعاماً، وقد علم رسول اللّه صلى الله عليه وآله ذلك من شأنهما.

فعمدت فاطمة إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين فقالت: خذ هذا ايها الطارق فعسى اللّه أن يرتاح لك ما هو خير منه، قال الأعرابي: يا بنت محمّد شكوت إليك الجوع فناولتني جلد كبش ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب.

قال: فعمدت لمّا سمعت هذا من قوله إلى عقد كان في عنقها أهدته لها فاطمة بنت عمّها حمزة بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها ونبذته إلى الأعرابي فقالت: خذه وبعه فعسى اللّه أن يعوّضك به ما هو خير منه فأخذ الأعرابي العقد وانطلق إلى مسجد رسول اللّه والنبي صلى الله عليه وآله جالس في أصحابه، فقال: يا رسول اللّه أعطتني فاطمة هذا العقد فقالت: بعه فعسى اللّه أن يصنع لك.

قال: فبكى النبي صلى الله عليه وآله وقال: وكيف لا يصنع اللّه لك وقد أعطتكه فاطمة بنت محمّد سيّدة بنات آدم.

فقام عمّار بن ياسر رحمه الله عليه فقال: يا رسول اللّه أتأذن لي بشراء هذا العقد؟ قال: اشتره يا عمّار فلو اشترك فيه الثقلان ما عذّبهم اللّه بالنار، فقال عمّار: بِكَمْ العقد يا أعرابي؟ قال: بشبعة من الخبز واللحم، وبردة يمانية أستر بها عورتي وأُصلّي فيها لربّي، ودينار يبلّغني إلى أهلي، وكان عمّار قد باع سهمه الذي نفله

رسول اللّه صلى الله عليه وآله من خيبر ولم يبق منه شيئاً فقال: لك عشرون ديناراً ومأتا درهم هجريّة وبردة يمانيّة وراحلتي تبلّغك أهلك وشبعك من خبز البرّ واللحم.

فقال الأعرابي: ما أسخاك بالمال ايّها الرجل، وانطلق به عمّار فوفّاه ما ضمن له.

وعاد الأعرابي إلى رسول اللّه صلى الله عليه وآله، فقال له رسول اللّه صلى الله عليه وآله: أشبعت واكتسيت؟ قال الأعرابي: نعم واستغنيت بأبي وأُمّي، قال: فاجز فاطمة بصنيعها فقال الأعرابي: اللّهمّ انّك إله ما استحدثناك ولا إله لنا نعبده سواك وأنت رازقنا على كلّ الجهات اللّهمّ أعط فاطمة ما لا عين رأت ولا أُذن سمعت.

فأمّن النبي صلى الله عليه وآله على دعائه[1].

ارشاد الضال:

يقال لمن ضيع الطريق انه ضالّ وكذا لمن يضيع الطريق الصائب في الحياة وقد جاء في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله ان ارشاد الضال صدقة هذا لمن أضاع الطريق الظاهري ومن ارشد انساناً الى العنوان الذي يبحث عنه فثواب ذلك ثواب صدقة يتصدّق بها على فقير بائس ومحتاج مسكين أمّا الذي أضاع طريق الحياة فهو حائر ضال ثمّ يأتي من يرشده الى طريق النجاة وشاطئ الأمان والطمأنينة فهذا يعني في مفهوم الامام الصادق انقاذاً للبشريّة جمعاء وله من الثواب بقدر ذلك.

كلّ انسان ينطوي على قابلية التربية والهداية وقد خلق اللّه سبحانه عباده وأودع في فطرتهم هذه القابلية.

ولذا يجب الاّ يشعر الانسان باليأس من الهداية؛ هداية نفسه وهداية الآخرين والروايات في ثواب ارشاد الناس وهدايتهم كثيرة جداً والثواب في هذا العمل ما

١ـ بشارة المصطفى: ١٣٧؛ بحار الأنوار: ٥٦/٤٣، باب ٣، حديث ٥٠.

لا يمكن للانسان أن يتصوره.

فاذا رأى الانسان غيره يتخبط في ضلاله وحيرته كمن يسير في الظلام ثم لا يبادر الى ارشاده فانه يكون قد ارتكب أكبر خطأ في حياته واقترف اسوأ الذنوب.

ان جذور التحولات الجسمية والتغيرات الروحية والنفسيّة للانسان قوية جداً ولا تبدأ حياة الانسان بالولادة بل يسبق ذلك مقدمات طويلة بل ان حياته لا تبدأ مع انعقاد النطفة كذلك بل الى ما قبل ذلك لأن الروح والنفس التي تتجلى وتظهر في هذا العالم من خلال البدن لها حياة ومصير ضاربة في طوايا وتلافيف الزمن والابد ولكن أسرار ذلك ما تزال خافية على انسان اليوم[1].

غير ان رسالتنا الكبرى في الحياة ان نتعمل مسؤوليتنا في ارشاد الضال وهداية الحائر هذه المسؤولية التي تنبع من الضمير والوجدان الذي أودعه اللّه في نفوسنا.

الاعراض عن الجاهل:

كم هم الذين يملكون عيوناً لا يبصرون بها وآذاناً كما لو أنها صمّاء لا يسمعون بها وقلوباً لكنها من رصاص وعقولاً تراكمت عليها الظلمات فهي لا تعي شيئاً وهؤلاء هم الجهلة من الناس يحسبهم المرء احياءً ولكنهم في الحقيقة موتى.

ما أشقاهم وهم ينظرون الى الأشياء مقلوبة قد عميت عيونهم عن رؤية الجمال وصمّت آذانهم عن الاصغاء لنشيد الحياة وترانيم الوجود.

فاعرض عنهم ولا تجادلهم لأنّك اذا جادلتهم تكون قد فتحت على نفسك الأذى لأن هؤلاء الجهال سوف يتناولونك بألسنتهم ولا يوقرونك والعاقل من نأى بنفسه عن هذا الصنف من الناس.

١ـ الاصول الاساسية في فن التربية.

«وَإِذا رَجَعْتَ وَدَخَلْتَ مَنْزِلَكَ فَادْخُلْ دُخُولَ الْمَيِّتِ فِى الْقَبْرِ حَيْثُ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إلاّ ﷻ تعالى وَعَفْوُهُ»

وعند ما تعود إلى بيتك فادخله هادئاً ساكتاً وليكن همّك أن تنالك رحمة من اللّه تبارك وتعالى.

أجل ليكن دخولك الى المنزل في سكينة تامّة وتصوّر لحظات ادخالك القبر فاذا أنت ساكت بعد أن كنت تملأ الدنيا صخباً واذا أنت ساكن بعد حراك قد انقطع عن الدنيا أمله واشتدت الى ﷻ فاقته.

الباب

(١٢)

في آداب الدخول

إلى المسجد

قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إذا بَلَغْتَ بابَ الْمَسْجِدِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَصَدْتَ بابَ بَيْتِ مَلِكٍ عَظيمٍ لا يَطَأُ بَساطَهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ وَلا يُؤذَنُ لِمُجالَسَتِهِ إلاَّ الصِّدِّيقُونَ.

وَهَبِ الْقُدُومَ إلى بَساطِ خِدْمَةِ الْمَلِكِ هَيْبَةَ المَلِكِ فَإنَّكَ عَلى خَطَرٍ عَظيمٍ إنْ غَفَلْتَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلى ما يَشاءُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ مَعَكَ وَبِكَ.

فَإنْ عَطَفَ عَلَيْكَ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ قَبِلَ مِنْكَ يَسيرَ الطّاعَةِ وَأَجْزَلَ لَكَ عَلَيْها ثَوابا كَثيرا.

وَإنْ طالَبَكَ بِاسْتِحْقاقِهِ الصِّدْقَ وَالإخْلاصَ عَدْلاً بِكَ حَجَبَكَ وَرَدَّ طاعَتَكَ وَإنْ كَثُرَتْ وَهُوَ فَعّالٌ لِما يُريدُ.

وَاعْتَرِفْ بِعَجْزِكَ وَقُصُورِكَ وَتَقْصيرِكَ وَفَقْرِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإنَّكَ قَدْ تَوَجَّهْتَ لِلْعِبادَةِ لَهُ وَالْمُؤانَسَةِ بِهِ.

وَأَعْرِضْ أَسْرارَكَ عَلَيْهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ لا يَخْفى عَلَيْهِ أَسْرارُ الْخَلائِقِ أَجْمَعينَ وَعَلانيَتُهُمْ.

وَكُنْ كَأَفْقَرِ عِبادِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخْلِ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شاغِلٍ يَحْجُبُكَ عَنْ رَبِّكَ فَإنَّهُ لا يَقْبَلُ إلاَّ الأَطْهَرَ وَالأَخْلَصَ.

وَانْظُرْ مِنْ أَيِّ ديوانٍ يَخْرُجُ إسْمَكَ فَإنْ ذُقْتَ مِنْ حَلاوَةِ مُناجاتِهِ وَلَذيذِ مُخاطَباتِهِ وَشَرِبْتَ بِكَأْسِ رَحْمَتِهِ وَكَرامَاتِهِ مِنْ حُسْنِ إقْبالِهِ وَإجابَتِهِ فَقَدْ صَلُحَتْ لِخِدْمَتِهِ فَادْخُلْ فَلَكَ الإذْنُ وَالأَمانُ.

وَإلاّ فَقِفْ وُقُوفَ مُضْطَرٍّ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ الْحِيَلُ وَقَصُرَ عَنْهُ الأَمَلُ وَقُضِيَ الأَجَلُ، فَإذا عَلِمَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَلْبِكَ صِدْقَ الإلْتِجاءِ إلَيْهِ نَظَرَ إلَيْكَ

بِعَيْنِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَاللُّطْفِ وَوَفَّقَكَ لِما يُحِبُّ. ويرضى؛ فإنَّهُ كريمٌ يُحِبُّ الْكَرامَةَ لِعِبادِه المُفْطَرّينَ اِلَيْه، اَلْمُحْتَرقين على بابِهِ بِطَلَبِ مَرْضاتِهِ قال اللّه تَعالى:﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[1].

١ـ النمل ٢٧: ٦٢.

«قالَ الصَّادِقُ عليه السلام: إذا بَلَغْتَ بابَ الْمَسْجِدِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَصَدْتَ بابَ بَيْتِ مَلِكٍ عَظيمٍ لا يَطَأُ بَساطَهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ وَلا يُؤذَنُ لِمُجالَسَتِهِ إلاَّ الصِّدِّيقُونَ»

المسجد:

المسجد بيت اللّه وموضع عبادته وهو أشرف مكان في الأرض والمسجد مركز اتّصال القلب والروح بالمحبوب الحقيقي والمكان الذي تتردّد بين جنباته اصداء دعوة الحق نحو الخير والكمال.

المسجد هو الذي يعمر القلوب الخاوية وهو الذي يصفّي ويطهر الروح والنفس والمكان الذي تتجلّى فيه أنوار الربوبيّة فتشرق على قلوب المؤمنين.

المسجد دار الهداية وموقع التربية وقاعدة أهل المعرفة والمكان الذي تتردّد فيه آهات العاشقين.

المسجد موقع العقلاء وبيت البركات التي تتنزل على المساكين والمكان الذي تنطلق منه مناجاة الوالهين والأرض التي تتجسد فيها دعوات المحتاجين.

المسجد دار القرآن ومدرسة العشق ومركز العلم والموقع المتقدم لتلقّي الفيض الالهي وهو يهطل من عالم القدس.

المسجد المكان الذي تهبط فيه البركات وتدارك ما فات وميدان الحرب ضد الشيطان وسفينة النجاة من الغرق في بحار الظلمات.

المسجد جسر يؤدي إلى الجنان والطريق الذي يقود إلى الفضيلة والايمان والدليل نحو الوصال وانطفاء لوعة أهل الشوق.

المسجد أرض الحريّة من الخلاص من وساوس الشيطان ومدرسة الحبّ والعشق والايمان والعبوديّة للرحمن.

المسجد خندق المؤمنين ومحاربة الكافرين من أعداء اللّه والانسان.

المسجد المكان المجهول الذي لا يعرف قدره وهو غداً يوم القيامة أكبر حسرة فيقول الانسان وا أسفي اذ ضيعت حقوقه ولم أعرف في الدنيا منزلته.

المسجد في القرآن الكريم:

يفرد القرآن الكريم موقعاً رفيعاً للمسجد وتشهد آيات القرآن الكريم على ما لهذا المكان المقدّس من المنزلة والمقام والدرجة الرفيعة والاحترام.

ان الذين يعادون المسجد ويسعون في خرابه في الظاهر والباطن ويسعون الى اقصائه عن حياة الانسان أو منع الانسان من الدخول اليه أو الذين يمنعون بناء المساجد هم من أظلم الناس في الأرض.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللّه أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الأخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

أو ليس ان الغرائز والقوى الحيوانيّة هي منشأ الظلم والعدوان وأن المكان

١ـ البقرة ٢: ١١٤.

الذي يحدّ من عربدتها ويوقظ في النفس النزعة الى الحق والعدالة هو المسجد.

وان النرجسيّة ونزعة التسلّط اذا وجدت طريقها الى حريم المساجد فان هذا يعني السعي في خرابها وتدميرها وعندما تنهار المساجد فانه لن يبقى من حد الى تمرّد والغرائز وظهور نزعات العدوان وان الذين يمنعون المساجد ويسعون في اطفاء نور الفطرة الالهيّة ويرفعون اسم غير اللّه هم أكثر الظالمين ظلماً وظلاماً.

يذهب بعض المفسّرين الى ان الآية أعلاه نزلت قبل صلح الحديبيّة عند ما منع المشركون رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأصحابه من الدخول الى مكّة ويبدو مطلع الآية منطبقاً مع الحادثة التاريخيّة ولكن آخرها وسعى في خرابها لا يتطابق مع تلك الحادثة لأن المشركين لم يسعوا أبداً في تخريب الكعبة أو المسجد الحرام بل كانوا يجددون بناءها الاّ اذا كان المقصود هو التخريب المعنوي من حيث ذكر اللّه.

وعلى أيّة حال فان ظاهر الآية لا يقتصر على واقعة تاريخيّة بعينها ولا توجد قرينة تدلّ على ذلك وانّما تشتمل على دلالة عامة تشمل ما تعرضت له المساجد من تخريب من قبيل المسجد الأقصى وكذا ما حصل في الحديبية وما تلا ذلك من تخريب للمساجد على أيدي القرامطة والصليبيّين وما تتعرّض له المساجد في العصر الحاضر بسبب النعرات الدينيّة والطائفية وما يقوم به البعض من بناء المعابد والمساجد واتخاذها خنادق لاذكاء الحروب بين الناس واشعال الفتن الداخلية.

ان الذين يعمرون المساجد وبيوت اللّه ينبغي أن يكونوا من الأتقياء الذين يخشون ربهم بالغيب والذين يجسدون الايمان بأعمالهم وسيرتهم لا اولئك الذين يتولونها زوراً أو نفاقاً ودجلاً ويتّخذنوها مراكز لفرض عقائدهم على

الآخرين فهؤلاء في الواقع قد خانوا الأمانة وهم في حقيقتهم قطّاع الطريق الى اللّه لأنّهم بأعمالهم هذه ينفرون عباد اللّه من دخول المساجد وارتيادها فهم يسعون في خرابها.

انّ الذين يعملون على سلب المساجد دورها في تعزيز الايمان في نفوس الناس واشاعة المحبّة بين أفراد المجتمع هم أعداء اللّه مهما تفننوا في نفاقهم وتلميع ظاهرهم.

ان مسؤولة المسؤولين ازاء المسجد هي مسؤولية كبرى وعلى كلّ مسلم أن يسعى في حفظ ظاهر المسجد وباطنه ليكون وجوده مركز جذب يجتذب الناس اليه والى تعزيز الايمان باللّه واليوم الآخر والتصديق برسالاته.

ان على أئمّة المساجد أن يتزيّنوا بالعلم والتقوى وبالوعي السياسي والرؤية الاجتماعيّة وأن ينبذوا كل الصفات السيئة والمذمومة لكي يكونوا بسيرتهم دعاة للّه يهتدي بهم الحيارى ويلجأ اليهم الخاطئون.

قال تعالى:

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾[1].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّه مَنْ آمَنَ بِاللّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّه فَعَسَى أُولئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[2].

١ـ الاعراف ٧: ٢٩.

٢ـ التوبة ٩: ١٨.

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللّه يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

ويتضح من الآيات أعلاه ان اللّه عزّوجل يحب المساجد التي يعمّرها عباده المؤمنون فاذا هي مراكز لتربية المسلمين واذا هي أماكن طاهرة تشعّ بالفضيلة والتقوى وتلهم الناس الايمان واذا هي جسور توصل الى الآخرة واذا هي ينابيع تفيض بالعلوم والمعارف الالهيّة واذا هي في قلب الحياة الاجتماعيّة ترشّد حركة المجتمع نحو الخير والحق والجمال.

ان اللّه عزوجل يحب هذه المساجد لأنها تنهض على تقوى اللّه سبحانه وتؤدي دورها في تزكية النفوس وتطهير القلوب ليضيء نور الايمان طريق الانسانيّة الى السعادة.

المسجد في الروايات:

كثيرة هو الروايات التي تمجّد المساجد وتبين للناس أهميتها ومنزلتها الفريدة حيث يتعين على المسلمين جميعاً إعمارها والاستمرار في التواصل معها ففي ذلك يكمن رضا اللّه عزوجل ورضا رسوله وآله الطاهرين.

روى أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام قال:

«... سَمِعْتُ أَباعَبْدِاللّه عليه السلام يَقُولُ: شَكَتِ الْمَساجِدُ إِلَى اللّه تَعالى الَّذينَ لا يَشْهَدُونَها مِنْ جيرانها، فَأَوْحَى اللّه عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْها: وَعِزَّتي وَجَلالي لا قَبِلْتُ لَهُمْ صَلاةً واحِدَةً وَلا أَظْهَرْتُ

١ـ التوبة ٩: ١٠٨.

لَهُمْ فِى النّاسِ عَدالَةً وَلا نالَتْهُمْ رَحْمَتي وَلا جاوَرُوني في جَنَّتي»[١].

قالَ رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله:

«كُونُوا فِى الدُّنْيا أَضْيافا، وَاتَّخِذُوا الْمَساجِدَ بُيُوتا وَعُودُوا قُلُوبَكُمُ الرِّقَّةَ وَأَكْثِرُوا مِنَ التَّفَكُّرِ وَالْبُكاءِ مِنْ خَشْيَةِ اللّه، وَاجْعَلُوا الْمَوْتَ نَصْبَ أَعْيُنِكُمْ وَما بَعْدَهُ مِنْ أَهْوالِ الْقِيامَةِ تَبْنُونَ ما لا تَسْكُنُونَ وَتَجْمَعُونَ ما لا تَأْكُلُونَ فَاتَّقُوا اللّه الَّذي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»[٢].

ويحث الامام علي عليه السلام على التوجّه والتواجد في المساجد لأن في الاختلاف (التردد) الى المساجد لابد وأن يعود بالنفع على الانسان فقد يحصل على أخ له في اللّه ينفعه في دنياه وآخرته ويكون له صديقاً حميماً أو يحصل على علم ومعرفة جديدة أو يتعلّم آية قرآنيّة تضيء له طريقه في الحياة أو يصادف رحمة من اللّه عزوجلّ تشمله أو كلمة مضيئة تنقذه من ضلاله أو من فكرة خاطئة ولعلّه يسمع حديثاً فاذا هذا الحديث يرسم طريقه في الحياة الى السعادة وقد يشعر بالخجل والحياء من ارتكاب ذنب قد همّ به[٣].

وجاء في الروايات:

١ـ الأمالي، شيخ طوسى: ٦٩٦، حديث ١٤٨٥؛ بحار الأنوار: ٣٤٨/٨٠، باب ٨، حديث ١.

٢ـ اعلام الدين: ٣٦٥، باب عدد اسماء اللّه تعالى، حديث ٣٣؛ بحار الأنوار: ٣٥١/٨٠، باب ٨ حديث ٣.

٣ـ انظر ميزان الحكمة: ٢٣٩٦/٥ نقلاً عن الأمالي، للصدوق: ٣١٨. من أختلف إلى المسجد اصاب احدى ثمان:

أخاً مستفاداً فى اللّه، أو علماً مستطرفاً أو أبة محكمة، أو رحمة منتظرة، أو كلمة تردّ عن ردى أو يسمع كلمة تدلّه على هدى، أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً، بحار الأنوار ج٨ ص٣٥١.

قالَ عَلِيٌّ عليه السلام: «لَيْسَ لِجارِ الْمَسْجِدِ صَلاةٌ إِذا لَمْ يَشْهَدِ الْمَكْتُوبَةَ فِي الْمَسْجِدِ إِذا كانَ فارِغا صَحيحا»[١].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «من مشى الى مسجد يطلب فيه الجماعة كان له بكلّ خطوة سبعون ألف حسنة ويرفع له من الدرجات مثل ذلك»[٢].

وعن النبي صلى الله عليه وآله:

عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قالَ: «يَجيءُ يَوْمَ الْقِيامَةِ ثَلاثَةٌ يَشْكُونَ: الْمُصْحَفُ، وَالْمَسْجِدُ، وَالْعِتْرَةُ، يَقُولُ الْمُصْحَفُ: يا رَبِّ حَرَّفُوني[٣] وَمَزَّقُوني وَيَقُولُ الْمَسْجِدُ: يا رَبِّ عَطَّلُوني وَضَيَّعُوني، وَتَقُولُ الْعِتْرَةُ: يا رَبِّ قَتَلُونا وَطَرَدُونا وَشَرَّدُونا، فَأَجْثُوا لِلرُّكْبَتَيْنِ فِي الْخُصُومَةِ فَيَقُولُ اللّه لي: أَنَا أَوْلى بِذلِكَ»[٤].

والمراد من المصداق الكامل للمسجد في الرواية أعلاه هو مسجد النبي صلى الله عليه وآله حيث كان في عهد النبي صلى الله عليه وآله مركز الحكومة الاسلاميّة وكان مركز الاشعاع القرآني الذي انتشر في انحاء العالم.

والمصداق الكامل لطرف الخصومة هذه الأشياء الثلاثة الذين اغتصبوا خلافة الاسلام حيث حرّفوا القرآن وفسّروه بآرائهم وقطعوا أحكامه التي تتضمّن نظام العدالة العام ارباً ارباً وخصّوا بني اميّة والعرب واشراف قريش بالامتيازات وحرموا الآخرين.

١ـ وسائل الشيعة: ١٩٥/٥، باب ٢، حديث ٦٣١٤؛ بحار الأنوار: ٣٥٤/٨٠، باب ٨حديث ٣.

٢ـ بحار الأنوار: ٣٣٦/٧٣، باب ٦٧، حديث ١ ضمن الحديث.

٣ـ جاء في بعض النسخ «حرقوني».

٤ـ بحار الأنوار: ٣٦٨/٨٠، باب ٨، حديث ٢٦.

في حين ان القرآن الكريم يعلن صراحة العدالة والاخوّة والمساواة بين البشر جميعاً فكلّ الاعراق والقوميّات أمام الاسلام سواء كاسنان المشط لا فرق بين عربي وغير عربي الاّ بالتقوى.

ان تقطيع الأحكام الالهيّة القرآنيّة في الحقيقة بدأ بعد وفاة الرسول عند ما اغتصبت الخلافة من أهلها ثمّ جاءت الخلافة الثانية لتكرّس حالة مؤسفة من الطبقية، فكان العرب يمثلون طبقة الاشراف، حيث تسلّطوا على مقدّرات البلاد الاسلاميّة وسنّوا القوانين لصالحهم وحرمان سائر الشعوب والاعراق والأقوام من حقوقهم المشروعة على الصعيد الاجتماعي وعند ما تسلّط بنو اميّة مع بدء الخلافة الثانية وصلت الامور الى ذروة التميز العنصري الجاهلي الذي حاربه الاسلام بقوّة وخلال مئة عام من الحكم الاموي الغاشم تبلور القانون الأساسي للدولة الاسلاميّة حسب ما يرغبون.

وقد سعى بنو اميّة الى افراغ المسجد من دوره والى تأويل القرآن الكريم بما يدعم حكمهم وحاربوا آل النبيصلى الله عليه وآله وحاصروهم وحالوا بينهم وبين الارتباط بالامة الاسلاميّة ومارسوا حكماً دكتاتوريّاً مستبدّاً حيث تحولت الخلافة الى حكم ملكي ثمّ واصل بنو العباس منهجهم وزادوا عليهم في الظلم والجور والعدوان على أهل البيتعليهم السلام.

وقد شهدت الحياة الدينيّة بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله انفصالاً عن المسجد الذي فقد دوره الارشادي شيئاً فشيئاً وأصبح مركز للدعاية السياسيّة والى تأسيس ثقافة تتضمن نظرات جاهلية قومية وقد سعى الامويّون بكلّ قوّة الى افراغ الاسلام من مضمونه الحقيقي ما اضطر سبط النبيصلى الله عليه وآله الحسين بن عليعليه السلام الى الثورة وكانت مذبحة كربلاء مؤشراً خطيراً الى ما وصل اليه الحكم الأموي من العداء

للاسلام الحقيقي المتمثل بآل الرسول عليهم السلام.

قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «في التوراة مكتوب أن بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لعبد تطهّر في بيته ثمّ زارني في بيتي ألا ان على المزور كرامة الزائر ألا بشر المشاءين في الظلمات الى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة»[١].

وعن النبي صلى الله عليه وآله أيضاً قال: «ان للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم اذا غابوا افتقدوهم وإن مرضوا عادوهم وإن كانوا في حاجة أعانوهم»[٢].

وعن الامام الصادق عن آبائه عن علي أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «لا صلاة لجار المسجد إلاّ في المسجد الاّ أن يكون له عذر أو به علّة»[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة»[٤].

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «ان اللّه تبارك وتعالى اذا رأى أهل قرية قد أسرفوا في المعاصي وفيها ثلاثة نفر من المؤمنين ناداهم جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه يا أهل معصيتي لو لا من فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالي العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي والمستغفرين بالاسحار خوفاً مني لانزلت لكم عذابي ثمّ لا ابالي»[٥].

١ـ من لا يحضره الفقيه: ٢٣٩/١، باب فضل المساجد، حديث ٧٢٠؛ بحار الأنوار: ٣٧٣/٨٠، باب ٨، حديث ٣٧.

٢ـ بحار الأنوار: ٣٧٣/٨٠، باب ٨، حديث ٣٨.

٣ـ بحار الأنوار: ٣٧٩/٨٠، باب ٨، حديث ٤٧؛ مستدرك الوسائل: ٣٥٦/٣، باب ٢، حديث ٣٧٦٧.

٤ـ الكافي: ٣٥٦/٢، باب الغيبة والبهت، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٣٨٠/٨٠، باب ٨، حديث ٤٧.

٥ـ الأمالي، صدوق: ١٩٩، المجلس السادس والثلاثون، حديث ٨؛ بحار الأنوار: ٣٨٣/٨٠، باب ٨، حديث ٥٧.

وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «الجلوس في المسجد لانتظار للصلاة عبادة ما لم يحدث. قيل يا رسول اللّه: وما الحدث؟ قال صلى الله عليه وآله: «**الاغتياب**»[١].

الطريق الى رحاب الربوبيّة:

ما أسلفنا ذكره قبس من الآيات والروايات حول المسجد وفيما يلي شرح لما ورد في الرواية عن الامام الصادق عليه السلام حول المسجد.

تصوّر وأنت تتّجه الى المسجد انك ستدخل على ملك عظيم الشأن واسع الجبروت لا يطأ بساطه أحد الاّ الطاهرون ولا يؤذن لمجالسته الاّ الصديقون.

ورد في كتاب «**المناقب**» لابن شهرآشوب و «**روضة الواعظين**» للفتال النيسابوري جانب من سيرة الامام الحسن المجتبى عليه السلام انه كان اذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه فقيل له في ذلك فقال: حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله.

وكان الامام عليه السلام إذا وصل الى باب المسجد رفع رأسه الى السماء وقال:

«إلهي ضَيْفُكَ بِبابِكَ يا مُحْسِنُ قَدْ أَتاكَ الْمُسيءُ فَتَجاوَزْ عَنْ قَبيحِ ما عِنْدي بِجَميلِ ما عِنْدكَ يا كريم»[٢].

انّ اللّه عزّوجلّ يتحدّث عن ذاته المقدّسة في كتابه العزيز فاصغ ايها الانسان الى كلامه واعتبر بأوصافه:

١ـ بحار الأنوار: ٣٨٤/٨٠، حديث ٦٠.

٢ـ المناقب، ابن شهر آشوب: ١٤/٤، فصل فى مكارم اخلاقه عليه السلام؛ بحار الأنوار: ٣٣٩/٤٣، باب ١٦، حديث ١٣.

﴿لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ﴾[١]، ﴿اللّه لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[٢]، ﴿لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ تتت﴾[٣]، ﴿لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[٤]، ﴿فَتَعَالَى اللّه الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾[٥]، ﴿اللّه لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٦]، ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ﴾[٧]، ﴿وَمَا مِنْ إِلهٍ إِلاَّ اللّه الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[٨]، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾[٩]، ﴿وَاللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[١٠]، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١١]، ﴿وَاللّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[١٢]، ﴿وَاللّه وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١٣]، ﴿وَاللّه بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[١٤]،

١ـ البقرة ٢: ١٦٣.

٢ـ البقرة ٢: ٢٥٥.

٣ـ آل عمران ٣: ٦.

٤ـ الاعراف ٧: ١٥٨.

٥ـ المؤمنون ٢٣: ١١٦.

٦ـ النمل ٢٧: ٢٦.

٧ـ القصص ٢٨: ٧٠.

٨ـ ص ٣٨: ٦٥.

٩ـ الزخرف ٤٣: ٨٤.

١٠ـ البقرة ٢: ١٠٥.

١١ـ البقرة ٢: ١٣٧.

١٢ـ البقرة ٢: ٢١٨.

١٣ـ البقرة ٢: ٢٦١.

١٤ـ البقرة ٢: ٢٨٢.

﴿وَكَانَ اللّه بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾[١]، ﴿وَكَانَ اللّه غَنِيّاً حَمِيداً تتت﴾[٢].

وتأمل في سائر أوصاف جماله وجلاله وكماله ممّا ورد في قرآنه وعظيم بيانه.

وتأمّل وبعمق في ما ورد من الروايات حول توحيده عزوجل وفي ما خلق سبحانه من صفوف الخلق.

وانظر في السماوات من الأفلاك والنجوم والمدارات وفي اغوارها السحيقة البعيدة البعيدة.

وسر في الآفاق من أرضه تبارك وتعالى وانظر الى ما خلق من نبات وحيوان وجماد وغص في المحيطات والبحار ورافق الجداول والأنهار فهل ترى ملكاً عظيماً له كلّ هذا الملك والسلطان، فكيف تقف أمامه ثم لا ترتجف من هيبته وسلطانه ولا ترتعد من عظيم جلاله؟

فان أردت ايها الانسان أن تدخل في رحاب ملكه فتطهّر من ادران الشرك الخفي والبس حلّة التوحيد واعلم انك اذا فعلت ذلك فان قلبك سيتوهج بنور المعرفة وسوف يتلقّى الاشراق والفيض الرباني ويصل العبد إلى مقام القرب.

قال سبحانه:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾[٣].

١ـ النساء ٤: ١٢٦.

٢ـ النساء ٤: ١٣١.

٣ـ الفاطر ٣٥: ١٠.

الحركة صوب الطهر والنقاء:

نقف ونحن نطالع مقدمة «رباب نامه» على سبع مسائل تمثل الحركة نحو الطهر والصدق وهي مقتبسة من الآيات والروايات ونحن نحاول ايجازها بما يلي:

١ ـ التفكّر والتدبّر قبل كلّ عمل:

ورد عن النبيﷺ انه قال تفكّر ساعة أفضل من عبادة سنة وفي بعض الروايات أفضل من سبعين سنة.

ان التأمّل في آفاق الوجود وأعماق النفس والتدبّر في عالم الشريعة في الظاهر والباطن في حياة الانسان والطبيعة وماوراء الطبيعة في الدنيا والآخرة وفي يوم الحساب والجزاء والجنّة والعقاب ان كلّ ذلك يقود الى تطهير النفس الانسانية والى العيش في حياة طيبة.

٢ ـ صفاء النيّة:

انّ السالكين الى اللّه والعارفين يدركون من خلال التأمّل في الآيات وما ورد من الروايات انّ للانسان بعدين منفصلين أحدهما الجسم الظماني الفاني والذي لا يساوي شيئاً والآخر الكيان النوراني أو الروح الرباني الذي يمثل الجانب الهام في وجود الانسان ولأن الأجسام أساساً متساوية فان المعيار في تحديد القيمة هو الباطن والقوى غير المادية.

وانطلاقاً من ذلك فان الظاهر في رأي العارفين يفقد قيمته لأنه بالتظاهر يمكن أن نصنع ظاهراً جميلاً أو أن نقوم بعمل يشدّ انتباه الآخرين دون يكون في قلوبنا ذرّة ايمان بهذا العمل.

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف انّ اللّه ينظر الى النيات في القلوب ولا

ينظر الى الأفعال، وما أكثر الذين يثنون علينا اذا قابلناهم وجهاً لوجه فتلهج ألسنتهم بالمدح والثناء وفي قلوبهم تموج الاحقاد والبغضاء وكأن اللّه يقول؛ اني لا أنظر الى العمل لا الى الجسم الكثيف الملئ بالغش انما أنظر دائماً في القلوب اذ لا يعلم ما فيها الاّ أنا القلب كما المرآة وأنا الشاهد ولا ينظر في هذه المرآة الاّ انا وليس مثل المرآة تنعكس فيها الأشياء.

وجاء في الحديث عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال:

«مَنْ أَحَبَّ قَوْما فَهُوَ مِنْهُمْ»[1].

٣ ـ مواكبة الدعاء للحركة والعمل:

قد ينشأ فهم خاطئ جرّاء النظر الى النيّة وأهميّتها وجعلها الأساس ومن ثمّ التخلّي عن العمل ان الانسحاب من ميدان العمل بحجة النية هو خداع للنفس.

ومن المؤسف انّ البعض يختبئ وراء ما يسمى بالحيل الشرعية وقد يمارس الكذب بحجة المصلحة، مع عدم بيان وتحديد هذه المصلحة التي يسوغ الكذب من أجلها.

وفي موضوع النيّة فهي مطلوبة للقيام بالعمل الصائب وما يتطلب ذلك من شروط أما الاقدام على عمل من غير توفير متطلباته أو محاولة اصلاح أمر ما فاذا نحن نزيد الطين بلّة.

اننا وإن اخفقنا في ذلك فلا نلام على ذلك لأن النوايا هي المعيار أما الاكتفاء بالنيّة والتخلّي عن العمل فان هذا يؤخر ولا يقدّم لأن صرف النية في السير لا ينفك من مكان إلى مكان الاّ أن تقوم بالفعل الحكمي.

١ـ تفسير ابن كثير: ٣٤٣/٢.

وهذا ينسحب على مسألة الدعاء لأن الاكتفاء به لن يعود علينا بالنفع أبداً الدعاء المطلوب ما رافقه عمل وسعي ومثابرة.

والدعاء في الحقيقة يعني الاقدام والسعي والمبادرة ومن هنا جاء المثل:

«منك الحركة ومن اللّه البركة».

وجاء في الحكايات: ان الخواجه ذهب الى السوق لشراء خادم فقال أحد الغلمان يمدح نفسه: ان لي من المحاسن الكثير من جملتها انني أعرف ما يحتاج مولاي قبل أن ينطق بحاجته !

فاشتراه الخواجه واصطحبه الى المنزل وبعد أيام عطش الخواجة وانتظر أن يدرك خادمه ذلك ويحضر له الماء لكن دون جدوى.

فنهض بنفسه بعد أن يئس من الغلام فشرب من الجرّة وحينئذٍ قال الغلام: يا خوجه الآن عرفت انك عطشان لأن للحاجة علامة وعلامتها الحركة.

٤ ـ ضبط الاهواء واجتناب الشهوات:

ينطوي الانسان على قوتين متضادتين الاولى هي العقل الذي يظهر للانسان الأعمال الحسنة وقد اطلق العرفاء على هذه القوة بـ« العقل ».

والأخرى القوة التي يعبر عنها بالنفس التي تقف في مقابل العقل وتدعى الأهواء وهي قوة شيطانيّة تقود الانسان الى الشهوات.

وتموج في داخل النفس الانسانية نزعات حيوانيّة وكما يخدع الطفل بالحلوى فانها تقوم بخداع الانسان وتقوده الى الطريق الخاطئ والذي لا تكون نهايته سوى المرارة والألم والخسران.

وفي طليعة الاصول في محاربة الأهواء النفسية هو التعرف على القوى المختلفة

وفي غير هذه الحالة فانه من الممكن أن تقوم القوى الظلمانيّة في النفس بالتمظهر أمام الانسان بصورة ايجابية ثمّ تقوده الى الضلال.

وقد شبّه سلطان ولد في «رباب نامه» القوى الظاهريّة والباطنيّة بالغول الاسود والغول الأبيض فيقول:

ان الغيلان البيض والسود في نفوس الناس فحالات مثل الزنا والقتل وأكل الحرام وغيرها غيلان سود وأن الجميع يراها رأي العين.

أمّا الحالات الحسنة ترك الدنيا والاشتغال بالطاعة والعبادة والخير من حيث الظاهر لغرض مقبولية الخلق فهذا الغيلان البيض وهذه لا يراها أحد الاّ الأولياء الذين هم في نظر دائم في الباطن فيرون الغيلان السود والبيض ثمّ قضوا عليها.

والشهوات واللذائذ خارج الحدود الالهيّة فانها مهما بدت في الظاهر حلوة لذيذة ولكنها غداً عند ما يتضح باطنها تظهر في صورة عذاب أبدي دائم مستمر لا يستطيع الانسان الخلاص منه.

جاء في الحديث النبوي الشريف:

«حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكارِهِ وَحُفَّتِ النّارُ بِالشَّهَواتِ»[1].

ان الطريق الملئ بالأشواك والمرارات والآلام والمعاناة هو الطريق الذي يؤدّي إلى الجنّة وحسن المآب.

أما الطريق الملئ بكلّ ما لذّ وطاب من رياض وورد ونخيل وأعناب فهو الطريق الذي يقود الى النار واليم العذاب.

١ـ روضة الواعظين: ٤٢١/٢، مجلس فى الحث على مخالفة النفس؛ بحار الأنوار: ٧٢/٦٨، باب ٦٢، حديث ٤٢.

فمن سلك طريق المرارة والآلام فان عاقبة أمره الى حسن الختام في الجنات ومن سلك طريق اللذائذ والحلاوة والشهوات فان النهاية ستكون الهاوية والنيران.

٥ ـ المجاهدة والمعاناة والجوع:

ان الاستغراق في الحياة الدنيويّة الماديّة ونسيان جوار الحق يؤدي الى الاوهام الظنون والأفكار النفسانيّة والانصراف الى الظنون والى فكرة من أفكار النفوس هو في الحقيقة نوع من الصنمية تحول دون وصول الانسان الى الكمال وهذه الأفكار الظلمانيّة حجب تحول بين العبد وربّه ولا يمكن رفعها الاّ بالمجاهدة والرياضة الروحية.

٦ ـ العبادة:

ان محاربة الأهواء وممارسة الرياضات الروحيّة لا تجدي نفعاً من دون عبادة ومن دون خدمة في طريق الحق وقد قال عزّ من قائل:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

لأن الغاية الالهيّة من خلق الانسان هو العبادة فان تمرّد الانسان اليوم فالجحيم له بالانتظار ولا من طريق للفرار.

٧ ـ اتباع الولي الحق:

ولو طوى الانسان المراحل الست من دون ولي ودليل الهي فلن يصل إلى شيء.

فمثلاً لو عبد أحدهم وكان في مجاهدة ورياضة مستغرقاً في التفكّر مستمراً في محاربة النفس ثمّ لا يؤمن بنبي الاسلام محمّدﷺ فلن يصل الى شيء ولن تقبل عبادته الى الأبد.

١ـ الذاريات ٥١: ٥٦.

ففي عهد رسول اللّه يتوجب على المرء أن يقتدي به وفي عهد الامام يجب أن يقتدي بالامام وفي زمان الغيبة ينبغي أن يكون ذلك تحت اشراف عالم رباني.

فان طويت المراحل السبع بلغت حدود الطهر والصدق وحصلت على ما هو جدير بك من الدرجات وكنت مؤهلاً أن تطأ بساط الحضرة الالهيّة والجلوس في مقام القرب.

وقد قال الامام الصادق عليه السلام:

«لا يَطَأُ بَساطَهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ وَلا يُؤذَنُ لِمُجالَسَتِهِ إلاَّ الصِّدِّيقُونَ»

علامات الأطهار والصدّيقين:

للأطهار والصديقين علامات يعرفون بها وقد ورد في الآيات والروايات من العلامات ما لا يحصى ومن جملتها قوله تعالى:

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[1].

وبطي المراحل المذكورة تبلغ طائفة من بني آدم نقطة رضوان الحق وبساط الخدمة ومقام القرب حيث ينفتح عليهم الفيض الالهي وحينئذٍ يشاهدون ما تجب مشاهدته ويسمعون ما يجب سماعه ويحصلون ما ينبغي الحصول عليه.

وما أغفل الذين لا يرون الحقيقة وما أشقى الحمقى والذين لم يسلكوا الطريق وما أغفلهم عن ذلك العالم الرفيع.

يقول العارف الحاج ميرزا حبيب الخراساني:

١ـ آل عمران ٣: ١٧.

يا من تقول انه لا وفاء... ولا لألم الهجران دواء.

ويا من تقول ان الاسكندر والخضر اسطورة وانه لا وجود لعين الخلود...

فمن أين تتألف انوار الجوهرة إذا لم يكن هناك من بحر.

ثم اصبح الحجر جوهراً والتراب تبراً والجسد روحاً بيضاء ومن اين معنى الشمس إذا لم يكن نور وضياء.

ثم جاء الفقير فاصبح موسراً والشحاذ ملكاً.

فلا تقل لملك الارواح لا عطاء له ولا جود بل هو كذلك.

قال تعالى:

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللّه وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّه وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[2].

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّه وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّه وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

١ـ آل عمران ٣: ١١٤.

٢ـ الانفال ٨: ٧٤.

٣ـ التوبة ٩: ١١٢.

﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّه أُولئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١].

والآيات في مضمار علامات الابرار والصديقين كثيرة فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات كتاب اللّه من علامة للطائفتين وكذا تحفل الروايات بمثل ذلك.

ويمكن مراجعة كتب الأخلاق حيث يجد المرء بحراً من المعارف الالهيّة ترسم صور الصديقين وان شاء المرء مثالاً ينبض بالحياة فهذا مولى الموحدين أميرالمؤمنين وقد ورد في تفسير الصديقين في القرآن ان المصداق هو علي عليه السلام[٢].

فقد بلغ قمم الكمال في كلّ شيء حتى قال فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي مستدلاً على امامة علي للجميع:

«إِسْتَغْناءُهُ عَنِ الْكُلِّ وَاحْتِياجُ الْكُلِّ إِلَيْهِ دَليلٌ عَلى أَنَّهُ إمامُ الْكُلِّ».

كما ورد في الروايات التفسيريّة ان المراد من الصادق والمصدق والصديق في القرآن الكريم هو علي عليه السلام[٣].

من هنا فاننا اذا أردنا أن نعرض صورة واضحة الملامح للصديق الطاهر نظرنا الى علي بكلّ صفاته فهو نبع العلم والعدل والعفّة والطهر ومثال العبادة والعصمة والكرامة والشرف والفضيلة والاحسان والكرم والجود والسخاء وكلّ الصفات الانسانيّة العليا.

على عليه السلام المثل الأعلى للانسان

١ـ الحجرات ٤٩: ١٥.

٢ـ تفسير القمي: ١٤٢/١؛ سفينة البحار: ٦٦/٥، الصدق ومدحه.

٣ـ سفينة البحار: ٦٧/٥، الصدق ومدحه.

وما أحرانا أن نطالع صورة رسمها كاتب موسوعة «**صوت العدالة و الانسانيّة**» انه جورج جرداق فلنبحر عبر كلماته وهو يحاول أن يصور لنا علياً وهو يقف على «هامة التاريخ ».

يقول الكاتب المسيحي في علي بن أبي طالب عليه السلام:

هل عرفت عظيماً ساق الى مدارك الناس حقيقةً انسانيّة قديمة كالأزل باقية كالأبد عميقة حتى ليستشفّها كبار العقول والنفوس كلّ منهم على نهجه ووفق مزاجه وحتّى ليأبى العاديّون الاّ العيش في ظلالها وهم لا يعرفون؛ فاذا بهم يرضون بما قسط لهم الأجداد والآباء من أفكار وآراء لا تتطلب منهم عناء ولا جهداً لأنها أُنزلت فيهم منزلة العادة والتقليد حقيقة كانت أساساً لفلسفات ايجابية وأُخرى سلبيّة وأعني بها البحث عن المطلق للاستقرار.

والبحث عن المطلق لا يعني في أعماقه الاّ البحث عن الحقيقة في وجه من الوجوه، يتعاون في هذا البحث العقل والقلب والخيال وما ينبثق عنها من خلق، ثم الظرف والمناسبة والدوافع والنوازع على اختلاف معانيها وأشكالها وقد أدرك هذا المطلق على نحو معيّن.

ثمّ أدرك بعقله وقلبه ان في كلّ استقرار على المطلق قوة فاذا هو مثال هذه القوة واذا قوّته تبدو في انتصاره وانكساره على السواء لأنها هنا وهناك هي الغالبة القاهرة سيّان عندها النصر والهزيمة في ميدان القتال وميدان السياسة وكلّ ميدان فليس في الغلبة أو الهزيمة محكّ لها، فهي انّما تحمل بذاتها كلّ مقياس وكلّ ميزان.

هل سألت تاريخ هذا الشرق عن صلابة العقيدة لا تجرّحها الزلازل ولا يشوبها من البراكين وهن ! وأي زلزال أشدّ على العقيدة من ائتمار أقلّه اجماع الخصوم وهم كُثر أقوياء، على التخطئة والتكفير وما إليهما من ذنوب ! وأي

بركان احرق للعقيدة من التهديد بالموت المحتوم ثمّ من الموت نفسه ! ثمّ هل سألت كيف يكون الصراع من أجل العقيدة لا يوارب ولا يساوم ولا ينطوي على نفع ولا يدور في نطاق من الاثرة والاستعلاء اللّهمّ الاّ اذا كان نجاح العقيدة هو النفع والاستعلاء والأثرة.

هل طلبت الى الدنيا أن تناجيك بحديث الرحمة تنطلق من قلب ملأته الرحمة ومن لسان تجري عليه برداً وسلاماً، فاذا هي القوة الغالبة تتحطّم على بابها مغريات الأرض المتفجّرة بالمغريات تأتي من غير مصائرها، في عهد هو عهد القسوة والاستغلال واحتكار المنافع يتقابل عليها الخصوم ثم يلتقون على قتال صاحب القلب واللسان الرحيمين.

هل عرفت البراءة في قاموس الكلمات التي يردّدها الناس يكتبونها ويعيشونها في كثيرهم أو قليلهم وكل منهم يأخذ منها بحكم تكوينه تنادي اليها أخواتها جميعاً من سلامة القلب وصفاء النيّة والطهارة الخالصة التي لو مثّلتها لما أحسنت لها تشبيهاً بدموع الليل وأنداء الفجر لأنها طهارة الانسان ما فَضِلَه فجرٌ ولا ليل ! البراءة الصافية الطاهرة تنبع من القلب السليم الطاهر الذي تطمئن الى صاحبه كما يطمئن الشتاء الى حرارة الشمس وتثق به كما تثق الأرض بالماء فتحيا وتخضّر.

هل عرفت عظيماً أدرك من أسباب المحبّة والوفاء فوق ما أدرك الآخرون ثمّ ما أدرك هذه المحبّة وهذا الوفاء الاّ في نطاق الطبع الخالص الذي يجري بنفسه من نفسه، فأحبّ وما تكلّف حباً ووفى وما تكلّف وفاءً وفهم بعميق فكره وعميق حسّه انّ الحريّة لها قدسيّة يريدها الوجود ويأبى عنها بديلاً وفي رحبها تدور كلّ عاطفة وكلّ فكر وفي رحبها يكون الحب ويجري الوفاء صريحين طليقين، فاذا «**شرّ الاخوان من تكلّف له**» واذا خيرهم غير هذا.

هل سألت عن حاكم يحذّر نفسه أن يأكل خبزاً فيشبع في مواطن يكثر فيها من لا عهد لهم بشبع وأن يلبس ثوباً ناعماً وفي أبناء الشعب من يرتدي خشن اللباس، وأن يقتني درهماً وفي الناس فقر وحاجة، ويوصي أبناءه وأنصاره ألاّ يسيروا مع نفوسهم غير هذه السير ثم يقاضي أخاه لمكان دينار طلبه من مال الشعب من غير بلاء، ويقاضي أعوانه ومبايعيه وولاته من أجل رغيف يأكلونه في رشوة من غني فيتهدّد ويتوعّد ويبعث الى أحد ولاته بأنه يقسم باللّه صادقاً إن هو خان من مال الشعب شيئاً صغيراً أو كبيراً ليشدنّ عليه شدّة تدعه قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر ويخاطب آخر بهذا القول الموجز الرائع الايجاز: «بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك وأكلت ما تحت قدميك فارفع إليّ حسابك» ويتوعد ثالثاً ممن يرتشون ويسعون في الاثراء على حساب المستضعفين، يقول: «فاتّق اللّه وارددد الى هؤلاء القوم أموالهم، فانّك إن لم تفعل ثمّ أمكنني اللّه منك لأعذرنّ الى اللّه فيك، ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلاّ دخل النار».

هل عرفت من الخلق أميراً على زمانه ومكانه يطحن لنفسه فيأكل ما يطحن خبزاً يابساً يكسره على ركبتيه، ويرقع خفّه بيديه ولا يكتنز من دنياه كثيراً أو قليلاً على ما مرّ، لأن همّه ليس إلاّ أن يكون للمستضعف والمظلوم والفقير ينصفهم من المستغلّين والمحتكرين ويمسك عليهم الحياة وكريم العيش، فما يعينه أن يشبع ويرتوي وينام هانئاً وفي الأرض «من لا طمع له في القرص » وفيها «بطون غرثى وأكباد حرّى» قائلاً، ويا لشرف القول: «أأقنع من نفسي بأن يقال اميرالمؤمنين ولا أُشاركهم مكاره الدهر» ولأن أقل ما في هذه الدنيا شأناً هو خير عنده من ولاية الناس إن لم يقم حقّاً ويزهق باطلاً؟

هل عرفت، في مواطن العدالة، عظيماً ما كان إلاّ على حقّ ولو تألّب عليه الخلق في أقاليم الأرض جميعاً وما كان عدوه الاّ على باطل ولو ملأ السهل والجبل لأن العدالة فيه ليست مذهباً مكتسباً وان أصبحت في نهجه مذهباً فيما بعد وليست خطة أوضحتها سياسة الدولة وإن كان هذا الجانب من مفاهيمها لديه، وليست طريقاً يسلكها عن عمد فتوصله من أهل المجتمع الى مكان الصدارة وإن هو سلكها فأوصلته الى قلوب الطيبين، بل لأنّها في بنيانه الأخلاقي والأدبي أصل يتّحد بأصول وطبع لا يمكنه أن يجوز ذاته فيخرج عليها حتى لكأنّ هذه العدالة مادة رُكّب منها بنيانه الجسماني نفسه في جملة ما ركب منه، فاذا هي دم في دمه وروح في روحه.

هل عرفت في موطن الخصومات عظيماً حاربه ذوو المنافع وفيهم نفر من ذوي قرباه وقاتلوه فخذلت المفاهيم الانسانيّة المنتصرين عليه لأنّه انتصار للحيلة والمساومة والائتمار وكسب الدنيا بسيف ظالم غاشم ورفعت المنكسر لأن انكساره في ضوء العقل والقلب يتضمن جوهر الشهادة في سبيل كرامة الانسان وحقوقه وما يتوق اليه من بلوغه العدالة والمساواة وهكذا كان نصرهم هزيمة وانكساره انتصاراً عظيماً لقيمة الانسان.

هل سألت التاريخ عن محارب شجاع فائق الشجاعة، يبلغ به حبّه لصفة الانسان في مقاتليه، ويبلغ عطفه عليهم أن يوصي أصحابه وهو المصلح الصالح الكريم المغدور به، فيقول: «لا تقاتلوهم حتّى يبدأوكم، فاذا كانت الهزيمة باذن اللّه فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً، ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى» ثمّ تجليه عن الماء عشرات الألوف المؤلّفة من طالبي دمه على غير حق ويبلغونه انهم سيمنعون عنه الماء الجاري حتّى يموت عطشاً فيزلزلهم عن الماء

ويحتلّه ثمّ يدعوهم الى هذا الماء أسوةً بنفسه وبصحبه وبالطير الشارب ولا زاجر له ثمّ يقول: «ما المجاهد الشهيد في سبيل اللّه بأعظم أجراً ممّن قدر فعف: لكاد العفيف أن يكون ملاكاً من الملائكة» حتى اذا هو طالته اليد الآثمة فقضت عليه، قال لصحبه بشأن قاتله: «لأن تعفو أقرب الى التقوى».

محارب شجاع تتّصل في قلبه أسباب الشجاعة الغريبة والفروسية النادرة بأسباب العطف والحنان العجيبين، فيعاتب المتآمرين به وله القدرة على ان يضرب فيصرع وهو لا يعاتبهم الا منفرداً أعزل حاسر الرأس وهم مدججون بالسلاح لا يكاد يبدو لهم وجه الاّ من خلاله ثمّ يذكّرهم بالاخاء الانساني وبالمودّات ثمّ يبكي لهم اذا هم حثّوا السير في هذه الطريق حتّى اذا أبوا الاّ دمه وهو سيف المستضعف والمحروم صبر لهم حتى يبدأوه القتال، ثمّ راح يزلزلهم زلزلة ويقصفهم قصفاً ويعصف بمطامعهم كما تعصف الرياح السافيات برمال الصحراء فتذروها بدداً بدداً وهو لا يصرع منهم الا الطاغية الباغية الذي تبيّن فيه العداء والقصد للشر ثمّ اذا هو ظفر بكى قتلاهم وهم في الواقع قتلى الانانية والاثرة تأتيهم من المطمع السقيم والهوى المنحرف.

هل عرفت من الخلق أميراً توافرت لديه أسباب السلطان والثروة كما لم تتوافر لسواه فاذا هو منها جميعاً في شقاء وحسرة دائمين.

وتوافرت لديه محاسن الحسب الشريف فقال: «لا حسب كالتواضع».

وأحبّه محبّوه فقال: «من أحبّني فليستعد للفقر جلباباً».

وغالوا في حبّه فقال: «هلك في محبّ غال» بعد أن خاطب نفسه يقول: «اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون» فألّهوه فعاقبهم أشد عقاب وكرهه آخرون فوقف منهم موقف الناصح لاخوانه في الخلق وسبّوه فاستاء صحبه وأجابوهم بالسباب فقال

لهم: «أكره لكم أن تكونوا سبّابين» وخاصموه وأساؤوا اليه وما حفظوا له غيبة ثمّ خرجوا عليه فكان يقول: «عاتب أخاك بالاحسان اليه وارددە بالانعام عليه».

و «لا يكوننّ أخوك على مقاطعتك أقوى منك على صلته ولا يكوننّ على الاساءة أقوى منك على الاحسان».

وأغروه بمسايرة بعض الآثمين ولو الى حين حفاظاً على سلطانه، فقال: «صديقك من نهاك وعدوك من أغراك» ثمّ أردف: «آثر الصدق حيث يضرّ بك على الكذب حيث ينفعك» وحاربه من أسدى اليهم معروفه فخاطب نفسه يقول: «لا يزهدنّك بالمعروف من لا يشكر لك».

وتحدّثوا لديه عن نعيم الأرض فنظر الى المتحدّث يقول: «كفى بحسن الخلق نعيماً».

ثمّ عادوا يغرونه بالنصر يأتيه على اسلوب الحاكمين فقال: «ما ظفر من ظفر الاثم به والغالب بالشر مغلوب».

وعلم من سيئات أخصامه ما لا يعرفه سواه، فغضّ عنها طرفه وسلا خاطره وهو يردد: «أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم».

وأعان أعداؤه والجهلة من أنصاره الدهر عليه بما يدخل التشاؤم بالناس في كلّ قلب، فاذا به ما يزال يقول: «لا تظننّ بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً».

هل عرفت إماماً لدين يوصي ولاته بمثل هذا القول في الناس: «فانهم إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.

أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك اللّه من عفوه وصفحه».

هل عرفت صاحب سلطان تمرّد على سلطانه لاقامة الحق في الشعب وصاحب ثروة أنكر منها الاّ القرص الذي يمسك عليه الحياة وما الحياة لديه الاّ نفع اخوانه

في الخلق أمّا الدنيا فلتغرّ سواه.

ثمّ هل سألت تاريخ هذا الشرق عن نهج للبلاغة آخذ من الفكر والخيال والعاطفة آيات تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي الانسان وما بقي له خيال وعاطفة وفكر مترابط باياته متساوق متفجّر بالحس المشبوب والادراك البعيد متدفّق بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق الى معرفة ما وراء هذا الواقع متآلف يجمع بين جمال الموضوع وجمال الاخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول أو الشكل بالمعنى اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء فما أنت ازاءه الا ما يكون المرء قبالة السيل اذ ينحدر والبحر اذ يتموّج والريح اذ تطوف أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لابدّ له أن يكون بالضرورة على ما هو كائن عليه من الوحدة التي لا تفرّق بين عناصرها الا لتمحو وجودها وتجعلها الى غير كون.

بيان هو من مشاركة الحس السمعي للعقل بحيث يحوّل لك المعاني الى أنغام هي في حدّ ذاتها المعاني الكاملة كما تشاء الطبيعة الحيّة وتريد. وهو من مشاركة الحس النظري للعقل بحيث يحوّل لك المعاني إلى لوحات فنيّة لها خطوطها وأشكالها وألوانها، فاذا بك من ذلك في عالم زاخر بروائع الفن تتمازج به صور وموسيقى وأنعام وألوان.

بيان لو نطق بالتقريع لا نقض على لسان العاصفة انقضاضا ولو هدّد الفساد والمفسدين لتفجرّ براكين لها أضواء وأصوات.

ولو انبسط في منطق لخاطب العقول والمشاعر فأقفل كلّ باب على كلّ حجة غير ما ينبسط فيه ولو دعا الى تأمّل لرافق فيك منشأ الحس وأصل التفكير فساقك الى ما يريده سوقاً ووصلك بالكون وصلاً ووحد فيك القوى للاكتشاف توحيداً.

وهو لو راعاك لأدركت حنان الأب ومنطق الابوة وصدق الوفاء الانساني

وحرارة المحبة التي تبدأ ولا تنتهي أمّا اذا تحدّث إليك عن بهاء الوجود وجمالات الخلق وكمالات الكون فانما يكتب على قلبك بمداد من نور النجوم بيان هو بلاغة من البلاغة وتنزيل من التنزيل بيان اتّصل بأسباب البيان العربي ما كان منه وما يكون حتّى قال أحدهم في صاحبه: ان كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

هل عرفت عقلاً كهذا العقل وعلماً كهذا العلم وبلاغة كهذه البلاغة وشجاعة كهذه الشجاعة تكتمل من الحنان بما لا يعرف حدوداً حتى ليبهرك هذا القدر من الحنان كما يبهرك ذلك القدر من المزايا تلتقي جميعاً وتتّحد في رجل من أبناء آدم وحواء.

فاذا هو العالم المفكّر الأديب الاداري الحاكم القائد الذي يترك الناس والحكام وذوي المطامع والجيوش يتآمرون به ليطل عليك فيهزّ فيك مشاعر الانسان الذي له عواطف وأفكار، فيهمس في قلبك هذه النجوى الرائعة بما فيها من حرارة العاطفة الكريمة قائلاً:

«فقد الأحبّة غربة» أو «لا تشمت بالمصائب» أو «ليكن دنوّك من الناس ليناً ورحمة» أو «واعف عمّن ظلمك واعط من حرمك وصل من قطعك ولا تبغض من أبغضك».

هل عرفت من الخلق عظيماً يلتقي مع المفكرين بسموّ فكرهم ومع الخيّرين بحبّهم العميق للخير ومع العلماء بعلمهم ومع الباحثين بتنقيبهم ومع ذوي المودة بموداتهم ومع الزهاد بزهدهم ومع المصلحين باصلاحهم ومع المتألمين بالامهم ومع المظلومين بمشاعرهم وتمردهم ومع الأدباء بأدبهم ومع الأبطال ببطولاتهم ومع الشهداء بشهادتهم ومع كلّ انسانية بما يشرّفها ويرفع من شأنها ثمّ انّ له في

كلّ ذلك فضل القول الناتج عن العمل والتضحية المتصلة بالتضحية، والسابقة في الزمان.

عظيماً يهون لديك أمر غالبيه ونصر المنتصرين عليه لأن أيامهم إنّما هي من الأيام التي عجّت بالمتناقضات واصطبغت بالغرائب حتى أصبح فيها شمال الحياة يمينها وتحتها فوقها وأرضها سماءها.

وسواء لدى الحقيقة والتاريخ أعرفت هذا العظيم أم لم تعرفه فالتاريخ والحقيقة يشهدان أنه الضمير العملاق الشهيد أبو الشهداء علي بن أبي طالب صوت العدالة الانسانيّة وشخصية الشرق الخالدة.

وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كلّ زمن عليّاً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره.

الى رحاب المعبود:

أجل ان للأطهار والصديقين أوصافاً اخرى وهوية غير التي للآخرين وان للأطهار والصديقين قلوباً وأرواحاً غير التي لدى غيرهم.

انهم ومنذ بدء الصحوة والرؤية قد انبروا لتطهير وتزكية وجودهم فاذا قلوبهم لا يسكنها سبحانه واذا هم قد بلغوا في حضرته غاية الذل فنعموا بالعزّة التي هي هبة اللّه لعباده المؤمنين واذا هم في منتهى الخضوع والخشوع في رحابه فنعموا من عنده بالسيادة والامارة اختاروا الموت لكي يحيوا خالدين ووجدوا حقيقة الجنّة والنار في أعمالهم لكي ينجون من النار الى الأبد ويدخلوا جنة عرضها السموات والأرض.

لا يعرفون في الوجود غير جلال اللّه وجماله وكماله وكل ما هو غيره انما هو

منه سبحانه واليه فحصلوا على اذن الدخول في بساط المعبود ومجالسة المحبوب في مقام القرب.

يقول سعيد الدين الفرغاني في «**شرح تائيه ابن فارض**»:

أَتَيْتَ بُيُوتا لَمْ تَنَلْ مِنْ ظُهُورِها وَأَبْوابُها عَنْ قَرْعِ مِثْلِكَ سُدَّتْ

لقد سلكت الطريق الذي يوصلك الى لا شيء...

كنت تحمل من صفات نفسك المستعارة... وان بقيت شعرة من وجودك وذاتك فستبقى أسيراً... ولا يمكن دخول البيوت من ظهورها... وبيت الوصال لا يفتح بابه لمن يأتيه من ظهره... لأن أطراف هذا المكان محصّنة بالعزة.

﴿إِنَّ الْعِزَّةَ للّه جَمِيعاً﴾[1].

ودونه سد محكم لأنه ليس من البر دخول البيوت من ظهورها:

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهَا﴾[2].

ان رحاب الوصل حصن منيع وأبوابه أسماء وصفات هي مراتب الوصل ولن يفتح الحصن أبوابه لمن يقرع اذا لم يطو المراتب.

اجتث فؤادك من هذه الأرض اليباب واسرع الى السماء... فاذا لم تفعل سيبقى هاهنا قلبك ومن دون قلب... سوف تبقى هناك في عذاب...

واحسرتاه عند ما يحب القلب شيئاً سيزول... أو هو مثل السراب... انما الدنيا سراب في سراب... يركض العطشان نحوه ويحسبه شراب... فاذا لا ماء للظمآن

١ـ يونس ١٠: ٦٥.

٢ـ البقرة ٢: ١٨٩.

لا شيء سوى دنيا خراب...

التحلّي بالحسنات مع طهارة النفس:

وما لم تتطهر النفس من الشوائب والملكات الشيطانية والرذائل والهواجس الابليسية وتتحلّى بالحسنات والمحامد وتلتزم جانب الصدق في كلّ شؤون الحياة فانها لن تكون جديره بمقام القرب ولا مأذونه بمجالسه جناب المحبوب.

إن العامل الرئيسي الذي يفتح الطريق للانسان نحو الحق هو تزكية النفس وتصفية الروح من السيئات والمكروهات.

حالات نفس:

جاء في كتاب «**مشارق**»:

اعلم ان للنفس ثلاث صفات ولكل صفة حالة:

الأولى: الأمّارة بالسوء.

﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[1].

وهذه الصفة في حالة كون النفس لم تخرج من طبعها ولم تشعر بعد بالالوهيّة للّه تعالى الخالق والمبدأ وان اليه المعاد حتماً.

﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً﴾[2].

ولا جرم فهي تطلب حظها ولذاتها الحسية والوهمية والدنيوية وكل همها في الأنغماس في ذلك.

١ـ يوسف ١٢: ٥٣.

٢ـ يونس ١٠: ٤.

الثانية: اللوامة.

قال تعالى:

﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[١].

وهذه الصفة بحسب الحالة التي تحصل بعد خروجها (النفس) من حجب الطبيعة من لابدية العدد والحقيقة. منه بدأ واليه يعود وحصول الاسلام ووعي الاقوال والأفعال والحركات والسكنات واستيفاء الحظوظ واللذات التي يضبطها الشرع وتجعل ذلك قبلتها ولا تحيد عن مقتضاه.

اما اذا غلبت أحكام الحجب على حكم الوعي وتجاوزت الطباع ضابط الشريعة ويحصل اللوم بسبب ذلك لتأثير الوعي في طلب اللذة المشروعة وهذه الصفة في النفس اللوامة لها ثلاث مراتب بحسب لطافة الحجب وكثافتها وحكمها في ثلاث درجات الاسلام والايمان والاحسان.

وأوّل مراتبها الاسلام وهذه الدرجة الاولى من اللوامية وهي تشارك الامارية في قوّة الحجب وغلبتها وتتباين معها عند المنع في الطاعة لأن النفس الامارة تمتنع بالمنع أبداً وتلجّ في طلب الشهوة.

والمرتبة الثانية بحكم مرتبة الايمان في لومها من طلب وترك اللذات بملازمة الخيرات والطاعات خالصة لوجه المحبوب والسير في احوال واخلاق ومقامات الرقي حتى يكون اللوم في حال اتيان كلّ طاعة أو التخلّق بكلّ خلق أو يكون اللوم عن القصور والحرمان فتشتغل بتحصيل ذلك.

والثالثة: مرتبة اللواميّة بمقتضى مقام الاحسان الذي يتعلّق بسفر السير الى اللّه.

١ـ القيامة ٧٥: ٢.

الصفة الثالثة: المطمئنة.

قال تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[١].

وهذه الصفة مرتبة على حالة السالك الذي اعرض عن كلّ الصفات النفسانيّة واللذات والأماني فيكون السالك في حالة عودة الى المبدأ.

قال تعالى:

﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢].

يقول صدقي الأفغاني:

اسقني ايها الساقي شربة استمد منها الحول.

ونفخة في التراب نفخت فصار انساناً.

وانفخ في الجسد الروح.

ونظرة منك في الفؤاد وكلمة تحيا بها الروح.

١ـ الفجر ٨٩: ٢٧ ـ ٢٨.

٢ـ الفجر ٨٩: ٢٨.

«وَهَبِ الْقُدُومَ إلى بَساطِ خِدْمَةِ الْمَلِكِ هِيْبَةَ المَلِكِ فَإِنَّكَ عَلى خَطَرٍ عَظيمٍ إنْ غَفَلْتَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلى ما يَشاءُ مِنَ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ مَعَكَ وَبِكَ»

عدم الغفلة أثناء دخول المسجد:

عادة ما يتهيب المرء وهو يدخل على مسؤول كبير يشغل موقعاً اجتماعياً أو سياسياً مرموقاً وحالة التهيب هذه نابعة من احساس المرء أنه يدخل على شخص عظيم.

ان المسجد هو بيت اللّه وهو سبحانه العظيم المطلق وعليه ينبغي أن ينتاب المؤمن احساس بالهيبة وهو يلج باب المسجد لأنه يدخل على رب الأرباب ومالك الملوك فلا يجدر بالمرء العاقل أن يغفل عن هذه الحقيقة كما ان هذه الغفلة تكلف الانسان غالباً لأنه جلّ جلاله قادر على كلّ شيء قادر على ان يعاملك بعدله وبفضله.

ونحن في المرحلة السفلى من العقل والادراك فان الالتفات الى عظمة الحبيب لا تتيسر الاّ في التأمل في كتاب الآفاق والأعماق إذ ليست لدينا تلك القلوب والبصائر حتى ندرك عظمته التي لا نهاية لها.

وكيف يتأتى لنا رؤية جمال الحبيب وبصائرنا ليست حديدة النظر.

وقد دعانا القرآن والآيات والأخبار والروايات لادراك هيبته من مطالعة آثاره التي هي بعض ما يعكس عظمته فلعل رؤية الآثار تزيد من همتنا وننهض لرؤيته

ببصيرتنا فالهمة من الصفات البارزة في النفس الناطقة.

علوّ الهمّة وعظمة الروح:

يقول المرحوم شارح «**فصوص الحكم**» المعلم الثاني أبونصر الفارابي في آثار النفس الناطقة يقول ان من صفات النفس الناطقة القدسية صفة النباهة وعلو الهمّة فكلّ من بلغ ما بلغ من المقامات في ا لعالم فبهمته العالية وبعد النظر.

والروح الكبيرة ممتزجة دائماً بالامور العالية والأعمال الرفيعة وتتطلع إلى الرقي المعنوي وهي لا تذعن أبداً للقبائح الاخلاقيّة والدناءة والذلّ في نيل المقاصد.

وهذه القوة العالية من أخلاق النفوس المستعلية ومن خواص هذه الأخلاق وهذه القوة الجود والسخاء والاحسان الى الخلق وكرم النفس والشجاعة والغيرة وعزة النفس.

وكلما كانت همة الانسان أعلى قل اكتراثه لما هو زائل من مال وجاه دنيوي فهو ان كان غنياً كان سخياً وان كان فقيراً كان صبوراً وهو في حالتي الفقر والغنى يكون أبياً عالي الهمة عظيماً وتراه مع ذلك متواضعاً للناس الفقراء بايمانه وللمساكين بعلمه ومعرفته لا يحتقر أحداً أبداً.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام:

«**الشَّرَفُ بِالْهِمَمِ لا بِالرِّمَمِ البالِيَةِ**»[1].

وخلاصة القول ان صفة علو الهمة وعظمة الروح التي يلازمها الكثير من الأوصاف الايجابية والمحامد الاخلاقيّة احدى قوى النفس القدسيّة ولعلّ المراد من النباهة الانتباه والانتقالات الدفعية وقوة الحدس والفراسة والصحوة.

١ـ غرر الحكم: ٤٤٨، الفصل الثامن فى الهمة، حديث ١٠٢٧٣.

«وَلَيْسَ لَهَا انْبعاثٌ وَهِيَ أَشْبَهُ الأَشْياءِ بِالنُّفُوسِ الْفَلَكِيّةِ وَلَها خاصِيَّتانِ النَّزاهَةُ وَالْحِكْمَةُ»[١].

وهي ليست منبعثة من الجسمانيات كالنفس النباتية والحيوانية بل انها أكثر شبهاً بالنفوس القدسيّة في عالم التجرّد والملكوت ومنزهة عن المادة وارقى من عالم الحسيات قريبة من النفوس الملائكية ونفوس العالم العلوي ولها خاصيتان النزاهة والحكمة.

معنى النزاهة والحكمة:

من المحتمل أن يكون المراد من النزاهة الكمال في العقل النظري وبعدها العلمي يعني تنزه الذات عن الادراكات الذاتية والمراد من الحكمة الكمال في العقل العملي وبعدها السلوكي يعني صدور الأفعال المناسبة للمقام الانساني والأعمال الواقعة في طريق تكامل الروح القدسيّة أو ان المراد من النزاهة مقام التجليات بالآداب والشرعية والتخلّي عن الرذائل الاخلاقيّة وأن المراد من الحكمة مقام التحلّي بالفضائل والكمالات الانسانيّة.

أو ان المراد من النزاهة الحكمة العلمية والحكمة العملية أو مقام الجامعية وعلامة الملك والملكوت أو الحكمة المشهودة على الأشياء على ما هي عليه بقدر طاقتها البشرية كما ورد في كلام النبي صلى الله عليه وآله:

«رَبِّ أَرِنَا الأَشْياءَ كَما هِيَ»[٢].

والنزاهة تزكية النفس:

١ـ بحار الأنوار: ٨٥/٥٨، تذييل وتفصيل فى بيان اقوال الحكماء.

٢ـ عوالى اللآلى: ١٣٢/٤.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾[١].

أو المراد من الحكمة التشبه باله عالم المعاني؛ يعني باخلاق اللّه والنزاهة زهد وتنزه النفس عن علائق العالم المادي.

والخلاصة ان المراد من الحكمة والنزاهة العتق والحب العلمي والعملي لعالم القدس والتجرّد.

وعلى أيّة حال ا ن هاتين الصفتين النزاهة والحكمة وفي أيّ من المعاني المذكورة أعلاه فمآلها جميعاً واحد وهو اختصاصها بالروح القدسيّة الناطقة للانسان كما هو الحال في النمو الذي هو خاصية النفس النباتية والشهوة والغضب اللتان هما خاصية النفس الحيوانية فان هذا الوصف (الحكمة والنزاهة) من خواص النفس القدسيّة للانسان.

النفس الكلية الالهيّة:

وبعد مقام النفس الناطقة القدسيّة، تأتي مرتبة النفس الكلية الالهيّة وهذه النفس جوهر لاهوتي وحقيقة ظلية الهية وكما ان النفس النباتية والحيوانية تنطوي داخل النفس الناطقة القدسية التي بعده منها في قوس الصعود، فكذلك النفس الكلية الالهيّة أيضاً بعد منها ناطقة قدسية واشرف وأكمل منها والنفس القدسيّة منطوية فيها ولها خواصها وكمالاتها.

أما معنى الكلية الالهية: روح أكبر من حدود المادة والمدّة والحد ونهاية المكان والزمان يعني: خارجة عن حدود المكان والزمان بل من المادّة بالمعنى الأعم الذي يعني تخطيها الماهية الامكانية الى قاعدة الاشراق: «**النَّفْسُ وَما**

١ـ شمس ٩١: ٩.

فَوْقَها إِنِّيَاتٌ صِرْفَةٌ». وكأن الوجود الصرف أصبح بلا حد ولا نهاية ولازمة هذا المقام شهود الحضرة الأحدية التي هي كل الوجود ووجود الكل في كلية الموجودات فحيث انظر ارى وجهه: «**ما رَأَيْتُ شَيْئا إلاّ رَأَيْتُ اللّه فيهِ**».

وتلك الروح التي عرضها عرض السماء والأرض وهي حدود المادة الجسمانية تنضوي تحت عالمها العظيم روح تمتد من الأزل الى الأبد وتطوي الماضي والمستقبل وهما حدود الزمان محلقة في الفضاء اللانهائي للعالم السرمدي والكون اللانهائي، روح أخرجت العالمين المادي والمجرد عالم الدنيا والآخرة عالم الجسم الحظور؛ والروح الى وحدة ساحة الحظور روح تنطلق من علوّ المقام ورفيع الهمة متخطية الكون والمكان الى تلك النفس الكلية العليا المستعلية على القيود الجزئيّة للمادة لا يشدّها الاّ العشق ولا يسعها غير شهود الحسن المطلق.

ادراك المقامات المعنويّة العالية بعلوّ الهمّة:

أجل عند ما يكون للانسان بعد في النظر وهمة عالية يحصل له ببركة ذلك ارتباط مع الأنبياء والأئمّة والأولياء الالهيين حيث لا هدف لهم ولا غاية الاّ حضرة الحق ولأجل ذلك فهم في البداية بمشاهدة الآثار يصلون الى اليقين ثمّ ينالون في جانب اليقين النفس القدسيّة وبعد ذلك ينطلقون نحو النفس الكلية الالهيّة وفي ذلك المقام يوفقون الى شهود الجمال وهيبة وعظمة الجلال قد دفعهم الخوف من الغفلة الى مراقبة النفس حتّى لا ينأوا عن المحبوب وفي ذلك كما قال الامام الصادق خطر وبلاء عظيم.

انّ المسجد بيته وبساطه ومن دون اجتياز النفس الامارة والوصول الى النفس الناطقة القدسيّة والتحلّي بالنفس الكلية الالهية لا يتيسر ادراك هيبة وعظمة ملك الملوك.

وان الذهاب البسيط العادي الى المسجد الذي أصبح عادة لا أكثر ليس له من ثواب الذهاب الواعي العميق.

فاسعوا من أجل الحصول على تلك الروح العالية وتكونوا جديرين بذلك المقام وبفيض لقائه بالبصيرة وتدركوا في بساطه عظمته وهيبته.

ولتخافوا ولتخجلوا ولتحترقوا بشعلة الخوف والحياء حتّى لا يبقى شيء من وجودكم فاذا بلغتم هذه المرحلة وصلتم مقام الفناء وستخلدون حينئذٍ ببقائه وأبديته وستقولون له:

افرغت قلبي من العالمين معاً من أجل أن يكون عرشك فيه[1].

وهذه الروح التي بواسطتها يجد الانسان طريقه الى بساط الحضرة فيرى ما ينبغي له أن يرى الروح التي يستحيل كل شيء ما سوى اللّه إلى لا شيء والى ذلك اشار أمير المؤمنين علي عليه السلام.

«عَظُمَ الْخالِقُ في أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَادُونَهُ في أَعْيُنِهِمْ»[2].

روح على خلاف الأرواح الجزئية لا تنظر الى الأشياء من زاوية المنفعة الشخصية والاستفادة المادية بل لأنها ظل الحق فهي مستغنية بالحق على جميع الكائنات شفيعة عليها رحيمة بها وغايتها انتفاع الخلق.

روح تتمتع بالعصمة والقدسية والنزاهة محفوظة من كل خطأ وانزلاق علمي وعملي تهيم بالحق وتشتاق الى الطاعة حتّى استحال الهيام والشوق الى جزء من فطرتها.

١ـ سعدى.

٢ـ نهج البلاغة: خطبه ١٨٤، خطبة المتقين؛ بحار الأنوار: ٣١٥/٦٤، باب ١٤، حديث ٥٠.

روح قد زالت عنها الرغبات الجزئيّة الى الكلية ومالت كليّاً الى نظام الكل عشقاً له فأصبح هذا العشق محل تلك الرغبات؛ روح لم تعد تتأثر بتأثيرات اللذات الحسية الزمانية وسوف لن تتأثر بالأماني المؤقتة الزائلة والأوهام والخيالات الشيطانية لأنها روح طاهرة.

روح يمكن أن نقول عنها انها عين يد اللّه وبيت اللّه وخليفة اللّه وظل اللّه ووجه اللّه وعبد اللّه روح انتقلت من ذاتها الفانية الى الحقيقة الباقية وفي عين الحرمان من كلّ نعمة سارعت الى لقاء المنعم ولذة الشهود، قد تحرّرت من عبادة الهوى الى عبادة الحقيقة وقد أدركت ان عبادة الهوى نقص ذاتي وعبادة اللّه هي الكمال المطلوب.

روح هي في عين فقرها غنية، قد استغنت عن كلّ شيء في العالم وعن كل العلل وأسباب الخلق الاّ عن المحبوب؛ فهي مستغنية عن كلّ ما يحتاج الخلق اليه ولسان حالها يقول:

إن كنا أقل من التراب شأناً وفقراً.

قد بلغنا المجد والغنى والعز بين الكائنات.

لأن هذه الروح قد بلغت كنز المعرفة ونالت سلطان الشهود والوصال الالهي فهي غنية كلياً عن غير اللّه وكل شيء لديها عديم التأثير في ذاته بل انه عدم معدوم وفان باطل زائل.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللّه هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللّه هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1].

١ـ لقمان ٣١: ٣٠.

روح ترى كلّ الخليقة ذليلة في حضرة الخالق فارتقت بعزّ العبوديّة الى ما هو أعلى من الملوك وأفضل؛ فهي ذليلة في الحضرة الالهيّة العظمى ولسان حالها يقول: كن له عبداً فلفتة منه تجعل منك سلطاناً في العالمين.

روح هي صبورة في طريق وصل المحبوب ولا تضطرب للبلايا في طريق العشق.

قد رأيت اللذائذ في البلايا... هائم هائم هائم به...

ايها البلاء أنت اسمى من المجد وانتقامك احب الي من نفسي[١].

فهي تنشد قائلة:

والبلاء الذي يأتي منك يجد طريقه الى القلب فيصبر.

أين أنت ايها البلاء هلمّ الي لأبلغ ذروة الوصل.

تلك الروح التي من مختصاتها مقام الرضا ومقام التسليم تلك الروح التي مبدأ وجودها اللّه سبحانه من دون وساطة العلل الطولية والعرضية وهي راجعة الى اللّه أيضاً بلا واسطة من الأغيار لا يشغلها حجاب ظلماني من الممكنات ولا حجاب نوراني من مظاهر الاسماء والصفات، قد تحررت من رجاء الجنان وخوف النيران فهي مسكونة بعشق اللّه المنان، قد بلغت الحسن المطلق وتلك الروح التي قال عنها سبحانه:

﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[٢].

والروح التي خاطبها سبحانه:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٣].

١ـ مولوى.

٢ـ الحجر ١٥: ٢٩.

٣ـ الفجر ٨٩: ٢٧ ـ ٢٨.

خلاصة النفس الكلية الالهية النفس المقدسة والروح المطهرة لخاتم النبيين محمّدﷺ وخلفائه من وصيه أميرالمؤمنين علي وذريته الأئمّة المعصومين والأرواح الناطقة القدسيّة لاتباعهم من بدء الخليقة حتى نهاية البشرية.

ولقد ذكرنا من قبل اننا لا نملك من قدرة العقل وقوة الروح لننهض دفعة واحدة الى مشاهدته وتعي قلوبنا هيبته في منأى عن خطر الغفلة عنه وصونه مما تجرّه علينا؛ فينبغي علينا أن نسير اليه من خلال التأمّل العقلي والعلمي في آثاره وكذا التأمّل الروحي والعملي لكي نصل ما ينبغي اليه الوصول.

وليس من بين الآثار ما هو أعظم وانفع واجدى من وجود محمّدﷺ والأئمّة الأطهار فهم مظاهر كامل أسمائه وجامع صفاته وكلّ من التحق بهم بطريق العقل والقلب والعمل لابدّ وأن يوفق في السير الى مقام القرب وبساط الانس والتمتع بالنظر الى جمال المحبوب الحقيقي فيبلغ الى وعي هيبته ووقت عبادته في قلبه، وحينئذٍ سيؤدّي ما عليه من حق ا لعبادة بطور عام وحق المسجد بطور خاص وبعد أن يؤدي حق العبادة ومنزلة العبادة فان نظرة المولى وعشق المحبوب ولسان الحال أمام صاحب الجلال يقول:

لا هوى الاّ هواك... ساهٍ عن نفسي حتى تنبهني يداك...

وبعد الوصول الى ذلك المقام تكون قد حصلت على كمال الرضا من المحبوب فيعاملك بفضله أي يعطيك فوق ما تستحق أو بالعدل وفي كلا الحالين ستسلم له وسترفع عنك الحجب التي تبعدك عن ذلك المقام.

وفي ذلك المقام الحيرة والهيام لا يشغلك شيء سوى لذة وصلك له؛ ولا شيء ينالك منه سوى الفضل والكرامة واللطف.

«فَإنْ عَطَفَ عَلَيْكَ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ قَبِلَ مِنْكَ يَسيرَ الطّاعَةِ وَأَجْزَلَ لَكَ عَلَيْها ثَوابا كَثيرا، وَإنْ طالَبَكَ بِاسْتِحْقاقِهِ الصِّدْقَ وَالإخْلاصَ عَدْلاً بِكَ حَجَبَكَ وَرَدَّ طاعَتَكَ وَإنْ كَثُرَتْ وَهُوَ فَعّالٌ لِما يُريدُ»

الرحمة والفضل الالهي:

يستفاد من آيات القرآن الكريم ومن الروايات ان الانسان اذا استجاب للّه وأوامره عن تسليم له واخلاص اليه واجتنب كبائر الذنوب أو اغواه الشيطان وسار وراء أهوائه النفسية فارتكب الكبائر ثمّ تاب الى اللّه عزّوجلّ وأناب وأقر بالظلم على نفسه نادماً منكسراً خاضعاً متذللاً فانه ومن دون ادنى شك وريب ومن اليقين القاطع سيحظى برحمة اللّه الذي يفعل ما يشاء ويفعل ما يريد وان اللّه عزّوجلّ لن يعامله بعدله لأنه ان عامل سبحانه أحداً بعدله لن يبقي له شيئاً حتّى المقرّبين ولو جاءوا بعبادتهم كلها وان كل عباداتنا ومع كلّ مشاقها وما عانينا في سبيل ذلك فانها لن تكون شيئاً مقابل رعايته لنا وألطافه بنا.

فأي مخلوق مهما بلغت قدرته وعظمته يمكنه أن يؤدي حق عبادته؟

بل هل هناك عظمة وقدرة أمام عظمته وقدرته؟ فلو اجتمع كلّ شيء كان صفراً أمام الوجود اللانهائي.

ان ما يمكننا أن نقوم به في رحابه المقدس هو الاعتراف بصفرنا وضآلتنا

والاقرار بعظمته خاصّة وان الواجب علينا أن نغض طرفاً عن أنفسنا وأن نرنو الى عظمته وجلاله وكما قال العارف الفيض:

ويا الهي حرّرني من أسر نفسي، واغمر ضميري بالحب لك.
وافتح عيني على مرآك، وادخل في قلبي البهجة
ولتحطم وجودي بالسكر، واعمره بالانقاض
وخذني الى الفردوس الأعلى، وارشدني الى العلم اللدني
واغمر أعماقي بالأسرار، واعمر ظاهري بالطاعات
واحمني من الشيطان ومن نفسي، وحرّرني من الأعداء
الى متى يا رب ابقى أسير نفسي، فحرّر يا الهي القلب من نفسي

اسلوب كسب الرحمة في الآيات:

يعرج القرآن الكريم في آيات قطعية الدلالة ان كلّ انسان تشمله رحمة الله بقدر سعته وقابليته واستعداده في خط العبوديّة المفعم بالبركات وطريق العبادات ودائرة الطاعات.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّه أُولئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّه وَاللّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّه هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2].

١ـ البقرة ٢: ٢١٨.

٢ـ آل عمران ٣: ١٠٧.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّه وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾[١].

﴿فَلَوْلاَ فَضْلُ اللّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢].

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللّه وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٣].

﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِن أَحَدٍ أَبَداً وَلكِنَّ اللّه يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وفي مضمار ﷻ وفضله سبحانه روايات عديدة هامة للغاية وسنشير إليها في باب التوبة مع الاشارة إلى واحدة على سبيل المثال:

عَنِ الصّادِقِ عليه السلام: «إذا كانَ يَوْمَ الْقِيامَةِ نَشَرَ اللّه تَبارَكَ وَتَعالى رَحْمَتَهُ حَتّى يَطْمَعَ إِبْليسُ في رَحْمَتِهِ»[٥].

البخل في العبودية يوجب دفع الرحمة:

يجب على الانسان في كلّ حال أن يهيء لنفسه وسائل الوصول الى رحمة الحبيب وفضله حيث لا بخل في ﷻ ورعايته وفضله انما هو الانسان هو الذي

١ـ النساء ٤: ١٧٥.

٢ـ البقرة ٢: ٦٤.

٣ـ يونس ١٠: ٥٨.

٤ـ النور ٢٤: ٢١.

٥ـ الأمالي، صدوق: ٢٠٥، المجلس السابع والثلاثون، حديث ٢؛ روضة الواعظين: ٢/٢ ٥٠، مجلس في ذكر الرجاء؛ بحار الأنوار: ٢٨٧/٧، باب ١٤، حديث ١.

يبخل بالعبوديّة، فيمنع رحمه الله وفضله بوجود الحجب الظلمانية الكثيفة.

يقول العارف المشرق الفجر الشيخ حسن المصطفوي في رسالته الموجزة «**لقاء اللّه**»[1]:

الطريق الآخر لتحصيل رضا اللّه هو العبودية والعبودية عبارة عن الطاعة المقترنة بالخضوع والتذلّل وتختلف العبوديّة باختلاف مراحل السالك.

فالعبوديّة في المرحلة الثانية: في القيام بالأعمال والطاعات والعبادات حيث يؤدّي السالك والوظائف والفرائض بنية الطاعات لأمر الخالق تبارك وتعالى والقرب منه سبحانه.

والعبوديّة في المرحلة الثالثة: في اجتناب الصفات المخالفة للعبوديّة في القلب والباطن وذلك بعد اجتياز مرحلة اداء الطاعات والعبادات وينبغي في هذه المرحلة ان ينتفي وجود أي أثر في القلب من صفات الرياء والتباهي والتكبر وحب الدنيا والتعلّق بها وحب الجاه والغفلة.

والعبوديّة في المرحلة الرابعة: تأتي بعد مراحل اداء العبادات والتحلّي بالصفات، وفيها يقهر السالك نفسه ويبلغ مرحلة الفناء حتى انه يقوم يعمل أو ينوي نية بعنوان نفسه أو انيّته (الأنا) فيكون عمله خالصاً للّه وحده قاصداً طاعته فلا يرى في الظاهر والباطن وفي أعماق قلبه الاّ المولى تبارك وتعالى ولا شيء سواه.

وفي هذه المرحلة يبلغ السالك حقيقة العبوديّة حيث لا يوجد في نفسه شيء ولا غاية الاّ أداء واجب العبوديّة حتّى انه لا يلتفت الى ما يصل اليه من مقام هنالك يغمره الفيض الالهي واللطف الرباني.

١ـ رساله لقاء اللّه: ٧٣.

وفي ذلك المقام من القرآن ينتفي لدى السالك شعور الوصل والهجران والألم والحرمان وما يجري عليه من عاديات الحدثان فكل شيء مرضي لديه مادام في رضا مولاه وهذا المقام من العبوديّة آخر درجة يبلغها السالك ويعبر عنها القرآن الكريم واصفاً عباده الذين يصلون هذه الدرجة ويبلغون هذه المرتبة بأنّهم عباد مصطفين «عباد مؤمنين»، «عباد مرسلين» و «عباد صالحين».

وحينما يطوي العبد على أساس القدرة والاستطاعة ووسع الحال هذا الطريق العظيم المبارك يعني طريق العبوديّة فانه ولا شك ولا ريب سيكون مشمولاً برحمة الحق وفضله.

طاعة قليلة وعطايا جزيلة:

وقبول الطاعة القليلة ومقابلتها بالعطايا الجزيلة من مختصات الحق تعالى اسمه، وهذا من باب لطفه وكرمه ورعايته وفضله حيث يقبل اليسير ويجزي عليه بالأجر الجزيل!

فالانسان في الدنيا يؤدي الطاعة للّه مدّة محدودة من الزمن ويجتنب معصيته فاذا هو يحصل في الآخرة على أجر بلا حساب وخلود في ظلال الوهاب تغمره الرحمة والفضل أبد الآبدين.

يقول الامام زين العابدين وسيّد الساجدين علي بن ا لحسين عليه السلام في سحر شهر رمضان المبارك:

«اَللّـهُمَّ اِنَّهُ لا يُجيرُنى مِنْكَ اَحَدٌ، وَلا اَجِدُ مِنْ دونِكَ مُلْتَحَداً، فَلا تَجْعَلْ نَفْسى فى شَىْءٍ مِنْ عَذابِكَ وَلا تَرُدَّنى بِهَلَكَةٍ، وَلا تَرُدَّنى بِعَذابٍ اَليمٍ، اَللّـهُمَّ تَقَبَّلْ مِنّى وَاَعْلِ ذِكْرى، وَارْفَعْ دَرَجَتى وَحُطَّ وِزْرى، وَلا تَذْكُرْنى بِخَطيئَتى، وَاجْعَلْ ثَوابَ مَجْلِسى وَثَوابَ مَنْطِقى وَثَوابَ دُعآئى رِضاكَ

وَالْجَنَّةَ، وَاَعْطِنى يا رَبِّ جَميعَ ما سَاَلْتُكَ، وَزِدْنى مِنْ فَضْلِكَ، اِنّى اِلَيْكَ راغِبٌ يا رَبَّ الْعالَمينَ، اَللّـهُمَّ اِنَّكَ اَنْزَلْتَ فى كِتابِكَ اَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنا وَقَدْ ظَلَمْنا اَنْفُسَنا فَاعْفُ عَنّا، فَاِنَّكَ اَوْلى بِذلِكَ مِنّا وَاَمَرْتَنا اَنْ لا نَرُدَّ سائِلاً عَنْ اَبْوابِنا، وَقَدْ جِئْتُكَ سائِلاً فَلا تَرُدَّنى اِلاّ بِقَضآءِ حاجَتى، وَاَمَرْتَنا بِالْأِحْسانِ اِلى ما مَلَكَتْ اَيْمانُنا، وَنَحْنُ اَرِقّآؤُكَ فَاَعْتِقْ رِقابَنا مِنَ النّارِ، يا مَفْزَعى عِنْدَ كُرْبَتى، وَيا غَوْثى عِنْدَ شِدَّتى، اِلَيْكَ فَزِعْتُ، وَبِكَ اسْتَغَثْتُ وَلُذْتُ، لا اَلُوذُ بِسِواكَ، وَلا اَطْلُبُ الْفَرَجَ اِلاّ مِنْكَ، فَاَغِثْنى وَفَرِّجْ عَنّى يا مَنْ يَفُكُّ الْأَسيرَ، وَيَعْفُوُ عَنِ الْكَثيرِ، اِقْبَلْ مِنِّى الْيَسيرَ، وَاعْفُ عَنِّى الْكَثيرَ، اِنَّكَ اَنْتَ الرَّحيمُ الْغَفُورُ»[1].

أجل ان كرم الحق تبارك وتعالى يقتضي ذلك يهب الكثير الجزيل مقابل القليل الضئيل.

وهذه الآيات والروايات تصرّح بهذه الحقيقة اذ مقابل طاعة قليلة في دنيا زائلة يؤديها الانسان ثمّ يرحل الى ربه فيقابله برحمة واسعة وجنة عرضها عرض السماوات والأرض خالداً فيها متقلباً في نعيمها لا يرى فيها شمساً ولا زمهريراً!

وما أشقى الانسان بل ما أقل حيائه وهو يصمّ اذنيه وفؤاده عن دعوة الحق لاهثاً وراء الشهوات ممعناً في ا لملذات متبعاً خطوات الشيطان الذي يضله ويأخذ بيديه الى هاوية الجحيم والعذاب الأليم.

ان على الانسان أن يفكر ولا يضع قدميه في طريق حتّى يعي نهايته ويدرك عاقبة أمره.

١ـ مفاتيح الجنان، دعاء أبي حمزة الثمالي.

«وَاعْتَرِفْ بِعَجْزِكَ وَقُصُورِكَ وَتَقْصيرِكَ وَفَقْرِكِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِنَّكَ قَدْ تَوَجَّهْتَ لِلْعِبادَةِ لَهُ وَالْمُؤانَسَةِ بِهِ»

وعند ما تدخل المسجد فادخل وقد أقررت بعجزك وقصورك وتقصيرك لأنك ستقف بين يديه متنعماً بما سيغمرك من فيض المؤانسة هنا لك لم يعد للتكبّر وجود في حضرته ولا لكل الوساوس الشيطانية مجال للنفوذ وأنت في رحابه.

اظهار العجز عند دخول المسجد:

ان موضوع العجز البشري ثابت في المعارف الالهيّة والمسائل العلميّة ولقد ثبت بأن الانسان هو أعجز الكائنات على سطح الأرض بل وفي عالم الوجود.

وقصّة الانسان قصّة واضحة في بدئه ونهايته فهو جنين في بطن امّه لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً وعند ما يخرج الى الدنيا ليس له من الحول والقوّة شيء يدافع بها عن نفسه ثمّ يمكث في المهد شهوراً طويلة بأيامها ولياليها وبعدها ينشأ في ظلال والديه ينعم بحبهما ورعايتهما وعطفهما.

وحتّى في شبابه وقد اشتدّ ساعداه لا يمكنه الصمود بوجه عاديات الزمان الاّ وهو مسلح بأدوات الحضارة من طب ومؤسسات اجتماعيّة ثمّ تأتي مرحلة الشيخوخة مرحلة الضعف وأفول القوى الجسمانيّة حيث شمعة العمر في طريقها الى الانطفاء في أية لحظة.

وهذا الكائن العاجز اذا لم تكفي لديه الأدوات الماديّة والوسائل فانه لا يمكنه القيام بأي عمل مما زعم وزعق وادّعى فان ذلك مجرّد اصوات تصدر عن طبل اجوف.

ان عجز ا لانسان حقيقة ممتزجة بالطين الذي خلق منه واذا ما أردنا أن نقيسه بغيره من الكائنات ونقارنه بها فانه يعدّ أعجز المخلوقات التي تدب فوق البسيطة.

والعجز الجسمي والعقلي والنفسي يواكب الانسان طوال مسيرته في الحياة وأن معالجة هذا العجز لا تمكن في اللجوء الى الوسائل المادية والخطط الدنيوية بل ان الطريق الى ذلك يكمن في الاتصال المعنوي بالقدرة الازلية وهذا هو الطريق الذي سلكه الأنبياء والأئمّة والأولياء والعاشقون العارفون ان نقص القدرة والفراغ الذي يعاني منه الانسان لا يمكن ملؤه الاّ برعاية المحبوب فقط والاّ فان كلّ أدوات القدرة الظاهريّة مجرد هواء في شبك !

ومن أجل رفع هذا العجز على المرء ان يجثو في حضرة الحق ويتضرع باكياً ويسأله منتحباً ويتوسل اليه في الخلاص من السجن والقفص الذي هو قابع داخله.

والانسان كائن عجيب فهو لن يشعر بالحريّة الحقيقية حتّى يمارس العبوديّة للّه وحده، فاذا نجح في ذلك يكون قد تحرّر من سيطرة وهيمنة كلّ القوى الظاهرة لأنه لا وجود الاّ لقوة الحق تبارك وتعالى ذلك ان يد اللّه فوق أيديهم.

وهو لا يشعر بالسعادة المطلقة حتّى يستغرق في الحب الالهي لأنه الحب الحقيقي الوحيد في العالم.

وهو لا يشعر بالقوة حتّى يعترف بعجزه في رحاب اللّه وحينئذ سيتوج بتاج العزّة والإباء والكرامة الانسانيّة.

«وَأَعْرِضْ أَسْرارَكَ عَلَيْهِ وَلْيُعْلَمْ أَنَّهُ لا يَخْفى عَلَيْهِ أَسْرارَ الْخَلائِقِ أَجْمَعينَ وَعَلانِيَتِهِمْ»

عرض الأسرار في محضرة الحق:

واعرض أسرارك في رحابه وحضرته وليكن ذلك في رقة وانكسار وقد دمعت عيناك في انهيار وليكن في بالك انه لا تخفى عليه الأسرار لا في ليل ولا نهار فكل شيء في حضرته واضح ظاهر وفي رحابه وحضرته حاضر.

ولقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في العديد من الآيات وهذه طائفة منها:

﴿إِنَّ اللّه لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماء﴾[1].

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّه مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّماء﴾[2].

﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللّه مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للّه الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3].

١ـ آل عمران ٣: ٥.

٢ـ ابراهيم ١٤: ٣٨.

٣ـ غافر ٤٠: ١٦.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾[١].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢].

﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[٣].

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمهُ اللّه وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤].

﴿للّه مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّه﴾[٥].

علم الحق:

ظلت هذه المسألة منذ الأزمنة القديمة مثاراً للجدل وقد بحثها الفلاسفة الكبار والعرفاء العلماء المبرزون وقالوا فيها بما ينسجم مع مستوى علومهم وادراكاتهم غير انه من الضروري جداً أن نقرأ كتاب الحق ونتأمّل في كلماته ونعني القرآن الكريم وأيضاً نستعين بما ورد في باب التوحيد من روايات ومن

١ـ الأعلى ٨٧: ٧.

٢ـ فصلت ٤١: ٤٠.

٣ـ الممتحنه ٦٠: ١.

٤ـ آل عمران ٣: ٢٩.

٥ـ البقرة ٢: ٢٨٤.

المؤكد ان الانسان لو امعن وتأمّل وقرأ وتدبّر لانتفت حيرته.

وأن الذين ذاقوا حلاوة آيات القرآن وانتهلوا من معارفه وما ورد في الروايات ومارسوا الرياضات الشرعية النفسية يدركون علم الحق تعالى بالكائنات ظاهرها وباطنها ويعون بان ذات الحق الاحدية عالمة بكل المخلوقات الكلية والجزئية البسيطة والمركبة والفلكية والزمانية والسرمدية والمجرّدة والماديّة والبرزخيّة وان اللّه سبحانه عالم بكلّ ذرّة في الغيب والشهود.

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2].

جاء في «**تفسير التبيان**» في ذيل الآية ان اللّه عالم بكلّ الأشياء ما يدخل في الأرض كالبذور والحب والنوى وما يخرج منها كالأشجار والنباتات والحيوانات والجمادات فكل هذا لا يخفى علمه على اللّه العليم الخبير وكذلك ما ينزل من السماء من المطر وغير المطر وما يعرج الى السماء من الملائكة وما يصعد اليها من أعمال الناس فان اللّه سبحانه عالم مطلع[3].

توصل الانسان الى الحقائق العلمية:

سئل الامام السجاد عليه السلام عن حول موضوع التوحيد فقال:

١ـ يونس ١٠: ٦١.

٢ـ الحديد ٥٧: ٤.

٣ـ انظر التبيان: ٥١٩/٩ ـ ٥٢٠، ذيل الآية ٤ سورة الحديد.

انّ اللّه تعالى علم انه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فانزل اللّه تعالى:﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾ والآيات من سورة الحديد إلى قوله:﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور﴾[1].

وهذه اشارة الى ما ستصل اليه العلوم الحديثة والى التقدّم البشري في آخر الزمان ولعلّه كان يشير الى ما وصلت اليه البشرية في عصرنا الحاضر.

تقول الفيزياء الحديثة:

انّ الغلاف الجوي الذي يحيط الأرض يبلغ ٨٠٠ كم وتبلغ سرعته مئة ألف كيلومتر في الساعة حيث يتحرّك مع حركة الأرض وهو العامل الرئيسي الذي يحفظ حياة المخلوقات في الأرض فهو على سبيل المثال يقوم باحراق النيازك التي تتجه نحو الأرض وما نشاهد في الليل من شهب ما هي الاّ نيازك واجرام تحترق.

يقول العالم الفيزياوي فرانك آلن استاد الفيزياء الحيوية:

انّ الغلاف الجوي الذي يتألّف من الغازات هو الذي يحفظ الحياة على سطح الأرض وان سمكه وكثافته يشكل درعاً حصيناً يحمي الأرض ويحول دون وصول عشرين مليون نيزك في السماء تهاجم الأرض يوميّاً بسرعة تبلغ خمسين كيلومتر في الثانية.

وتدور حول الشمس كما تدور حول الأرض ملايين بل آلاف الملايين من النيازك ولأنها منجمدة باردة فانها تتألّق تحت أشعّة الشمس غير ان ما ينعكس من الأشعة قليل بسبب ضآلتها ولهذا تتعذّر رؤيتها وبسبب قوّة الجاذبيّة الأرضيّة فان الأرض تجذب يوميّاً ما يقارب المليون من هذه النيازك التي تدور حول الشمس.

١ـ الحديد ٥٧: ٦.

وقد تصل سرعة بعض هذه النيازك الى سبعين كيلومتر في الثانية وبسبب هذه السرعة القصوى فانها وعندما تصطدم بالغلاف الجوي فانها تحترق بسبب ارتفاع درجات حرارتها جرّاء الاصطدام.

ولهذا فقد أشار السجاد في مضمار التوحيد الى مطلع سورة التوحيد مشيراً إلى ما سيحصل من تقدّم علمي عبر الزمن.

وتشتمل هذه الآيات على نقاط جوهريّة حيث أشارت الآيات القرآنيّة الى كتاب الخلق وما يشتمل عليه من كائنات أرضية وسماويّة والى مسألة الحياة والموت الى البداية والنهاية والى مسألة الظاهر والباطن وما يلج في الأرض وما يصدر عنها والخلاصة عن كلّ شيء يمكن أن ندرجه تحت هذه العناوين:

الجيولوجيا «علم الأرض»، الفضاء، علم الأحياء، علم الكيمياء والفيزياء.

وقد آمن معظم العلماء باللّه سبحانه بعد أن تعمقوا في دراساتهم العلمية كلّ في حقله وتخصّصه وظهرت لهم حقائق مدهشة محيّرة جعلتهم ينحنون أجلالاً للخالق العظيم وتتجلّى صفات اللّه عزّوجل في هذه الآيات فهو الحكيم المحيي المميت القادر البصير العليم والذي يقول عن علمه سبحانه:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[1].

بالأمس كان ما ينزل من السماء من مطر وما يعبر فيها من غيوم مثالاً تذكره الآيات والروايات والأدعية والمناجاة حيث ان اللّه سبحانه يعلم بكلّ قطرة تنزل من السماء.

١ـ الحديد ٥٧: ٤.

أما اليوم وانطلاقاً مما ورد في الرواية عن الامام السجاد حول آخر الزمان وما ذكرناه حول النيازك والشهب واحتراقها في الغلاف الجوي المحيط بالأرض فاننا يمكننا أن نذكر انهمار النيازك والشهب مثالاً على علم اللّه عزّوجلّ.

يقول العلماء: ان ما يقارب من العشرين مليون من النيازك الصغيرة والكبيرة تهاجم الأرض وهذا عدد تقريبي أمّا عددها الحقيقي فيعلمه اللّه.

يقول العلم الحديث: يحدث احياناً ان ينفذ نيزك كبير الحجم فيحترق جزء منه في الغلاف الجوي ويصل منه جزء صغير يصطدم باليابسة أو يغوص في ا ٰماق البحر ولا يعلم أحد اعداد هذه النيازك ولا مكان سقوطها.

والمثير ان احتراق النيزك في الغلاف الجوي يعني تحوّله الى ذرّات دقيقة بعضها يتساقط على سطح الأرض وبعضها يظل عالقاً في الفضاء واللّه وحده يعلم عدد ذراتها.

ويقول العلم الحديث انّ الأرض تجذب الأشياء اليها بقوة الجاذبيّة فهي تحافظ على كلّ الأشياء فيها بهذه القوّة ولكنه يحذث احياناً ان وفي ظروف كونية نجهلها أن تفلت أشياء من الأرض وتأخذ مسارها بعيداً في هذا الكون الفسيح.

ومن المحتمل وكما أشار الامام السجاد إلى انه يأتي يوم تتقدم فيه العلوم والمعارف البشريّة وتكشف عن أسرار جديدة للكون والوجود وحينئذٍ سوف ينظر الانسان الى الآية الكريمة بعمق أكثر:

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّماء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[1].

هنالك يخضع الانسان في رحاب اللّه ويجثو في حضرته القدسيّة ويعي اهمية

١ـ الحديد ٥٧: ٤.

اظهار العبوديّة للخالق تبارك وتعالى.

علم اللّه بطبيعة الانسان:

وفي علم اللّه عزّوجلّ بالبناء الطبيعي للانسان هذا الصرح العجيب الذي يختصر العالم والاختلاف بين الناس في وجوهم وعقولهم وذكائهم واشكالهم وأخلاقهم وطبائعهم وصفاتهم وما تنطوي عليه الأجنّة في الأرحام من أسرار.

﴿اللّه يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[1].

جاء في كتاب «**تضامن الامور**» انّ الدراسات العلمية توصلت الى حقائق ثابتة في كل خلية جنسية بشرية ثلاثة وعشرين «كروموسوم» وان كلّ «كروموسوم» له مئة ألف جين وكلّ جين له مولكول كبير ولكلّ منها هذه المولكولات عشرة آلاف درجة ويمكن لكلّ درجة أن تتخذ لها حالة.

وعلى هذا يمكن القول ان الأقصى للصفات الوراثية للانسان سيكون في هذه المعادلة:

٢٣×١٠٠/٠٠٠×١٠٠٠٠=٢٣/٠٠٠/٠٠٠/٠٠٠

وهذا العدد يرتبط فقط بمسألة الكروموسوم فاذا أخذنا بنظر الاعتبار عدد الخلايا وجميع الامور التي تنهض عليها حياة الانسان بما في ذلك الامور الظاهرية التي تتشكل من الذرات والامور الباطنية فماذا سيكون لدينا من أرقام؟ ان الرقم الذي سيظهر لا يمكن لأية أجهزة ان تحسبه ولا يمكن لأية امة بل لو اجتمع البشر عبر العصور ومعهم الملائكة فانهم سيكونوا عاجزين عن احصائه !

١ـ الرعد ١٣: ٨.

لكن كل شيء أمام اللّه تبارك وتعالى واضح وزنه وكتلته وعدده.

وهل ان عالم الذرّة عالم ضئيل؟ انه عالم مدهش بين العوالم.

يقول مؤلّف كتاب «**من الذرّة الى المجرّة**»: عندما أقول ان قطر الذرة يبلغ جزء من مليوني جزء من الملمتر فقد لا يمكن تصور ذلك ولكن انظر الى المسكوكة النقدية الصغيرة انها تتألّف من خمسة مليارات مليار من الذرات ولو أمكن ترتيب هذه الذرات على شكل شريط فانها تلف الكرة الأرضية ستين مرّة!

ان أقوى المجاهر اليوم لا يمكنها رؤية الأشياء التي يقل حجمها عن ١٠٠٠٠٢ من المليمتر الواحد وهذا الشيء هو بالنسبة للذرّة كالغول والمارد بالنسية إلى نملة صغيرة جداً.

ان هذا العالم الذي ينطوي على كلّ هذه الأرقام المحيّرة واضح تماماً في علم اللّه الذي خلق كلّ شيء.

ذلك:

﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

عند ما تأخذ بيدك قدحاً مليئاً بالماء البارد في صيف لاهب تصوّر ان تمسك بعدد من الذرات يبلغ رقم واحد وأمامه أربعة وعشرون صفراً! هل يمكنك تصور هذا الرقم؟ قد لا نتصور ماذا يعني ذلك لكن اذا أمكنك ترتيب هذه الذرات على نحو تكون الذرات الى جانب بعضها البعض؛ فانك سوف تغطي مساحة الكرة الأرضيّة كلّها!

هذا ما يحتويه قدح الماء الواحد فكيف بالعدد الذي يشتمل عليه الماء في

١ـ الشورى ٤٢: ١٢.

المحيطات والبحار؟

ان اللّه عزوجل يعلم هذه الأعداد كلّها بالتفصيل، وهذه نقطة صغيرة في مضمار علم اللّه هي لا شيء!!

جانب آخر من علم الحق في الآيات والروايات

أشار القرآن الكريم الى العلم الالهي في العديد من الآيات منها قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللّه عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾[١].

وكذلك في العلم بأعمال الناس:

﴿إِنَّ اللّه عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[٢].

وما ينطوي عليه الذهن البشر من الأفكار والنوايا:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[٣].

وقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن معنى « خائنة الأعين » فقال عليه السلام: « ألم تر الرجل ينظر إلى الشيء وكأنّه لا ينظر اليه فذلك خائنة الأعين »[٤].

وسأل محمّد بن مسلم الامام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى:﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٥] فقال عليه السلام:

«السر ما كتمته في نفسك وأخفى ما خطر ببالك ثم انسيته»[٦].

١ـ لقمان ٣١: ٣٤.

٢ـ فاطر ٣٥: ٨.

٣ـ غافر ٤٠: ١٩.

٤ـ معاني الأخبار: ١٤٧، باب معنى خائنة الأعين، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٨٠/٤، باب ٢، حديث ٤.

٥ـ طه ٢٠: ٧.

٦ـ معاني الأخبار: ١٤٣، باب معنى السر وأخفى، حديث ١؛ بحار الأنوار: ٧٩/٤، باب ٢، حديث ٢.

ولو أراد المرء أن يطلع على علم اللّه فان عليه أولاً أن يسبر أغوار الوجود ويطلع على أسرار الخلق في الكائنات وما تنطوي عليه من العجائب والغرائب وهذا كلّه غيض من فيض ممّا خلق اللّه عزّوجلّ ويخلق إلى يوم القيامة:

عَنْ سُلَيْمانِ بْنِ سُفْيانِ، قالَ: «حَدَّثَني أَبُوعَلِيٍّ الْقَصَّابِ قالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبي عَبْدِاللّه عليه السلام فَقُلْتُ: أَلْحَمْدُ للّه مُنْتَهى عِلْمِهِ فَقالَ: لا تَقُلْ ذالِكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِعِلْمِهِ مُنْتَهى»[1].

وروى الشيخ الصدوق في كتاب التوحيد عن أحد أصحاب الامام الصادق عليه السلام انه قال: «أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم اللّه تعالى؟ قال عليه السلام: بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض»[2].

ولكي يدرك المرء صفات الحق وخاصّة العلم والقدرة والارادة عليه أن يتأمّل في ما ورد في القرآن الكريم من آيات بينات وما جاء في الروايات الصحيحة التي أوردها الثقات وبعد ذلك يمكنه مطالعة الكتب الفلسفيّة وفي هذه الحالة يمكنه ادراك ما وقع فيه بعض الفلاسفة من أخطاء في مضمار صفات الحق تبارك وتعالى.

وينبغي للانسان أن يقرأ كتب الفلاسفة من الذين كانوا ينهلون من معين الأنبياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام لأن ما سطرته اقلامهم هو خلاصة لسيرهم في الآفاق وسيرهم في غور الأعماق.

١ـ التوحيد، صدوق: ١٣٤، باب ١٠، حديث ١؛ وسائل الشيعة: ١٣٧/٧، باب ٥٨، حديث ٨٩٣٨؛ بحار الأنوار: ٨٣/٤، باب ٢، حديث ١١.

٢ـ التوحيد، صدوق: ١٣٥، باب ١٠، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ٨٤/٤، باب ٢، حديث ١٤.

وعلى أيّة حال ينبغي للانسان وكما قال الامام الصادق عليه السلام أن يعرض أسراره على الرب تبارك وتعالى لأنه لا تخفى على اللّه خافية في الأرض ولا في السماء ومع علمه قبل ذلك الاّ انه جلّ جلاله يحب أن يبوح عبده له بالأسرار وعند ما يفعل الانسان ذلك في حضرة الخالق العليم يكون قد هيّأ ظروف الاستجابة عند الدعاء.

«وَكُنْ كَأَفْقَرِ عِبادِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَخِلْ قَلْبَكَ عَنْ كُلِّ شاغِلٍ يَحْجُبُكَ عَنْ رَبِّكَ فَإِنَّهُ لا يَقْبَلُ إِلاَّ الأَطْهَرَ وَالأَخْلَصَ وَانْظُرْ مِنْ أَيِّ ديوانٍ يَخْرُجُ إِسْمَكَ»

توفيق الحضور في رحاب الحق:

يشتمل النص اعلاه على ثلاثة مواضيع هامة وهي بمثابة شروط ينبغي توفرها ليحوز المرء على جدارة الحضور في رحاب الرب تبارك وتعالى.

١ ـ الاحساس التام بالفقر والحاجة المطلقة الى الخالق في كلّ شيء.

٢ ـ افراغ القلب واخلاؤه كل ما يشغل الانسان يمكن أن يحول بينه وبين ذكره.

٣ ـ استكشاف عميق لباطن الانسان وحقيقته والى أي جانب هو أقرب السعداء أم الأشقياء.

١ ـ الاحساس التام بالفقر والحاجة المطلقة:

قبل أن يواجه الانسان المعارف الالهيّة ويكون وجهاً لوجه أمام ما يذكّر الانسان من توصيات تتضمنها المعارف فانه لو تأمّل قليلاً لوجد أنه في الحقيقة لا يملك شيئاً ممّا هو الآن في يديه وأنه لا يملك لنفسه حولاً ولا قوّة.

فهو منذ المراحله الاولى من خلقه وحتّى مغادرته دار الحياة الدنيا غارق في فقر محض معانقاً الحاجة محتاج إلى غيره.

قد خلق بغير ا رادته ويخرج من الدنيا على الرغم منه وما يجري عليه بين الميلاد والموت والبداية والنهاية لا يعود في أصله الى ارادته.

وما اولئك الذين شعروا بالغنى عبر عصور التاريخ فانما هو شعور شيطاني ناجم عن حالة ابليسيّة لأن هذا الاحساس انّما هو مصدر لكلّ الشرور والمعاصي والذنوب وهو ناشئ عن غفلة الانسان عن نفسه وعن ربّه.

ولو عرف الانسان نفسه وعرف قدراً ضئيلاً عن ربه الرحيم ما انتابه هذا الشعور الخاطئ ولانتبه الى هذه الحقيقة حقيقة فقره المطلق هذا الاحساس الذي يقوده في النهاية الى طريق التكامل.

وعندما يشعر الانسان بحاجته وأنه لا يملك من نفسه شيئاً وانّما هو مملوك ضعيف مسكين عاجز محتاج أمام مالك قوي قادر عزيز غني جميل كبير حينئذ سوف يجثو في حضرته ويسجد في رحابه طالباً منه كلّ شيء.

وعند ما تترسخ هذه المشاعر في نفس الانسان تبدأ حركته نحو الكمال فتراه دأب في طلب المعرفة وانتهال العلم ورفع الحجب الى أن يصل نقطة اللقاء المنشودة.

حتى اذا ورد الانسان شطآن بحر المعرفة وخلص بنفسه من ضجيج الأهواء والغرائز ووصل الى نقطة السكينة حينئذٍ سوف يسمع صوت المحبوب ينفذ في القلوب:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّه وَاللّه هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

١ـ فاطر ٣٥: ١٥.

هنا لك يعي الانسان فقره المطلق واحتياجه الى الغني المطلق فيتضرع اليه خاشعاً خاضعاً فيأتيه المدد الرباني ويتحقّق له الكمال الانساني.

وحينئذٍ يحدث التحول في أعماقه بعد أن تشرق على قلبه الأنوار وتضيء روحه ونفسه فاذا هو عامر بحب اللّه يتلذذ بمناجاته ويذكره في كلّ حركاته وسكناته.

وينبغي لمن يريد تذوق هذه الحالات من حلاوة المناجاة أن يقرأ في الأسحار وفي أطراف الليل والنهار دعاء الامام الحسين يوم عرفة ودعاء أبي حمزة الثمالي في أسحار رمضان ودعاء كميل بن زياد ففي هذه الأدعية أسفار من العلم الالهي ومدارج ما يصل اليه الكمال الانساني.

٢ ـ تخلية القلب من موانع الوصال:

ان اخلاء القلب من اكل ما يحول بين الانسان وربه يتيسر فقط بالايمان باللّه ويوم القيامة هذا الايمان الذي يحصل عن طريق التدبر في الآيات والتعمّق في الروايات وانتهال المعارف الالهيّة لأن القلب، لا يحصل على هاتين الحقيقتين الاّ عن طريق النبوّة والامامة فترتفع كلّ ا لحجب من قبيل الكفر والشرك والنفاق والحقد والعداوة والبغضاء والحسد والبخل والغرور وسائر الصفات الرذيلة.

هنا لك يرتفع كلّ مانع يحول بين الانسان وربه وحينئذٍ تشرق الأنوار على القلب ويصبح نبعاً للمعرفة وعشاً للحب الحقيقي.

انك ان وصلت الى القلب فقد وصلت إلى كلّ شيء وان تركته لن تحصل على شيء ويتحول هذا الجزء النابض في كيان الانسان من صفحة مشرقة ومرآة صقيلة تنعكس فيها الأنوار الالهيّة والفيوضات الربانية الى مركز لأسوأ الصفات والرذائل والآفات ويتحول من وسيلة للنجاة الى أداة للهلاك.

ان طريق الوصول الى مقام القرب يمرّ من القلب ومن دون الاهتمام بالقلب فلا طريق لبلوغ الكمال.

وقد أكّد القرآن الكريم والروايات على مسألة القلب من دون سائر الأعضاء والجوارح وما وصل الينا من أحاديث الأنبياء والأئمّة والأولياء في تزكية القلب الكثير الكثير.

ولقد كان القلب محور كلام العاشقين والعارفين عبر مسار التاريخ فالقلب في عقيدتهم ينهل من الوحي وإن سلك طريق الصلاح فان الوجود كلّه يتّجه نحو الصلاح وان انزلق في مهاوي الفساد فانه يجرّ الوجود كلّه الى الفساد.

٣ ـ التسجيل في ديوان السعداء:

يستفاد من الآيات والروايات أساساً ان للانسان نوعين من الكتب والدواوين: ديوان السعداء وديوان الأشقياء أو حسب التعبير القرآن: ديوان «النعيم» وديوان «سجّين» وانعكاس اسم الانسان في أحد هذين الديوانين أمر يرتبط تماماً بانتخاب الانسان واختياره.

ان اللّه تبارك وتعالى قد هيّأ للانسان كلّ وسائل الهداية من نبوّة وامامة وكتاب وعقل وفطرة ووجدان وارادة وحريّة وأوضح سبحانه لعباده الطرق فهذا طريق اللّه وذاك طريق الشيطان وهذا طريق السعادة وذاك طريق الشقاء طريق مضيء وطريق غارق في الظلمات.

وتبقى الفرصة في اختيار الطريق مفتوحة الى نهاية العمر فان سلك طريق الضلال ثمّ انتبه واختار طريق الهداية فان اسمه يمحى من ديوان الأشقياء ويثبّت في ديوان السعداء.

أما اذا بقي الانسان سادراً في غيّه ممعناً في ضلاله فان اسمه يسجّل في ديوان الأشقياء حتّى ينتبه من غفلته ويصحو من نومته فتتداركه رحمة من ربّه.

فتأمّل ما في نفسك واسبر مكنونات أعماقك وانظر إلى ما في قلبك ثمّ اعرض ذلك على ميزان الحق وهو القرآن الكريم وستعلم حينئذٍ أين اسمك أفي ديوان السعداء أم ديوان الأشقياء.

فان كان ولا سمح اللّه في ديوان الأشقياء فاسع سعيك وابذل قصارى جهدك وانقذ نفسك من قبل فوات الأوان ومن قبل أن تبوء بالخسران.

أجل انّ الانسان هو الذي يرسم مسيره ويعيّن مصيره وهو الذي يكتب بيده اسمه في كتاب السعداء أم في كتاب الأشقياء واقرأ التاريخ تجد تلك اللحظات الحاسمة في الاختيار؛ اختيار الطريق الذي يؤدّي الى السعادة أو الشقاء... الى المجد أو الى الحضيض.

الشقاء الأبدي:

أورد صاحب كتاب «**مكاتيب الائمة**» المرحوم الفيض الكاشاني قصة مثيرة حدثت في أواخر سنة ٣٥ هـ أو مطلع سنة ٣٦ هـ وذلك بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفّان تقول الرواية:

رأينا في بعض الكتب القديمة رواية في كيفيّة شهادته عليه السلام أوردنا منها شيئاً ممّا يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار، قال: روى أبو الحسن علي بن عبداللّه بن محمّد البكري، عن لوط بن يحيى، عن أشياخه وأسلافه قالوا: لمّا توفّي عثمان وبايع الناس أميرالمؤمنين عليه السلام كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب والياً

على بعض أطراف اليمن من قبل عثمان، فأقرّه عليعليه السلام على عمله، وكتب إليه كتاباً يقول فيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبداللّه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب إلى حبيب بن المنتجب، سلام عليك، أمّا بعد فانّي أحمد اللّه الذي لا إله الاّ هو وأُصلّي على محمّد عبده ورسوله، وبعد فانّي ولّيتك ما كنت عليه لمن كان من قبل، فأمسك على عملك، وانّي أُوصيك بالعدل في رعيتك والاحسان الى أهل مملكتك واعلم انّ من وُلّي على رقاب عشرة من المسلمين ولم يعدل بينهم حشره اللّه يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه لا يفكّها إلاّ عدله في دار الدنيا، فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقرأه على من قبلك من أهل اليمن وخذ لي البيعة على من حضرك من المسلمين فاذا بايع القوم مثل بيعة الرضوان فامكث في عملك وأنفذ إليّ منهم عشرة يكونون من عقلائهم وفصحائهم وثقاتهم ممّن يكون أشدّهم عوناً من أهل الفهم والشجاعة عارفين باللّه، عالمين بأديانهم ومالهم وما عليهم وأجودهم رأياً وعليك وعليهم السلام.

وطوى الكتاب وختمه وأرسله مع أعرابي، فلمّا وصل إليه قبّله ووضعه على عينيه ورأسه، فلمّا قرأه صعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على محمّد وآله ثمّ قال:

ايّها الناس اعلموا أنّ عثمان قد قضى نحبه، وقد بايع الناس من بعده العبد الصالح والامام الناصح أخا رسول اللّهصلى الله عليه وآله وخليفته وهو أحقّ بالخلافة وهو أخو رسول اللّهصلى الله عليه وآله وابن عمّه وكاشف الكرب عن وجهه وزوج ابنته ووصيّة أبو سبطيه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فما تقولون في بيعته والدخول في طاعته؟

قال: فضجّ الناس بالبكاء والنحيب وقالوا: سمعاً وطاعة وحبّاً وكرامة للّه ولرسوله ولأخي رسوله.

فأخذ له البيعة عليهم عامّة، فلمّا بايعوا قال لهم: أُريد منكم عشرة من رؤسائكم وشجعانكم انفذهم اليه كما أمرني به، فقالوا: سمعاً وطاعة، فاختار منهم مائة ثمّ من المائة سبعين، ثمّ من السبعين ثلاثين، ثمّ من الثلاثين عشرة فيهم عبدالرحمن بن ملجم المرادي لعنه اللّه وخرجوا من ساعتهم، فلمّا أتوه عليه السلام سلّموا عليه وهنّؤوه بالخلافة فردّ عليهم السلام ورحّب بهم، فتقدّم ابن ملجم وقام بين يديه وقال:

السلام عليك ايّها الامام العادل والبدر التمام والليث الهمام والبطل الضرغام والفارس القمقام ومن فضّله اللّه على سائر الأنام، صلّى اللّه عليك وعلى آلك الكرام، أشهد أنّك أميرالمؤمنين صدقاً وحقّاً وأنّك وصيّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله والخليفة من بعده، ووارث علمه لعن اللّه من جحد حقّك ومقامك، أصبحت أميرها وعميدها لقد اشتهر بين البريّة عدلك وهطلت شآبيب فضلك وسحائب رحمتك ورأفتك عليهم ولقد أنهضنا الأمير إليك فسررنا بالقدوم عليك فبوركت بهذه الطلعة المرضيّة وهنّئت بالخلافة في الرعيّة.

ففتح أميرالمؤمنين عليه السلام عينيه في وجهه ونظر إلى الوفد فقرّبهم وأدناهم، فلمّا جلسوا دفعوا اليه الكتاب ففضّه وقرأه وسرّ بما فيه فأمر لكلّ واحد منهم بحلّة يمانيّة ورداء عدنيّة وفرس عربية وأمر أن يفتقدوا ويكرموا، فلمّا نهضوا قام ابن ملجم ووقف بين يديه وأنشد:

أنت الميهمن والمهذّب ذوالندى ... وابن الضراغم في الطراز الأوّل

اللّه خصّك يا وصيّ محمّد ... وحباك فضلاً في الكتاب المنزل

وحباك بالزهراء بنت محمّد حورية بنت النبي المرسل

ثمّ قال: يا أميرالمؤمنين ارم بنا حيث شئت لترى منّا ما يسرّك، فواللّه ما فينا إلاّ كلّ بطل أهيس، وحازم أكيس، وشجاع أشوس ورثنا ذلك عن الآباء والأجداد وكذلك نورثه صالح الأولاد.

قال: فاستحسن أميرالمؤمنين عليه السلام كلامه من بعد الوفد فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: اسمي عبدالرحمن، قال: ابن من؟ قال: ابن ملجم المرادي، قال له: أمراديّ أنت؟ قال: نعم يا أميرالمؤمنين، فقال عليه السلام: إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ولا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم.

قال: وجعل أميرالمؤمنين عليه السلام يكرّر النظر إليه ويضرب احدى يديه على الاخرى ويسترجع، ثمّ قال له: ويحك أمرادي أنت؟ قال: نعم فعندها تمثّل عليه السلام يقول:

أنا أنصحك منّي بالوداد مكاشفة وأنت من الأعادي

أُريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد[1]

انّ الأهواء النفسيّة لتجر البلاء على الانسان وأن هاوية النفس لهاوية عميقة ما لها من قرار وعندما تتغلب الأهواء على الانسان وعند ما يعلو ضجيجها على صوت العقل والوجدان حينئذٍ ينساق المرء الى الهلاك.

لا ينبغي أن تغفل عنه ذات زمان لأنّك ان غفلت فسوف تهوي انه وان بدا غريباً عنك فهو في بيتك يسكن.

انه خصم في داخل بيتك فاذا غفلت عنه فأنت مجنون.

معه آلاف الدسائس والحيل وسوف يتلبسك إن قدر... خالفه وحاربه واقرع

١ـ بحار الأنوار: ٢٥٩/٤٢ ـ ٢٦١.

طبول الحرب عليه.

الاّ اذا استسلم وتاب وسلك طريقك.

السعادة الأبدية:

الدنيا بيئة مليئة بالعجائب وفيها من القصص والحوادث والغرائب ما يعتبر بها أهل القلوب، فكم من تقي صالح انتهى أمره الى الشقاء وكم من شقي طالح غارق في المعاصي آل أمره الى الصلاح.

وهذه قصّة كربلاء المثيرة وما جرى فيها من وقائع حول مصائر الناس.

ثمّة اناس يومئذٍ كان طائر السعادة الأبديّة يرفرف فوق رؤوسهم وقد فتحت الجنّة أبوابها لتستقبلهم وما هي إلاّ خطوة واحدة فقط اذا هم يمرحون وسط الجنان ويتقلبون في النعيم الخالد، فجأة يسقطون في الهاوية وينزلقون إلى وادي جهنّم وبئس المصير.

وثمة اناس آخرين كانوا يسيرون في طريق الشقاء وفي لحظة من لحاظت الصحوة والانتباه من الغفلة تنفتح بصائرهم على الحقيقة فينشدّون الى أنوارها واذا هم في سجل الخالدين.

اصغوا الى ما حدث في تلك الظهيرة العظمى وقد بقي الحسين وحيداً بعد أن استشهد أصحابه وأهل بيته.

ها هو يشن هجومه المثير عى الجناح الأيمن للعدو وينادي:

الموت أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

ثمّ زلزل الجناح الأيسر بهجوم آخر وهو ينادي:

أنا الحسين بن علي آليت ألاّ أنثني

أحمي عيالات أبي امضي على دين النبي

قال عبداللّه بن عمّار (من جيش العدو): ما رأيت مكثوراً قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه اربط جأشاً منه وأمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه اذا شدّ فيها ولم يثبت له أحد.

ثمّ شنّ هجوماً كاسحاً نحو نهر الفرات على عمرو بن الحجّاج وكان يقود أربعة آلاف جندي لمنع الحسين من الوصول الى النهر؛ ولكن الحسين بن علي زلزل خطوطهم واقتحم النهر.

وبعد أن ودع اسرته مرّة اخرى شنّ هجومه الأخير وكانت السهام تسّاقط عليه كالمطر، ثمّ توقّف عن القتال وعاد الى مركزه وهو يكثر من «**لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه العلي العظيم**».

وصاح الحسين: أما من مغيث يغيثنا؟ أما من ذاب يذبّ عن حرم رسول اللّه؟!

وسمع اثنان من الأنصار هما سعد بن الحارث وأخوه أبو الحتوف استنصار الحسين واستغاثته وبكاء النسوة وصراخ الأطفال فقال أحدهما للآخر: أنرجو شفاعة محمّدصلى الله عليه وآله يوم القيامة ونقاتل ابنه؟ فشنّا هجوماً على أعداء اللّه والانسانيّة وقاتلاً حتّى استشهدا[1].

وفي حادثة اخرى نقرأ كيف سدّت الطرق على الناس للالتحاق بمعسكر الحسين في كربلاء، وكان رجل يدعى مسعود التميمي وابنه عبدالرحمن من الذين لم يتمكّنوا من الالتحاق بالحسين لهذا قرر مسعود وابنه الانخراط في صفوف الجيش الذي توجه لحرب الحسين ولما وصلا الى كربلاء كانا في

١ـ اللهوف في قتلى الطفوف، السيّد بن طاووس.

الخطوط الاولى لقوات العدو ثمّ انتهزا أول فرصة وفرّا باتّجاه الحسين، باتجاه الموت الأحمر باتجاه الخلود الأخضر وانضما الى صفوف الخالدين.

وهكذا الأمر بالنسبة لشخص آخر هو جابر بن الحجّاج التميمي جاء إلى كربلاء وكان مع جيش يزيد ثمّ فرّ نحو المجد والتحق وكان للصحابي قرظة الأنصاري ولدان أحدهما يدعى عمرو والآخر يدعي علي اختار عمرو الحسين ومال علي إلى يزيد.

جاء الى كربلاء أحدهما من أجل دينه والآخر من أجل دنياه.

كان عمرو تحت راية الحسين وقد كانت ترفرف في يد أخيه العباس بن علي عليه السلام وهناك في الجبهة المعادية وقف علي بن قرظة تحت رايات جيش الظلام.

هكذا كانت كربلاء لقد كانت مثالاً فريداً للمجتمع الانساني والجنس البشري حيث تصطرع الاهواء مع نداءات الوجدان والضمير وحيث صوت العقل المدوي وعربدة الغرائز الحيوانيّة.

قاتل عمرو قتال الأبطال.

وعند ما كانت السهام تتجه نحو الحسين وقف عمرو أمام الحسين يتلقى السهام بصدره وجبهته ولم يدع سهماً واحداً يصل الى الحسين والدماء تتدفق من الجراح التفت إلى أبي عبدالله وقال: أوفيت يابن رسول الله؟

قال الامام عليه السلام: نعم أنت أمامي في الجنّة؛ فاقرأ رسول الله مني السلام واعلمه اني في الأثر.

وهوى عمرو فوق الثرى.

وهنا نادى أخوه علي: يا حسين! يا كذاب!!! غررت أخي حتّى قتلته!

فأجاب الحسين عليه السلام قائلاً:

اني لم اغر أخاك ولكن اللّه هداه وأضلك.

فصاح اللعين: قتلني اللّه إن لم أقتلك ثمّ هجم على الحسين ليطعنه بالرمح فاعترضه نافع بن هلال الجملي فطعنه وسقط على الأرض وانقذه أصحابه وعالجوه وبرأ ليعيش مدّة من الزمن ثمّ ينتهي مصيره الى حفرة مظلمة.

أما عمرو الذي انطفأت حياته في وهج الشمس فقد كتب له أن يعيش في الضوء أخوان اختلفا في الطريق هذا شقي وذاك سعيد؛ أحدهما في قعر الهاوية والآخر ارتقى قمم المجد، هذا اتبع اصداء الاهواء وعربدة الغرائز وذاك اصغى الى صوت العقل والوجدان.

أجل اصغ الى كلمات الصادق وهو يقول لمن يريد دخول المسجد.

وكن كأفقر عباده بين يديه وأخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك... وانظر: من أي ديوان يخرج اسمك.

«فَإِنْ ذُقْتَ مِنْ حَلاوَةِ مُناجاتِهِ وَلَذيذِ مُخاطَباتِهِ وَشَرِبْتَ بِكَأْسِ رَحْمَتِهِ وَكَرامَتِهِ مِنْ حُسْنِ إِقْبالِهِ وَإِجابَتِهِ فَقَدْ صَلُحَتْ لِخِدْمَتِهِ فَادْخُلْ فَلَكَ الإِذْنُ وَالأَمانُ»

ولوج المسجد بعد اكتساب الفضائل:

لذّة المناجاة:

عندما يذوق الانسان حلاوة المناجاة ويشعر بلذة الحديث مع المحبوب حينئذٍ يضع قدميه في وادي المعرفة ويصبح عاشقاً هنالك تغمرة حالة العشق التي تثري انسانيته وتأخذه الى الأعالي متنعماً بنسائم الحب الالهي وربيع الحياة الخالدة.

يقول مولوي:

ولذة مخاطبتك يا ايها الحبيب، لا يمكن أن تأتي من كؤوس الشراب.

والعشق الحقيقي لا يتحقّق الاّ بعد أن يطوي العاشق مراحل ومنازل اذ عليه أن يقوم بتزكية نفسه من الرذائل وأن يتحلّى بالحسنات والفضائل وهذا لا يتيسر الاّ بالرجوع الى الشريعة التي تنبع من الآيات والروايات.

جاء في رسالة «**لقاء اللّه**» في مسألة التحلّي بالصفات الروحانيّة:

وبعد أن يفرغ السالك بالمجاهدات والتوفيق الرباني من تطهير الباطن وتنزيهه

من الصفات الخبيثة والمكروهة واستطاع فرض سيطرته وارادته على جنود الشيطان فانه يبدأ بالاتصاف بالصفات الروحانيّة.

علىّ نحو يعلم ان الصفات الرذيلة تحصل بمقتضى الحياة المادية المظلمة وكلّما تحرّر الانسان من التعلّق بالدنيا والتخلّص من حب الدنيا توفرت له أرضية الحياة الاخرويّة الروحانيّة النورانيّة.

وهنا ينجو السالك من ضيق الحياة الماديّة ومحدوديّة هذا العالم الضيق ليلج الى عالم ارحب وأوسع مليىء بالروحانيّة والأنوار.

وهذا المنزل مضيء مفعم بالأنوار بعيد عن الابتلاءات وقيود العالم المادي ويجد المسافر في هذه المرحلة كمال الانبساط الروحي والحريّة في عالم مفعم بالأنوار والاحساس بالسكينة والطمأنينة بعيداً عن كلّ حالات القلق والاضطراب حيث يكون في أتم الاستعداد لتلقي المعارف الالهيّة والحقائق الغيبيّة والجذبات الروحيّة.

واذن وبمقتضى خصائص وصفات العالم الروحاني تتجلى في قلب الانسان الصفات الحسنة.

وهنا يظهر مقام الفتح والظفر والانتصار على جنود ابليس وبدء مرحلة عين اليقين في الايمان.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

﴿يا قَوْمِ إِنَّمَا هذهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾[2].

١ـ القصص ٢٨: ٨٣.

٢ـ غافر ٤٠: ٣٩.

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾[١].

﴿وَاللّه يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾[٢].

﴿وَاللّه يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلاَمِ﴾[٣].

أجل ان عالم الآخرة لا يوجد فيه أثر من الانانية والنرجسية والتكبر ولا مجال هناك لسوء النية وقصد الفساد والهدم.

هناك عالم الاستقرار وكسب المقام؛ هناك عالم تأتلف فيه القلوب والأفئدة وتمتلئ النفوس بالمحبّة والحنان فلا اختلاف ولا بغضاء ولا نفاق ولا شقاق ولا أخطاء ولا خطايا ولا سقوط ولا انزلاق؛ فلقد غفرت الذنوب والخطايا وعادت القلوب كالمرايا.

واذن فان ذلك العالم الروحاني يقتضي وجود صفات وحالات انسانيّة تنسجم مع ظروف ذلك العالم الطاهر النقي وهناك تبدو الحقائق والملك يومئذٍ للّه الحق هنالك تظهر الحقيقة حيث المالك المطلق هو اللّه الخالق المتعال وحينئذٍ هل يبقى مجال للتكبر والغرور والمباهاة والافتخار؟

الجميع خاضع متواضع خاشع راكع في حضرة ذي الجلال الاله الكبير المتعال.

وهذا كلّه غيض من فيض من أحوال ذلك العالم الروحاني وما يرتبط بأهل الجنّة وفي هذا العالم المادي فان ما ذكرناه من أحوال وصفات في باطن الانسان تظهر وتتجلّى في عالم الآخرة يوم القيامة؛ هنالك يفوز الانسان الذي ذاق حلاوة محبته

١ـ الحديد ٥٧: ٢٧.

٢ـ البقرة ٢: ٢٢١.

٣ـ يونس ١٠: ٢٥

في الدنيا وأنس بمقام القرب في بساطه؛ فنفسه بالايمان مطمئنة وروحه آمنة.

يقول المؤلّف على لسان العاشقين:

ونهلت من كأس شراب العشق وامحى اسمي ونفسي.

ورميت بنفسي في احضان الحبيب حتى ذاب كياني.

كم نهلت من كؤوس لذة الحب وما أحلى ما نهلت.

وكان قلبي متوحشاً اكثر وحشية من وحوش الفلوات.

اذا به أسيرفي شباك حبه.

لقد سمعت نداء الوصل فجاء قلبي الباكي هادئاً.

وانقطعت عن غيره وجئت اليه قاصداً وصاله.

ووقعت في حبه كما يقع المسكين وتخليت عن كل شيء؛ لأحظى به وحده.

«وَإلاّ فَقِفْ وُقُوفَ مُضْطَرٍّ قَدِ انْقَطَعَ عَنْهُ الْحِيَلُ وَقَصُرَ عَنْهُ الأَمَلُ وَقُضِيَ الأَجَلُ، فَإذا عَلِمَ اللّه عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَلْبِكَ صِدْقَ الإلْتِجاء إلَيْهِ نَظَرَ إلَيْكَ بِعَيْنِ الرَّأفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَاللُّطْفِ وَوَفَّقَكَ لِما يُحِبُّ وَيَرْضى فَإنَّهُ كَريمٌ يُحِبُّ الْكَرامَةَ لِعِبادِهِ الْمُضْطَرّينَ إلَيْهِ الْمُحْدِقينَ عَلى بابِهِ لِطَلَبِ مَرْضاتِهِ قَالَ اللّه تَعالى﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[1]»

عدم دخول المسجد من دون فضائل:

اللهم نجّنا من صخب وضوضاء المادية وأخرجنا من عالم تتراكم فيه الظلمات والأوهام واغسل قلوبنا وأرواحنا بمياه محبتك والبسنا حلل بيضاء موشاة بالصفات الجميلة محلاّة بالفضيلة؛ فانا من دونك لمن الهالكين ولولا جودك وكرمك لكنا من المطرودين.

الهي وأعنّي على نفسي ومدّني بالتوفيق حتّى أواصل شرح «**مصباح الشريعة**» انك أنت من يشرح الصدور ويضيء النفوس بالنور.

آمين يا رب العالمين.

١ـ النمل ٢٧: ٦٢.

المحتويات

الباب (٧) في بيان اللباس

لباس الظاهر و لباس الباطن: ٩

الجسم مركب الروح: ١٣

نصائح اولياء اللّه: ١٤

حلّة الايمان أبهى الحلل: ١٦

اللباس في القرآن الكريم: ١٧

١ـ اللباس المادى الظاهري: ١٨

٢ ـ اللباس الطبيعي: ٢٠

٣ ـ اللباس المعنوي: ٢١

٤ ـ لباس الجنّة: ٢١

٥ ـ اللباس الجهنمي: ٢٢

لباس الظاهر نعمة الهيّة: ٢٦

اللباس في الروايات: ٢٧

جنس اللباس و ماهيته: ٢٧

لون اللباس: ٢٨

نوع اللباس: ٢٩

لحظة للتأمّل: ٣١
اللباس في الصلاة: ٣٣
عدم الاسراف في اللباس: ٤١
زيّ المرأة: ٤٢
موقع المرأة قبل الاسلام: ٤٢
موقع المرأة في الغرب المعاصر: ٤٥
موقع المرأة في الاسلام: ٥٠
حدود الزي النسوي في الاسلام: ٥٣
الاقتداء: ٥٦
أفضل أنواع اللباس: ٦١
أسوأ اللباس: ٦٦
آفات لباس الباطن: ٦٦
نزاهة اهل السلوك من اللباس الملوّث: ٦٨
شرح السلوك: ٦٩
التزام الأصول الأربعة في السلوك: ٧١
ستر الباطن بلباس الصدق: ٧٣
مقام الخوف والشوق: ٧٣
الفناء في الحق بلباس الصدق: ٧٥
اقسام التوحيد: ٧٥
التوحيد العام: ٧٥
التوحيد الخاص: ٧٦
توحيد خاص الخاص: ٧٨

تزيين الباطن بالصدق و الظاهر بالطاعة:..... ٧٩
انواع العبادة:..... ٧٩
مقامات القرب من الحقّ تعالى:..... ٨٠
أسباب الاتصال:..... ٨١
أسباب الانقطاع:..... ٨١
أسباب الشقاء:..... ٨١
اسباب لباس الظاهر و الباطن:..... ٨٣
حرمة الانشغال بعيوب الآخرين:..... ٨٥
قيمة ستر العيوب في الروايات:..... ٨٧
وجوب الانشغال بعيوب الذات:..... ٩٠
الانشغال في الروايات:..... ٩٢
غضّ النظر عمّا لا يجدي نفعاً في الدنيا والآخرة:..... ٩٤
الخسارة جرّ أو نسيان الذنوب:..... ٩٥
نتائج الذنوب في الآيات والروايات:..... ٩٦

الباب (٨) آداب السواك

صحّة الفم والأسنان:..... ١٠٩
اهمية السواك في الروايات:..... ١١١
كيفية السواك:..... ١١٤
وقت السواك:..... ١١٤
البكاء:..... ١١٧

البكاء علامة المؤمن: ١١٨
قيمة البكاء في الروايات: ١٢٠
الخشوع: ١٢٣
احياء الليل: ١٢٦
نعمة الليل العظمى: ١٢٦
الأئمّة الأطهار عليهم السلام واحياء الليل: ١٢٨
عظمة صلاة الليل: ١٣٠
الاستغفار في السحر: ١٣٢
الحركة من الظاهر الى الباطن: ١٣٧

الباب (٩) في بيان المبرز

استراحة النفس من النجاسة: ١٤٦
موعظة ابي سعيد: ١٤٧
شهوة البطن أو تنور جهنم: ١٥١
الروايات في الطعام والبطن: ١٥٢
آثار وفوائد الاقلال في تناول الطعام: ١٥٤

الباب(١٠) في بيان الطهارة

التطهير: ١٦٧
الوضو، التيمم والغسل: ١٦٨

الماء والتراب من نعم اللّه الكبرى: ١٦٨
الماء والتراب في القرآن الكريم: ١٦٩
طهارة وصحة الجسم والروح: ١٧١
١ ـ سلامة ونظافة الغذاء: ١٧٢
٢ ـ سلامة الهواء: ١٧٤
٣ ـ سلامة الماء: ١٧٥
٤ ـ سلامة النوم: ١٧٦
٥ ـ سلامة الغريزة: ١٧٧
٦ ـ سلامة السكن: ١٧٩
٧ ـ نور الشمس: ١٨٠
٨ ـ الصحّة العامّة للبدن: ١٨١
الرياضة: ١٨٢
السلامة النفسيّة: ١٨٣
اصول السلامة النفسيّة: ١٨٤
التيمم المعنوي: ١٨٥
مراتب الطهارة: ١٨٦
اسرار التيمّم: ١٨٧
الغسل المعنوي: ١٩٥
أسرار الغسل: ١٩٦
اقسام الغسل في رؤى العارفين: ١٩٩
الوضوء المعنوي: ٢٠٥
آداب الوضوء: ٢٠٥

أسرار الوضوء: ٢٠٦
سرّ المضمضة والاستنشاق: ٢٠٧
سرّ مسح الرأس: ٢٠٩
اسرار أُخرى في الوضوء: ٢٠٩
سرّ غسل الوجه: ٢١٠
سرّ غسل اليدين: ٢١٠
سرّ مسح الرأس: ٢١١
سرّ مسح القدم: ٢١١
بيان أسرار أُخرى: ٢١٢
أوصاف الماء: ٢١٦
فوائد الماء لأهل البصيرة: ٢٢١

الباب (١١) في آداب الخروج من المنزل

الخروج من المنزل من دون أمل في العودة: ٢٢٨
الرؤية البيت في الرؤية الاسلامية: ٢٣٣
آداب الدخول الى المنزل والخروج منه: ٢٣٦
الجار في الاسلام: ٢٣٨
الخروج من المنزل: ٢٤٢
نيّات الخروج في الروايات: ٢٤٢
حقوق المؤمن: ٢٤٥
في طريق الخدمة: ٢٤٧

الفكر قبل العمل: ٢٥٠
آداب الخروج من المنزل: ٢٥٣
لتكن نظرتك عبرة: ٢٥٨
قضاء حوائج المؤمنين: ٢٦٤
ارشاد الضال: ٢٦٨
الاعراض عن الجاهل: ٢٦٩

الباب (١٢) في آداب الدخول إلى المسجد

المسجد: ٢٧٥
المسجد في القرآن الكريم: ٢٧٦
المسجد في الروايات: ٢٧٩
الطريق الى رحاب الربوبيّة: ٢٨٤
الحركة صوب الطهر والنقاء: ٢٨٧
١ ـ التفكّر والتدبّر قبل كلّ عمل: ٢٨٧
٢ ـ صفاء النيّة: ٢٨٧
٣ ـ مواكبة الدعاء للحركة والعمل: ٢٨٨
٤ ـ ضبط الاهواء واجتناب الشهوات: ٢٨٩
٥ ـ المجاهدة والمعاناة والجوع: ٢٩١
٦ ـ العبادة: ٢٩١
٧ ـ اتباع الولي الحق: ٢٩١
علامات الأطهار والصدّيقين: ٢٩٢

الى رحاب المعبود: ٣٠٣
التحلّي بالحسنات مع طهارة النفس: ٣٠٥
حالات نفس: ٣٠٥
عدم الغفلة أثناء دخول المسجد: ٣٠٨
علوّ الهمّة وعظمة الروح: ٣٠٩
معنى النزاهة والحكمة: ٣١٠
النفس الكلية الالهيّة: ٣١١
ادراك المقامات المعنويّة العالية بعلوّ الهمّة: ٣١٢
الرحمة والفضل الالهي: ٣١٧
اسلوب كسب الرحمة في الآيات: ٣١٨
البخل في العبودية يوجب دفع الرحمة: ٣١٩
طاعة قليلة وعطايا جزيلة: ٣٢١
اظهار العجز عند دخول المسجد: ٣٢٣
عرض الأسرار في محضرة الحق: ٣٢٥
علم الحق: ٣٢٦
توصل الانسان الى الحقائق العلمية: ٣٢٧
علم اللّه بطبيعة الانسان: ٣٣١
جانب آخر من علم الحق في الآيات والروايات ٣٣٣
توفيق الحضور في رحاب الحق: ٣٣٦
١ ـ الاحساس التام بالفقر والحاجة المطلقة: ٣٣٦
٢ ـ تخلية القلب من موانع الوصال: ٣٣٨
٣ ـ التسجيل في ديوان السعداء: ٣٣٩

الشقاء الأبدي: ٣٤٠
السعادة الأبدية: ٣٤٤
ولوج المسجد بعد اكتساب الفضائل: ٣٤٨
لذّة المناجاة: ٣٤٨
عدم دخول المسجد من دون فضائل: ٣٥٢
المحتويات ٣٥٣